

مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي

سلسلة أعلام الفكر والإصلاح في العالم الإسلامي

فتحي يكن

داعيةً ورائداً للحركة الإسلاميّة في لبنان

علي لاغا

د. علي لاغا

ولِد الدكتور علي لاغا عام ١٩٤٧، في طرابلس لبنان، درس الفلسفة ونال الماجستير فيها، ثمّ انصرف إلى الدراسات الإسلاميّة وحاز على شهادة الدكتوراه عام ١٩٨٧. يشغل حالياً مركز نائب رئيس جامعة الجنان للبحث العلمي. له مساهمات علميّة في مؤتمرات عدّة، وله عدد من المؤلّفات المنشورة، منها:

- الشورى والديمقراطية ،بحث مقارن في الأسس النظرية، المؤسسة الجامعية...، بيروت.
- الاتجاهات السياسية في لبنان (١٩٢٠-١٩٨٢)،مؤسسة الرسالة، بيروت.
- نحو منهجية عقلية سليمة: تشكيل الشخصية الإسلامية المعاصرة من خلال القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الفكر الإسلامي الحديث في الشراك الاستعماري، كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، بيروت.
- مدخل إلى العلوم السياسية، مقارنة النظام الإسلامي بالنظم الغربية، دار بيروت المحروسة.
- فتحي يكن: داعيةً ورائداً للحركة الإسلاميّة في لبنان، هذا الكتاب.

فتحي يكن

داعيةً ورائداً للحركة الإسلامية في لبنان

الدكتور علي لاغا

فتحي يكن

داعيةً ورائداً للحركة الإسلامية في لبنان



المؤلف: الدكتور علي لاغا
الكتـاب: فتحي يكن ـ داعيةً ورائداً للحركة الإسلامية في لبنان
المراجعة والتقويم: فريق مركز الحضارة
تصميم الغلاف: حسين موسى
الإخراج والصفّ: هوساك كومبيوتر برس



الطبعة الثانية: بيروت، 2012
ISBN: 978-9953-538-99-0

Fathi Yakan the Advocate and Pioneer
for Lebanese Islamic Movement

«الآراء الواردة، في هذا الكتاب، لا تعبّر بالضرورة
عن آراء مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي واتّجاهاته»



مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي

Center of civilization
for the development of Islamic thought

بيروت ـ بئر حسن ـ بولفار الأسد ـ خلف الفانتزي ورلد ـ بناية ماميا ـ ط5

هاتف: 826233 (9611) ـ فاكس: 820378 (9611) ـ ص.ب: 55/ 25
info@hadaraweb.com
www. hadaraweb.com

الفهرس

الإهداء

إلى روح رائد الحركة الإسلاميّة في لبنان والعالم. . .

إلى الذي أمضى كُل حياته في خدمة الإسلام والمجتمع. . .

إلى من أدرك كل المختلفين في لبنان والعالم العربي فداحة خسارته. . .

إلى مُربي الأجيال «**فتحي يكن**» الذي أسلم الروح يوم السبت 20/ 06/ 2009 م

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته. . .

علي لاغا

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

يسرّ **مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي** أن يقدّم إلى قرّائه الأعزّاء هذه الحلقة من سلسلة أعلام الفكر والإصلاح في العالم الإسلاميّ، وقد كنّا نرغب في أن يصدر هذا الكتاب في حياة المؤلّف، وحرِصنا على ذلك وحاولنا، ولكنّ إرادة الله كانت أمضى وأسرع، فاختاره الله وقبضه إليه، قبل صدوره. ولحرصنا على رؤية النصف الممتلئ من الأشياء نرى أنّ في تأخير الصدور، أموراً حسنةً عدّة أهمّها أنّ الكتاب تعرّض لإعادة نظر من المؤلّف طوّرت مضمونه وأسلوبه وقدّمته في حلّة أفضل ممّا كان يمكن أن يقدّم لو أسرعنا ليصدر قبل هذا التاريخ. ومن جهةٍ أخرى إنّ وفاة المؤلف وانتقاله من دار الفناء إلى الدار الآخرة، يجعل صدور الكتاب خالصاً لوجهه تعالى، لا تشوبه شائبة سمعة أو تزلّف. ومن الطبيعيّ أن يسأل القارئ: لماذا المرحوم الداعية فتحي يكن؟ وفي تبرير نشر هذا الكتاب نرى أنّه ـ رحمه الله ـ أنتج من الفكر و«بيّض من الصحائف» ما يسمح لنا أن ندرج اسمه بين أعلام الفكر المعاصرين، ثمّ إنّ أهمّ ما يميّز عَلَمنا المرحوم، هو حركيّة فكره وحمْله

همومَ الدعوة الإسلامية ونشرها، ما جعل فكره يمتاز بالعملانيّة التي ربّما لا توجد عند كثير ممّن احترفوا إنتاج الأفكار. وأخيراً إنّنا نرى في إصدار هذا الكتاب أداءً لدَيْنٍ من قبل المركز لداعيةٍ حمل همّ الإسلام وانفتح على قضاياه، ورفع لواء وحدة الإسلام والمسلمين أكثر من أي شعار آخر أو لواء. ولعلّنا بهذا الكتاب نكون قد أدّينا بعض الحقّ، لشخصٍ لا يمكن إلا أن يُحبَّ ويُحترَم في حالتي الاتفاق والاختلاف.

والله من وراء القصد.

مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ
بيروت، 2011

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

في مقدمة «**الموسوعة الحركية الأولى عند علماء المسلمين في القرن الرابع عشر للهجرة**»، كتب فتحي يكن: «ليس بينهم قاسم مشترك سوى خدمة الإسلام من هذا الطريق أو ذاك، فكلٌّ مُيسر لما خُلق له... وقد يكون لنا على أحدهم أو بعضهم قضية أو أكثر. . .

إلا أنَّ ذلك لا يجعله خارج الإطار، بل إنّ تقديم الرجال بما لهم وعليهم أمر يطلبه الشرع، ومصلحة إسلامية تتبيّن من خلالها المسالك والرُّؤى، وبالتّالي فهو سبيل الاستفادة لمن هم على درب الإسلام سائرون»[1].

---

(1) فتحي يكن، **الموسوعة الحركية**، ط1، المجلد1، بيروت، مؤسسة الرسالة، سنة 1400هـ، 1980م، ص 9

بهذا الكلام يكون الداعية فتحي يكن قد أقرّ قولاً وعملاً بوجود التفاوت والاختلاف بين مدارك العاملين الإسلام والدعوة، وأنّ هذا لا يُخرجهم من الدائرة الكبرى التي تتَّسع للجميع ضمن ضوابط لا تتعدى مقاصد الشريعة.

إنَّ فتحي يكن الداعية الإسلامي، الذي أجمع على فضله أغلبية المسلمين، هو غير فتحي يكن الذي مارس السياسة في وسط الوحول اللبنانية، إنه في هذه الحالة مكان أخذ وردٍّ، بين من يُؤيد رأيه ومن يختلف معه، باستثناء بعض من وصل في انتقاداته إلى حدٍّ تجاوز اللياقة والخروج عن دائرة الفكر والنقد والنقاش، لذا، فإنَّ هذه الدراسة ستحاول رسم صورة واقعية عنه بما له وما انتقد فيه، وسنترك للأيام القادمة الحُكم على صوابية توجهاته بخصوص الشأن اللبناني والمحيط أو ما تمّ التعارف عليه بالموضوع أو الشأن السياسي.

وسواء أخطأ منتقدوه أو كانوا على صواب في بعض الأمور، فممّا لا شك فيه أن لفتحي يكن أيادٍ بيضاء في مجال الفكر والعمل الحركي الإسلامي، ليس بمقدور أحدٍ أن يتجاهلها وحالُ العالم الإسلامي عامة واللبناني على وجه الخصوص يَدعُ الحليم حيراناً من كثرة اختلاط الألوان وتقارب الخطوط وتشابكها!؟

وإنَّ الخدمة التي قدمها فتحي يكن لجيل بكامله عزَّ نظيرها، فقد ساهم في إعادة الحديث عن موضوع هوية المسلمين في لبنان، والعمل على إعادة تأهيلهم كي يكونوا في مقدمة المساهمين في بناء مجتمع سليم، جنباً إلى جنب مع شركائهم في الوطن.

ومن يبحث في مُحصلة جهد الداعية فتحي يكن وجهاده، يُعجب

من قُدرته ـ مع إخوان له ـ على تكوين مجموعة كبيرة من الشباب والشابات والمساهمة في إيصالهم إلى ذرى العلم والثقافة، وقد تمكَّن عدد كبير منهم من تبوُّء مراكز مُهمة في المجتمع والدولة.

وإنّ من يتعرّف على هذه الحقيقة، سيتمنّى لو أنّ فتحي يكن ما زال حياً، وجهوده التربوية ما زالت تُؤدي دورها، لقد ساهم (رحمه الله) في إرشاد الصحوة الإسلامية، وتوجيه أبنائها، وكُتبه لا تزال محطَّ اهتمام وإقبال وقراءة من طرف الشباب الإسلامي والعاملين في حقل الدعوة والإرشاد الإسلامي، رحم الله الداعية فتحي يكن وأدخله فسيح جنانه.

علي لاغا

الفصل الأول



فتحي يكن بطاقة شخصية

المبحث الأول

فتحي يكن يتحدث عن نفسه

مذكراتي

النشأة الأولى: كانت ولادتي عام 1933م، وقد نشأتُ في بيئة محافظة متدينة أباً عن جد... وعِشْتُ طفولتي في كنف جدتي لأبي، السيدة «وسيلة مرحبا» التي وجدت بي عوضاً عن جدِّي محمود الذي تُوفي قبل ولادتي بفترة قصيرة.

كانت جدتي إمرأة صارمة وعلى جانب كبير من التديّن (رحمها الله رحمة واسعة)، على يديها تعلمتُ الوضوء والصلاة، وفي غُرفتها الخاصة كُنت أقضي سحابة يومي، تارة أعبث بشعرها الأبيض الذي كان يتلألأ كالفضة وهي تضمّني إليها بحنان، وطوراً أقفز على السرير المعدني ذي الأغطية النظيفة البيضاء التي تُحاكي ببياضها نصاعة الثَّلج في أعالي الجبال...

كانت جدتي على شغف بالترتيب والنظافة والأناقة، تحسبها وهي في سريرها وكأنها ملاك أبيض، وكانت كل حاجة في غرفتها في الموضع الذي يجب أن تكون فيه...

على هذا النحو دَرجتُ، وفي هذا البيت عِشْتُ. . . بين جدَّة صارمة ولكنها فاضلة، وبين أب لا يقلُّ صرامة، وإن كان محشواً بالعاطفة، ولكنها عاطفة دفينة، يصعبُ إظهارها. . .

أما والدتي فكانت كُتلة من عاطفة، ولكنها عاطفة جامحة لا تحدُّها حدود، ولا يُخفف من وطأتها قَيد. . .

كان الفارق شاسعاً بين صرامة الوالد وليونة الوالدة، رحمهما الله[1]، إلا أنّ سُنة الحياة تقتضي هذه المفارقات ليعيش الناس، وتستمر الحياة. . .

صرامة لكنها مُفيدة

صحيح أننا كصغار كنا ننزعج من الصّرامة التي جعلت بيتنا في تلك الفترة أشبه بثكنة عسكرية. . . على مدخل الباب الخارجي أُثبتت لوحة لما يَصدُر من تعليمات يومية أو أسبوعية أو شهرية أو فصلية عن الوالد، مثل:

- تحديد مواعيد العودة إلى المنزل.
- تحديد مواعيد تناول الطعام.
- تحديد مواعيد الاستحمام.
- تعليمات متفرقة تتعلق بالنظافة.
- تعليمات متفرقة تتعلق بالترتيب.
- تعليمات متفرقة تتعلق بالدراسة، وهكذا. . .

---

(1) تُوفيت عام 1992م، واسمها: عائشة حِكمت رشيد يكن.

أذكر أن حضوره وصرامته قد تركا أثراً على كل أفراد العائلة، حتى الهرَّة - وكان بيتنا لا يخلو من واحدة منها - كانت تختفي عن الأنظار عندما تسمع صوت مفاتيحه وهو يُعالج بها قُفل الباب.

الحضرة الأسبوعية

من العادات التي درج عليها الوالد، دعوته نُخبة من العلماء والمنشدين وأهل الذكر إلى لقاء أسبوعي - ليلة الإثنين - كان يُقرأ فيها القرآن الكريم، وتُتلى فيها قصيدة البُردة الشريفة للإمام البوصيري، ثم تُوزع الحلوى في نهاية المطاف؛ فكانت أشبه بمنتدى أسبوعي تتخلَّله لطائف ونصائح لا تخلو من فائدة. . .

أذكر من الذين كانوا يحضرون هذا اللقاء الأسبوعي:

الشيخ أنور مولوي، الشيخ سلمان بارودي، الشيخ نصوح بارودي، الشيخ ناصح مرحبا، الشيخ ظافر كبارة، الشيخ صالح ميقاتي. . .

جدي لأُمي:

أما جدِّي لأُمي المرحوم حِكمت شريف يكن فغنيٌّ عن التعريف. . . فهو الكاتب والشاعر والأديب والمؤرخ المعروف، وإنْ بقيت أكثر مؤلفاته مخطوطات لم تأخذ طريقها إلى الطباعة بعد، إلا ما طُبع حديثاً، وهو كتاب «**تاريخ طرابلس الشام**»، بعد أن قامت بتحقيقه زوجتي السيدة مُنى حداد حفظها الله وأعانها على متابعة القيام بتحقيق كل مؤلفاته، وبخاصة الموسوعة التي أسماها «**تاريخ الأديان**» والتي تقع في اثنين وثلاثين مجلداً. . .

أذكر أنّ جدّي كان يُحبني حباً شديداً ومميزاً، ما جعله يميّزني في وصيته بمكتبته العامرة. لكن صِغَر سنِّي يوم وفاته حال دون تنفيذ هذه الوصية بشكل وثيق، ما تسبَّب بضياع مجموعة نفيسة من الكتب بشكل أو بآخر.

عائلتنا وأصولها:

فاتني أن أُنوه بأنَّ العائلة التي أنتمي إليها تعود أصولها إلى تركيا.

وإنَّ الجد الأول للعائلة خرج من تركيا في القرن السابع عشر ـ لخلاف مع السلطان التركي آنذاك ـ وقد استوطن مدينتي حلب وطرابلس. وإنَّ والي طرابلس في العام 1681م هو حمزة باشا يكن، جد العائلة اليكينية الطرابلسية، وإنّ فروع العائلة تفرّعت عنه كما يظهر في شجرة العائلة.

المدرسة الأولى:

في سنيّ الدراسة الأولى ألحقتني العائلة (بمدرسة النجاح الوطنية) التي كان يُديرها الأستاذ كمال البهلوان. وتعتبر هذه المدرسة في طليعة المدارس في ذلك الوقت، من حيث المستوى العلمي والإنضباطية الإدارية والسلوكية، . . . كما أنَّ لها أيادٍ بيضاء وفضلاً على مُعظم مثقفي أهل طرابلس.

المدرسة الثانية

في عام 1943م التحقتُ بمدرسة (النموذج للصبيان) وكانت تشغل بناءً قديماً، لكنه مُتسع تحت قلعة طرابلس. وكُنت حينها في العاشرة من

العمر. ولا تزال ذكريات هذه المرحلة راسخة في ذهني ماثلة أمامي حتى اليوم... كان مدير المدرسة الأستاذ حسن الحجة، وقد كانت تضم مجموعة نوعية من الأساتذة والمُربين، وكان المُشرف على التعليم الديني فيها المرحوم الشيخ نصوح البارودي.

المذبحة التي لا تُنسى

من الذكريات الأليمة التي لا تُنسى في تلك المرحلة - وإن اعتبرت بعد ذلك مفخرة وطنية - المذبحة التي ارتكبتها القوات الفرنسية بحق مسيرة طلابية سلمية كانت تُنادي بالاستقلال.

لقد خرجتْ المسيرة الطُلابية ـ وكُنت فيها ـ مخترقة الأسواق الداخلية حتى الشارع الرئيسي في باب التبانة، ومُقابل جبانة العُمري صادف مرور شاحنات للجيش الفرنسي، فهتف الطلاب هتافات وطنية، في حين زمجر الجنود ولوَّحوا بأيديهم مُهددين مُتوعدين، وانتهى الأمر عند هذا الحد.

وبعد ذلك تابعتْ المسيرة زحفها باتجاه ساحة التَّل عن طريق «الزاهرية» فتوقَّفت قليلاً عند السّراي الحكومي ثم تابعت سيرها باتجاه شارع الميناء حيث مقر المحافظ.

وما إن أصبحت بمحاذاة بيت المحافظ حتى وصل رَتْلٌ من الدبابات الفرنسية إلى المكان، وفي لمحة بصر تحوّل الموكب إلى أكوام من الجثث والأشلاء، فقد أمر ضابط الرَّتل بإطلاق النار من الرشاشات المركزة على الآليات، في حين اندفعت الدبابات باتجاه المسيرة وهي تدوس في طريقها أجساد الطلاب. ثم تُعاد الكَرَّة على هذا النحو

المأساوي الذي لم يشهد له التاريخ مثيلاً. وبعدها غادرت الآليات المكان مُخلّفة عشرات الجثث الممزقة والأشلاء المبعثرة، في حين غطَّت الدماء مساحة تزيد على أربعة آلاف متر مربع.

بالنسبة لي، فإنني لم أَصْحُ من ذهولي حيال ما حدث إلا وأنا في مخبأ قريب من المخابئ التي حفرها الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية، بعد أن تقاذفتني إلى هناك الأمواج البشرية الهاربة من جحيم المعركة، وهي تشق طريقها بصعوبة فوق الجثث التي غطَّت المكان.

وهنا أودُّ أن أسجل للتاريخ والأجيال، بأنَّ الروح المعطاءة ـ التي كان ولا يزال يتحلَّى بها شعب طرابلس عموماً ـ جديرة باعتبار الفيحاء مختبر فخر للثورات، ومُنطلق الحركات التحررية بلا منازع...

في عام 1946م التحق فتحي يكن بالمدرسة الأميركية في القُبة - والتي كان معظم طلابها من العائلات الطرابلسية المرموقة - وقد أتاحت له هذه الفترة الاطلاع على أنماط شتَّى من الناس والتيارات والأحزاب والطوائف والمذاهب.

وفي هذه المدرسة نال شهادة دبلوم في المحاسبة، لكن العام الأخير فيها كان بداية تحول جذري في حياته، يقول في مذكراته:

«لقد قُدِّر لي أن أطَّلع في ذلك الحين على أعداد مجلة الدعوة والكُتب الحركية التي كانت تصل من القاهرة، حيث أثَّرت في نفسي تأثيراً كبيراً ونقلتني من أجواء التديّن السلبي إلى أجواء التديّن الإيجابي،

من نُشدان الصلاح إلى نُشدان الإصلاح، من دائرة الهم الفردي إلى دائرة الهم الجماعي»[1].

في جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية في طرابلس

في عام 1953م كانت بداية مسيرة حياته الحركية الإسلامية، حيث يقول عن هذه الفترة: «وسرعان ما ساقتني الأقدار إلى المَحْضَنِ الدَّعوي الأول وهي جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية، حيث جمعتني بنخبة من شباب الجمعية ورجالها وعلى رأسهم العالم الجليل الشيخ صلاح الدين أبو علي رحمه الله».

وهناك التقى مع مجموعة من الشباب، حيث وُلدت النواة الأولى للعمل الإسلامي في مدينة طرابلس. . . وبدأوا رحلة الخروج من دائرة الإسلام الوراثي إلى دائرة الإسلام الانتمائي، القائم على المعرفة والإيمان والعمل. . .

في هذه الأثناء حضر إلى طرابلس ـ بدعوة من جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية ـ الدكتور مصطفى السباعي الذي ألقى محاضرة إسلامية أثرت بشكل كبير في عقول ووجدان هؤلاء الشباب. وفي هذه الفترة شهد لبنان تحولاً اجتماعياً وسياسياً، فقد أنشأ الأستاذ محمد عمر الداعوق جماعة عِبادُ الرحمن، كردٍّ فعل على المأساة التي حلّت بفلسطين عام 1948م، لقد كان الداعوق يجول على مساجد بيروت قبل ذلك، يحثُّ المسلمين على العودة إلى الإسلام؛ لأنه كان يرى علاقة ما بين مأساة فلسطين وبُعد

(1) النص مُقتبس من مذكرات فتحي يكن التي ما زالت مخطوطة.

المسلمين عن إسلامهم[1]. وهكذا امتد نشاط الجماعة إلى طرابلس وذلك بالتحاق تلك النواة التي تكونت من جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية. لقد

---

(1) محمد عمر الداعوق (1913- 2007م) تُوفِّي والده وله من العمر سنتان إبان الحرب العالمية الأولى، عاش يتيماً، درس في مدرسة الصنائع وتخرّج منها في بيروت (باختصاص ميكانيكي) ثم ارتحل إلى فلسطين واشتغل هناك.

- تزوج قبيل الحرب العالمية الثانية من سيدة من يافا (نشروان قطان) التي كان لها قرابة بعائلته.
- افتتح بعد الحرب العالمية الثانية مصنعاً ميكانيكياً في يافا وبنى سمعته في المهنة على كونه صنع آلات عرض سينمائية في فلسطين خلال الحرب، وهي من الصناعات الدقيقة، (تضبط 16 صورة في الثانية)؟
- عاد عام 1948م إلى لبنان بعد احتلال فلسطين. وبعد العودة كان يجول على المساجد مُحدثاً ورابطاً بين المأساة الفلسطينية والبُعد عن الإسلام.
- تجمع الناس حوله فأنشأ جماعة عُباد الرحمن.
- عام 1951م وقَّع باسم «عباد الرحمن» مع بيار الجميل رئيس حزب الكتائب على معاهدة تنص على تعاون المسلمين والمسيحين في نشر قيم المبادئ الأخلاقية ورد الاعتداءات الخارجية عن لبنان، لاقت هذه المعاهدة معارضة شديدة من الأوساط الإسلامية والمسيحية، وقد أدى ذلك إلى تراجع في مدِّ حركة عباد الرحمن، وتراجع كذلك في حركة حزب الكتائب (حيث لم ينجح مرشحوهم في الانتخابات النيابية).
- رُخِّص لجماعة عباد الرحمن من قبل الدولة في أوائل عام 1952 م فاتخذت لها مقراً علنياً في البسطة في بيروت.
- شهدت الجماعة ضغوطاً كبيرة إبان ظهور التيار الناصري وصراعه مع الإخوان المسلمين في مصر، حيث باتت الجماهير تعارض وبعفوية كل عملٍ إسلامي.
- امتدت الدعوة إلى طرابلس وصيدا حيث استقطبت بعض الشباب وأُنشئ مركز لها في طرابلس باسم مركز «جماعة عباد الرحمن».
- مالت المجموعة الموجودة في طرابلس إلى خوض العمل الإسلامي العام، بينما بقيت الجماعة الأم في بيروت حركة كشفية، دينية، تربوية، تمارس نشاطاً محدوداً برئاسة أمين الجماعة «محمد عمر الداعوق» إلى أن دُعي من قبل حاكم الشارقة ـ الذي كان في الماضي لاجئاً سياسياً في بيروت ـ للقيام بأعمال الوعظ والإرشاد في إمارة الشارقة، وقد استقر فيها نهائياً عام 1975م وانقطعت صلته بلبنان حيث كانت آخر زيارة له سنة 1979م. وتنحصر نشاطاته حالياً بالتسجيلات الدينية (إذاعة وتلفزيون) وله أحاديث يومية تذاع في عدد من محطات الخليج. =

كانت تلك الفترة غنية بنشاطها الدعوي ومُخيماتها الكشفية، التي كان التركيز فيها يقوم على تكوين الشخصية الإسلامية وتعلم الآداب الإسلامية، إضافة إلى المعارف الإسلامية الأخرى.

ضغط التيار الناصري[1]:

مع تصاعد التيار الناصري، انتشرت في الساحة العربية موجة عداء غير مسبوقة ضدّ كل داعية للإسلام، فقد كانوا ينعتون كل إسلامي بأنه عميل للاستعمار، وأنَّه رجعي وإرهابي، وأنَّ الإسلاميين تآمروا لقتل جمال عبد الناصر، وقد عُمِّمَ هذا العداء في كل مكان، ولم يميّز المُعجبون بجمال عبد الناصر ـ إلى حدّ العبادة والتقديس؟! ـ بين مسلم لبناني أو مصري أو من أي بلد آخر، وكان هذا من أسباب انشقاق مكتب طرابلس عن مركز جماعة عُباد الرحمن في بيروت، حيث أصبح الشارع البيروتي والزعامات البيروتية، مضافاً إلى المكتب الثاني (جهاز أمن الدولة)، أصبحوا جميعاً في حمأة الطوفان الناصري الجارف.

ورغم ذلك، فإنَّ أعضاء الجماعة في طرابلس وقفوا إلى جانب القوى الناصرية خلال ثورة 1958[2] [3] في لبنان، وفتحوا باب التطوع

= ـ أما مركز طرابلس فقد تحول إلى «الجماعة الإسلامية في لبنان» بترخيص جديد ـ تحت هذا الاسم ـ من الدولة اللبنانية. المعلومات مأخوذة مباشرة من الأستاذ الحاج توفيق الحوري، رئيس مجلس أمناء المركز الإسلامي للتربية في بيروت، ورئيس مجلس أمناء جمعية البر والإحسان صاحبة جامعة بيروت العربية.

(1) نسبة إلى جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة سابقاً.

(2) **جريدة البصائر**، الجزائر، العدد 340، بتاريخ 21 ـ 28/ 5/ 2007.

(3) لقد كانت فترة حكم الرئيس جمال عبد الناصر حافلة بالثورات في طول البلاد =

للدفاع عن مدينة طرابلس تحت قيادة الرئيس رشيد كرامي وكان للجماعة إذاعة «صوت لبنان الحر» حيث كانت منبراً إعلامياً للمقاومة وللرئيس كرامي. . .

في مسجد أبي سمراء، وهو المسجد الوحيد الذي كان تحت سيطرة المقاومة في طرابلس، كان فتحي يكن يخطب ويُلقي الدروس الدينية، وقد كان يؤمُّه فضلاً عن مبعوثي الأزهر الشريف، قادة مختلف التيارات المشتركة في المقاومة مثل: «حركة القوميين العرب، الشيوعيون، البعثيون، الناصريون، إضافة إلى الرئيس رشيد كرامي».

وخُطبة الجمعة لم تكن جديدة على فتحي يكن، فقد احتضنه الشيخ كاظم الميقاتي الذي استصدر له تكليفاً بالخطابة في مسجد الطّحام وقد استمر فيه إلى حدود سنة 1958م.

كما كان من قبل يُدعى من قِبل الشيخ عبد الحميد الحامدي والشيخ الأفيوني لإلقاء خُطبة الجمعة في مسجد العطار في طرابلس.

ويذكر فتحي يكن أنَّ التيارات القومية حاولت إقصاءه عن الخطابة في مسجد أبي سمراء ـ عقب انتقاده البطريرك المعوشي الذي لم يَلتزم بوعده، فلم يستنكر الإنزال العسكري الأميركي في بيروت ـ لكنهم فشلوا في ذلك.

= العربية وعرضها، وأشهرها ثورة اليمن وثورة 1958م في لبنان التي زرعت بذور حرب 1975م، لما تسببت به من مشاكل طائفية ودعوات قومية. وهكذا وبعد الثورة وتحت الضغط الشديد للتيار الناصري انفصل مكتب جماعة عباد الرحمن في طرابلس عن مكتب بيروت.

مواقف سياسية

بالرغم من العداء الناصري الكبير للتيار الإسلامي، فإنَّ الإسلاميين في طرابلس بمواقفهم المبدئية والشرعية هبّوا يستنكرون العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م، ما أدّى إلى اعتقال أحدهم في طرابلس عقب خطبة الجمعة في المسجد المنصوري الكبير، بل أصدروا بياناً باسم الحركة الإسلامية في لبنان تأييداً للوحدة المصرية ـ السورية في ذكرى تأسيسها، وحضّوا العالم الإسلامي على الوحدة الشاملة. وتمَّ توزيع البيان في بيروت حيث اعتُقل أحد الذين وزَّعوه.

يصف الداعية فتحي يكن تلك الفترة قائلاً: «كان كل شيء مسموحاً به في لبنان، إلا الإسلام الحركي أو الحركة الإسلامية، فاليمين واليسار، والشيوعيون والقوميون، والموساد بل المخابرات العالمية، والناصرية والاشتراكية، والقومية ـ السورية والكتائبية، وأكثر من مائة حزب وتنظيم جميعها مُسجلة ومُرخصة في وزارة الداخلية... كان من حق كل أولئك أن يعملوا وأن يعبروا عن آرائهم، وأن يعقدوا مؤتمراتهم... وأن يقوموا بتشكيل فرق في الساحات والشوارع والأماكن العامة، من غير رقيب أو حسيب... ومع ذلك فقد اهتزَّ عرش السلطة الحاكمة حين حمل بيان تأييد الوحدة المصرية ـ السورية اسم الحركة الإسلامية... وعلى الفور أحيل الأخ الذي اعتُقل إلى المحكمة العسكرية...».

وسط هذا الجو كان فتحي يكن يعمل ويتحرك ويدعو إلى إعادة الإسلام إلى حياة المسلمين.

المؤتمرات والرحلات التي شارك فيها فتحي يكن وكان لها تأثير في بلورة مواقفه الفكرية والسياسية

شارك فتحي يكن في المؤتمر الإسلامي العام في القدس سنة 1960م، وفي العام التالي شارك في المؤتمر الذي عُقِد في القدس أيضاً بمناسبة الإسراء والمعراج وحضره الملك محمد الخامس إلى جانب الملك الأردني حسين بن طلال، وكانت لفتحي يكن مواقف مُميزة في هذه المؤتمرات.

ثم لبّى دعوة وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية في الجزائر لحضور الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الإسلامي، وقد رافقته في الرحلتين معاً ـ إلى القدس وإلى الجزائر ـ زوجته السيدة منى حداد.

وحضر هذا المؤتمر شخصيات إسلامية مهمة أمثال المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة، الشيخ محمد الغزالي، الداعية زينب الغزالي، الأستاذ الدكتور مصطفى الزرقاء، الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة (الأردن)، الأستاذ محمد قطب، الأستاذ الدكتور معروف الدواليبي، الدكتور عمر فروخ، السيد موسى الصدر. . . وكان للأستاذ فتحي يكن موقف مميز من الوزير الجزائري الذي كان مُرهف الأعصاب ويتدخل بكل شاردة وواردة.

مؤتمر الندوة في الرياض

بتاريخ 1977م لبَّى فتحي يكن الدعوة للمؤتمر الذي نظمته إدارة الجامعة الإسلامية في المدينةالمنورة، وهو المؤتمر الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة. وقد كتب عنه فتحي يكن قائلاً: «كان هذا المؤتمر غنياً جداً ببحوثه، ولم يسبق لي أن حضرت مؤتمراً بهذا الحجم من العطاء».

مؤتمر سانت لويس سنة 1983م

في عام 1983م لبَّى دعوة لحضور المؤتمر السنوي الذي أقامته رابطة الشباب المسلم في سانت لويس في الطرف الشمالي للولايات المتحدة الأميركية، وقد ألقى محاضرة بعنوان: «**هل يُغني الإيمان عن العمل والإعداد**».

مؤتمر مانشستر بإنكلترا سنة 1986م

لبَّى الداعية فتحي يكن الدعوة لحضور المؤتمر الذي يُنظمه اتحاد المنظمات الطلابية سنوياً في إنكلترا، ومن أشهر المشاركين فيه: الشيخ حسن أيوب، الشيخ أحمد القطان، الأستاذ مصطفى مشهور، الأستاذ محمد قطب، والشهيد الدكتور عبد الله عزام؛ وقد ألقى فتحي يكن محاضرة في المؤتمر، وقام بزيارة لأعضاء المؤتمر، كما شارك في عدد آخر من المؤتمرات في الهند وإيران وتركيا وأوروبا.

وكانت له لقاءات مع رؤساء دول وشخصيات سياسيّة وعلمائية ساهمت كذلك في نضج رؤيته للواقع العربي والإسلامي والتحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، من هذه الشخصيات نذكر الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد الذي التقى به أكثر من مرة، وقد تميز الحوار بينهما بالصراحة والشفافية، خصوصاً في موضوع التعاطي مع الحالة الإسلامية، لأنها تُشكل خط الدفاع الأول في مواجهة التحدي الحضاري والعسكري الذي يمثله الكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين.

كما كانت له علاقات مُتميزة مع كل من مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ الشهيد حسن خالد، والشيخ نديم الجسر(*)، والشيخ ظافر كبارة(**).

(*) سماحة مفتي طرابلس نديم الجسر: (1895م/ 1313هـ ـ 1980م/ 1400هـ)، تولى منصب مفتي طرابلس منذ العام 1960 حتى تاريخ وفاته.

(**) الشيخ ظافر كبارة: (1907 ـ 1990) شقيق الشيخ محمد صلاح الدين كبارة، تميز بين علماء مدينة طرابلس بشمولية الإطلاع في العلوم الشرعية، وفقه العبادات على وجه خاص، عرف عنه صدق الحديث والحرص على أداء الصلوات في عدد من مساجد المدينة، حيث تولى الإمامة والخطابة في عدد منها وآخرها جامع الأمين في أبي سمراء.

المبحث الثاني

البيئة الاجتماعية والفكرية من خلال ما كتبته «جريدة البصائر»

بطاقة أخرى رسمتهما جريدة البصائر الجزائرية على مدى خمس حلقات تمكن خلالها الباحث صالح دندن من الإضاءة على بعض المحطات الفكرية والاجتماعية والدعوية المهمة في حياة الداعية الدكتور فتحي يكن.

ومما جاء فيها:

طرابلس هذه المدينة العريقة بأسواقها وأزقتها ونقوش مساجدها وتعدد أبوابها، يخال المرء نفسه وهو يسير بين دكاكينها وحماماتها، أنه في سوق مملوكية، يوم كان للمدينة عزُّها وحلقات ذكرها وعطرها الفواح ونداوة أصوات مؤذنيها ومدارسها وحيث حلقات العلم، فهي حاضرة بلاد الشام ومدينة العلم والعلماء، يقصد خاناتها التجار في طريقهم إلى الساحل السوري وصولاً إلى عاصمة الدولة العثمانية أو الساحل اللبناني وصولاً إلى بلاد فلسطين: القدس وحيفا ويافا وصفد... وخانات طرابلس شواهد. لا تفريق فيها ولا تمييز،

المسلمون والنصارى وحتى اليهود كانت تجمعهم، يحبونها وتحبهم، لقد كانت طرابلس كالدرة فريدة في مكانها، فريدة في أزمنتها.

إلا أنَّ فرادة الزمان والمكان تُتجاوز إلى فرادة تفرض نفسها على تاريخ طرابلس القديم والحديث، إنها فرادة رجالاتها في نتيجة مكملة لتميز هذه المدينة الدرة.

غيرُ بعيد عن هذه البيئة الطرابلسية الأصيلة، بما فيها من غنى حضاري، ولد الصغير الجديد محمود (كما أرادت جدته التي وجدت في هذا الاسم بعض السلوى والتعويض عن زوجها المرحوم محمود. وقد كان شائعاً يومها الأسماء المركبة فأضيف إلى محمود اسم فتحي ليصبح محمود فتحي يكن).

جمع الوليد الجديد الأصالة الطرابلسية من طرفيها، فالأصول الأولى تعود إلى تركيا زمن الدولة العثمانية. فقد خرج الجد الأول منها بعد خلاف مع السلطان التركي وما "اليكن" إلا ذلك اللقب الذي يدل على ابن أخت السلطان، وهكذا انتشر قسم من العائلة في حلب وقسم في طرابلس وقسم آخر يمم وجهه شطر القاهرة. وفي القرن السابع عشر ميلادي يذكر التاريخ واحداً من هذه العائلة الكريمة هو والي طرابلس حمزة باشا يكن، جد العائلة الذي تولى كرسي الولاية سنة 1681م. لقد بقيت العائلة وفية لطرابلس وورث هذا الوفاء فتحي يكن الذي أبصر النور يوم 9 شباط 1933 ميلادية في وسط المدينة القديمة بمنطقة الرفاعية، غير بعيد عن المسجد المنصوري الكبير الذي بناه المنصور قلاوون عقب دحر الصليبيين عن طرابلس، ويضم هذا المسجد رفاة الخلّص من أصحابه وشعرات كريمات للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد كان للجدة (وسيلة مرحبا) بصمات واضحة في تكوين شخصية فتحي، فقد تربى في كنفها تربية روحية، إذ أُشبع منها بحب الدين وهو بعد لا يزال ناعم الأظفار مع احترام كُلي لأوامرها، إذ كانت تصبُّ ووالده محمد عنايت في إناء واحد، فلا تهاون في التربية أو الدين أو حتى النظافة، مما انعكس هذا التزاماً وحرصاً لازما فتحي دائماً كظله بقية حياته.

وهذه التربية كانت بحاجة إلى عاطفة جياشة وروحانية عالية عُرف بهما كذلك، وبهما تميز بعد ذلك من بين سائر من سلك طريق الدعوة إلى الله تعالى، فالميزة الأولى قد ورثها من أمه (رحمها الله) والثانية من حلقات الذكر المختلفة حيث تسمو الروح وتسبح في الفضاء الرحب حيث الخشوع والنور، وأعظم ما كان يحرك سواكنه ليلة الإسراء. ولقد شغف داعيتنا بالقراءة على صغر سنه ودخوله في مناقشات مختلفة سياسية وفكرية واجتماعية ودينية مستمعاً أولاً ثم مشاركاً. وكان يعزز ذلك كله بالقراءة وحب المعرفة العامة والجرأة الأدبية. ومن هذه السهرات كون داعيتنا صداقاته من خلال صداقات والده وهم من خيرة عائلات المدينة من آل مرحبا وذوق والملك ومنقارة، وليتخذ منهم أحباء كالحاج عبد الله الأسمر والشيخ صالح ميقاتي والحاج ناجح مرحبا والشيخ أنور مولوي والد المستشار الشيخ فيصل مولوي.

في مدرسة النجاح الأولى تلقى فتحي يكن الدروس العملية الأولى وقد كانت ذات مستوى مرموق علمياً وإدارياً وسلوكياً وقد خرَّجت هذه المدرسة الرعيل الأول من مثقفي المدينة، أما مدرسته الثانية فمدرسة النموذج للصبيان وكانت تشرف عليها قلعة طرابلس من مكان غير بعيد

وقد أوكل التعليم الديني فيها للعلامة الشيخ نصوح البارودي وذلك سنة 1943م.

ثم كانت المدرسة الثالثة عام 1946م حين ألحقه والده محمد عنايت بالمدرسة الأمريكية في القُبة، وقد كانت قبلة أبناء الأكابر من عائلات طرابلس المعروفة، وقد تخرج فيها عام 1953م حاملاً شهادة الدبلوم.

إنَّ ما كان يرمي إليه الوالد هو أن يُجيد فتحي اللغة الإنكليزية، وقد كان له هذا. أما ما لم يكن في حُسبان الوالد مُسبقاً فهو تعرُّف ولده الشغوف على مختلف الاتجاهات الفكرية والتيارات السياسية، من شيوعية ورأسمالية وقوميات، وسّعت مداركه وفتحت حواسه وصاغت شخصيته الفكرية. إلا أنَّ الأثر الذي لم يُمْحَ من ذاكرة فتحي فهو مجزرة 1940م والتي كان بطلها الانتداب الفرنسي.

مثّلت سنة 1953م عنوان نضوج فكري واختيار للطريق الأمثل بالنسبة لفتحي يكن، وهو التمرين الإيجابي حيث المساحة الواسعة للحوار ضمن إطار الاحترام المتبادل ودون تفريط بالشخصية المسلمة ودورها الإيجابي في قبول الآخر والمجادلة بالتي هي أحسن، والتركيز على القضية الأساس ـ قضية العصر ـ حيث دنس الصهاينة أرض فلسطين عام 1948م، هذه القضية التي أفرد لها فتحي يكن مساحة واسعة من تفكيره وكتاباته (القضية الفلسطينية من منظور إسلامي) مُقدماً وصفاً دقيقاً للحالة باعتباره عايش وعاصر وراقب الوضع وملابساته.

وهذه من جملة الأمور والقضايا التي جعلت دعوة الإخوان المسلمين تسري بين شباب الأمة كالنار في الهشيم، بل لقد سبقت مجلة الدعوة المصرية رجال الإخوان إلى فكر فتحي يكن ليستوعب ويتأثر

بالفكر الحركي الذي لازمه بعد ذلك. وليترجم هذه الحركية سلوكاً عبر انتسابه المؤسس إلى جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية مع خيرة مختارة من أبناء طرابلس، أرادت مجتمعة أن تعمل على تجديد المنهج والنهوض بالأمة لمواجهة التحديات، وأعظمها قضية فلسطين. ومن ثم تكوين الشخصية المسلمة المطلوبة.

لقد كان لمحاضرة مصطفى السباعي الدكتور والمفكر الإسلامي المعروف، أثرها الكبير في نفوس الشباب المؤمن الذين استمعوا له في جمعية مكارم الأخلاق. وما كان هذا الأثر لينفصل عن دعوة صاحب جماعة عُباد الرحمن الأستاذ محمد عمر الداعوق الذي كان يجول على المساجد ليحث المسلمين على الانتصار لقضية فلسطين، عبر عودتهم للإسلام، وما كانت طرابلس بمنأى عن هذه الدعوة.

إنَّ انتقال فتحي يكن من طلب الصلاح إلى طلب الإصلاح، ومن الهمّ الفردي إلى الهمّ الجماعي، على قاعدة حديث الرسول (ص): «من بات ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» جعلته أكثر نشاطاً وحركية واندفاعاً وداعية إلى الخروج من الإسلام الوراثي إلى الإسلام الانتمائي، وكان هذا المنطق مستغرباً نوعاً ما في مدينة طرابلس التي نَحتْ باتجاه الناصرية، حتى إنَّ الكثيرين باتوا لا يرون سواها ولا يسمعون إلا صوتها، بل وصل بهم الأمر إلى نعت الدعاة المخلصين من الإسلاميين بالنعوت القاسية، وما كان من ذلك إلا ليزيد من حماسه وتحركه من نشاط دعوي إلى مُخيم كشفي إلى خطابة في الجماهير تلهب مشاعرهم وتستفز أحاسيسهم، فقد كان مشايخ طرابلس حينها يدعونه للخطابة في مساجدها القديمة كمسجد الطحام ومسجد العطار ومسجد أبي سمراء.

بعد نكبة فلسطين تفاقم طوفان الناصرية في الشارع اللبناني وبين الزعامات، بل وحتى في بعض أجهزة الدولة، إلا أن هذا لم يمنع التيار الإسلامي من الوقوف إلى جانب القوى الناصرية خلال ثورة 1958م وانطلق فتحي يكن يذود عن الحياض العربية.

ومن عجيب المفارقات أنه رغم شدّة وصرامة الأب محمد عنايت يكن، إلا أن الحرية الفكرية كانت متاحة لولده فتحي ذي المشرب الحركي والسياسي المختلف، فالأول ناصري قد رفع صورة لعبد الناصر في الصالة الأساسية، وكم كان الداعية الشاب يضعها ليرفعها الوالد مرة أخرى.

ولم يكن فتحي رغم كل هذا الإعصار السياسي الحاصل حينها ليدعو إلى العنف أو انتهاج أسلوب القوة والشدة في الدعوة، وهذا ما جعله يتشرب روح دعوة الإمام حسن البنا ونظرته السياسية الشرعية. فلا يلزم في نظام تعددي كلبنان أن يكون دين الدولة الإسلام. يقول البنا رحمه الله تعالى: تعاملنا مع المؤسسات الرسمية بروحية الناصح، نحن لا نصلح الفساد الإداري بالدعوة إلى تبني الإسلام، بل إلى اختيار الرجل المثالي والمناسب في المكان المناسب، وهذه هي النتيجة الحتمية التي توصل إليها أخيراً أصحاب الحركات التي تدعو إلى العنف، وقد غيرت مساراتها واستراتيجيتها الدعوية بشكل كامل، بعد أن انعكست الشدة على أصحابها قتلاً وتشريداً وتفرقاً.

كما اتخذ فتحي يكن من حديث شريف منطلقاً دعوياً له، ولم يتراجع عنه أبداً قيد أنملة، وهو قوله (ص): «خُذ الحق من صغير أو كبير ولو كان بغيضاً بعيداً، واردُد الباطل على من جاء به ولو كان قريباً حبيباً».

وهكذا تبلورت الأهداف والأُسس في ذهن فتحي يكن وإخوانه الذين آمنوا بالخط الحركي لجماعة الإخوان المسلمين، ولقناعاتهم بأنَّ الحل لكل أزمات الوطن والمسلمين يكمن في العمل السياسي الدعوي المنظم، وبتقديم الإسلام في صورة مُشرفة وحلية بهية مع احترام القوانين المرعية الإجراء، فتقدم لطلب الترخيص من الجمهورية اللبنانية لجمعية الجماعة الإسلامية، وكان له ما أراد زمن وزير الداخلية كمال جنبلاط.

بل لقد عمل داعيتنا على ترسيخ مفهوم جديد يُركز على بقاء لبنان وحدة موحدة وعدم السماح بتجزئته وقيام دويلات عُنصرية طائفية ولو كانت إسلامية؛ ثم العمل على تحقيق التوازن في كيان الدولة ـ بما في ذلك الإنماء ـ لتجاوز ظلم العهود المتتالية لمدينة طرابلس وقرى عكار والضنية وغيرها، وصيانة الحياة اللبنانية من عوامل الانحراف الخُلقي والفساد الفكري، كي لا يتحول الوطن إلى سلعة رخيصة وغنيمة باردة للقوى المتربصة به...

لقد استشرف فتحي يكن ـ بقراءة مُبكرة للأحداث بعد مرور عام على فتنة 1958م ـ المستقبل، وفي ذلك يقول في مجلة المجتمع: «واليومْ... وبعد مرور عام على الثورة تظهر في سماء لبنان من جديد غيوم سوداء دكناء تنذر بإعصارات وريح سموم لا تبقي ولا تذر. ولا سبيل لتبديد الغيوم هذه وتجنيب لبنان ويلات الحروب الأهلية والفتن الهوجاء الدامية إلا إذا دُقَّ ناقوس الضمير جنبات كل قلب. واستشعر رقابة الله كل فرد، وسكتت إلى الأبد أبواق كل حزب، وعاد الشعب إلى دينه وتمسك بإنجيله وقرآنه...» إنه الاستشعار المبكر لدخول نفق

الحرب الهوجاء التي عصفت بالوطن عام 1975م وبقي فيه مدّة خمسة عشر عاماً.

ويتابع فتحي يكن واضعاً إصبعه على الجرح ليؤكد أن الأعداء يُعولون دائماً ـ في كيدهم ـ على مزية لبنان وفرادته في تعدد طوائفه وهي ثغرة ينفدون منها إلى الوطن، يقول في مجلة المجتمع سنة 1959م: «فالطائفية في لبنان هي مركز الثقل الذي يعتمد عليه الغرب لخلق الفتن والاضطرابات، وهي المنفذ الوحيد الذي يلج منه إلى البلاد لفرض سيطرته وسلطانه بحجة فضّ النزاع وإعادة الأمن».

وينهي الداعية قراءته السياسية للأحداث في 1/ 5/ 1975م قائلاً:

«إنَّ ما وقع كان طبيعياً أن يقع ويُحتمل أن يقع في أي لحظة، ما دامت هناك فئات تعتقد أن لبنان لها دون غيرها وأن قيادة هذا البلد ينبغي أن تبقى حكراً عليها، تمارس من خلالها تسلّطها وتفرّدها في الحكم والسياسة»[1].

بعد أحداث 1958م وسّع الداعية فتحي يكن دائرة دعوته، فكانت الحلقات المختلفة والمحاضرات والندوات لكل الشرائح والفئات، وبما أن العمل الدعوي لا يكتمل من جانب واحد فقط بل لا بد أن يتعداه إلى شطر المجتمع الآخر وأساس العائلة، لذلك كان للمرأة حظ وافر في حلقات فتحي يكن.

لقد كانت مجلة المجتمع هي المجلة الوحيدة في لبنان الناطقة باسم التيار الإسلامي، وكانت تعرض مواضيع شتّى، ومِنْ جملة من يُراسل

---

(1) جريدة **البصائر**، بتاريخ 28 ـ 4/ 6/ 2006، العدد 341.

هذه المجلة ويعرض رأيه كانت هناك فتاة تُوقع رسائلها باسم (الأخت إيمان). ولم تكن الأخت إيمان هذه معروفة عند أحد، بل كانت تواظب على حضور درس الأخوات في مركز محلة البلاط، ولقد لفتت النظر بجرأتها ونباهتها وذكائها، بل إنها كانت تُلقي الخطب أمام الحشود الغفيرة، إنها السيدة مُنى حداد زوجة فتحي يكن وأم أولاده، ولم يكتشف أنها هي الأخت إيمان إلا بعد وقت. وقد كان لهذا الزواج أثره الكبير في نضج وبلورة العمل الحركي النسائي، كذلك إلى جانب العمل الحركي الإسلامي العام.

الفصل الثاني



فتحي يكن الخلفيات الفكرية والمعرفية

المبحث الأول

ركائز الفكر عند فتحي يكن

مقدمة :

لخَّص فتحي يكن ملامح شخصيته الفكرية واهتماماته العمليّة بتحديده لمهام العمل الإسلامي الذي يجب أن يكون من أولى اهتماماته هدم المجتمع الجاهلي في كل ركن من أركانه وإقامة المجتمع الإسلامي في كل شأن من شؤونه، والعمل على تقويض الجاهلية يجب أن يشمل جميع مظاهرها الفكرية والاجتماعية والسياسية، وهذا يحتاج إلى توجيه جُهد الدعاة إلى تلك الجاهلية.

ومن أجل إنجاز مهمة شاقة كهذه، يجب تأهيل العاملين في الحقل الإسلامي بحيث يخصصون كل جهدهم ونشاطهم في سبيل الله تعالى، ولا يكون لهم محبوب ولا مساوٍ في حبه على الإطلاق، إنّ حُبَّ الله سبحانه وتعالى ثم رسوله محمد (ص)، يجعل الدنيا وملذاتها غير المشروعة أو تلك التي تعيق عن العمل في سبيل نشر دعوة الإسلام تصغر في أعينهم. وشرف الانتساب هذا لا يرقى إليه إلا الذين يعيشون للإسلام ويموتون من أجله ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن

﴿ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1] لقد استنبط هذا التفسير للالتزام من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2].

إنَّ الحماس للجهاد في سبيل الله تعالى ظاهر في جميع كتاباته وخصوصاً تعليقه على هذه الآية قائلاً: «إنّ طريق الجنة أيها الدعاة وعر وشاق، وإنّ سلعة الله غالية لا ينالها إلا من دفع الثمن وسدّد الحساب».

ينطلق الداعية فتحي يكن من ركائز دينية إسلامية تعتمد على:

أولاً: سلامة العقيدة، وهي من الضروريات التي يجب أن يتّصف بها المسلم، وذلك بأن ينطلق من المفاهيم التي تلقاها السلف الصالح عن رسول الله (ص)، وكذلك الجُهد الفكري الذي بذله أئمة المسلمين المشهود لهم بالخير والبر والتقوى والفهم السليم لدين الله عز وجل[3].

---

(1) سورة النور: الآية 37.

(2) سورة التوبة: الآية 111.

(3) فتحي يكن، **ماذا يعني انتمائي للإسلام**، ص 19ـ20، والحديث رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس (رض) ورواه الأصبهاني في ترغيبه. لقد أجمع أئمة المسلمين، في الزمن الذي تسرب فيه الفكر اليوناني والمنطق إلى علم الكلام الإسلامي، على تحريم التعاطي مع هذا المنهج أو استعماله في فهم العقيدة الإسلامية. قال ابن عبد الأعلى رحمه الله: «سمعت الشافعي (رض)، يوم ناظر حفصاً الفرد، وكان من مُتكلمي المعتزلة يقول: لأن يلقى الله (عز وجل) العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام، ولقد سمعت من حفص كلاماً لا أقدر أن أحكيه».

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «علماء الكلام زنادقة»، وقال الإمام مالك: «لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء» وتساءل بقوله: «أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه، أيدع دينه كل يوم لدين جديد؟ يعني أن أقوال المتجادلين تتفاوت». =

ولقد نهج فتحي يكن في فهمه للعقيدة نهجاً يتماشى وينسجم مع ظاهر الآيات القرآنية دون تأويل أو استنباط مبني على طريقة فلاسفة اليونان، الذين اقتدى بهم كثير من المفكرين المسلمين والذين استعملوا علم الكلام أو أسلوب الحجاج المبني على المنطق الأرسطي، وكذلك فإنه بقي في مأمن من المتاهات التي انزلق فيها الكثيرون ممن حاولوا التفكر في ذات الله عز وجل وأشغلوا عقولهم، في وضع مفاهيم فلسفية يفهمون من خلالها كيف تم الخلق. وتأكيداً لذلك يقول في الفقرة رقم «9» ما يلي:

«أن أتفكّر في خلق الله وليس في ذاته، امتثالاً لقول الرسول (ص): «تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله، فإنكم لن تُقدروا قدره»[1].

وفي الفقرة العاشرة من كتابه بيّن فتحي يكن أن آيات الله سبحانه وتعالى تكفينا لمعرفة صفاته تعالى، فهناك آيات تشير إلى وجوده تبارك وتعالى، وآيات تُشير إلى صفات العلم والقدرة والبقاء وانه هو الأول والآخر. . .

وليست صفة القدم كما عبّر الفلاسفة وعلماء الكلام، لأنّ مُصطلح «القِدم» لم يرد في القرآن الكريم وإنّما استورده المسلمون من الفكر اليوناني. يقول الله تعالى واصفاً جلاله: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ

= وقال أبو يوسف: «من طلب العلم بالكلام تزندق». انظر: **المنقذ من الضلال**، لحجة الإسلام الغزالي، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، ص 97ـ98.

(1) سورة الحديد: الآيتان 2 ـ 3. ومن دعاء الرسول (ص) أنه قال: «. . . أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء»، رواه مسلم وأحمد. انظر: **مختصر تفسير ابن كثير**، مجلد 3، ص 444.

وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ * هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

وقد علّل فتحي يكن دعوته لاتباع عقيدة السلف، بأنّ في ذلك حسماً «لمادة التأويل والتعطيل، ولتفويض علم هذه المعاني إلى الله تبارك وتعالى.. وأن تأويلات الخلف لا توجب الحكم عليهم بكفر ولا فسوق، ولا تستدعي هذا النزاع الطويل بينهم وبين غيرهم قديماً وحديثاً...».

كما جمع إلى العبوديه لله تعالى الخشية منه سبحانه دون غيره، وذكره دائماً وأبداً، فإنّه بذكر الله تعالى تطمئن القلوب يقول عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[2].

أما حُب الله فيجعل القلب مشغوفاً بجلاله متعلقاً به، ما يحفز على الاستزادة من الخير دائماً وعلى التضحية والجهاد في سبيله أبداً، حيث لا يقف أمامه حطام دنيا أو وشيجة قربى، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[3].

وحديث رسول الله (ص) يرسم صفات المؤمن التي أولها حُب الله تعالى وحب رسوله (ص) أكثر من أي محبوب آخر. وفي ذلك يقول

(1) سورة الحديد: الآيتان 2 ـ 3.

(2) سورة الرعد: الآية 28.

(3) سورة التوبة: الآية 24.

رسول الله(ص): «ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يُحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار»[1] والمؤمن يتوكل على الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[2].

وعلى المؤمن أن يشكر الله تعالى على نعمه التي لا تُحصى، وبالاستغفار والتوبة الصادقة ينال الرحمة ومن ثم الراحة والاطمئنان، ويجب أن يراقب الله سبحانه في السِّر والعلن[3].

ويقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[4].

هذه هي العقائد التي ينطلق منها فتحي يكن، وبذلك يكون قد نأى بنفسه عن الدخول في معترك الصراعات التي تشهدها الساحة الإسلامية في المجال العقائدي، وتفرّغ لمعالجة الواقع بما فيه من أخطار تهدد العالم الإسلامي، بينما بقي آخرون يتخطبون وسط ركام من المشاكل التي استحضروها من التاريخ وبالخصوص من الفترة التي اصطدم فيها الفكر الإسلامي بالفكر اليوناني والهندي، وتنازع المسلمون تركة الأمم البائدة ومع الأسف لم يحصد المسلمون من هذا الفكر إلا العُقم ثم الإنقراض.

---

(1) رواه البخاري، انظر: فتحي يكن، **ماذا يعني انتمائي للإسلام**، ص21 .

(2) سورة الطلاق: الآية 3.

(3) فتحي يكن، **ماذا يعني انتمائي للإسلام**، ص24 .

(4) سورة المجادلة: الآية 7.

إنَّه ليصعب على الباحث أن يقبل الخوض في لجج الخلافات الكلامية والتلهّي بصغائر الأمور في الوقت الذي يعيث الصهاينة في بلاد المسلمين فساداً؛ وذلك بحجة البحث العلمي، ثم إن التشجيع الذي تلقاه تلك الاتجاهات (القديمة ـ الحديثة) من قبل الدول الغربية من ـ خلال جامعاتها ومؤسساتها الاستشراقية التي تبذل جهوداً ضخمة من أجل استمرار سيطرتها على بلاد المسلمين، والعطف الذي حظيت به من قبل رجال الفكر وأساتذة الجامعات الذين تمَّ تشكيل فكرهم في تلك المؤسسات العلمية الغربية - قد آتى ثماره وقد خضعت ثقافتنا لهم[1]. إنّ العناية الفائقة من قبل مؤسسات ودول الغرب في بعث هذه الاختلافات، تجعل المسلم الحصيف أكثر حذراً من انتهاج هذه السبل، وتدعوه إلى الابتعاد عنها والأخذ بفتوى أئمة المسلمين، أمثال الشافعي وأحمد بن حنبل والإمام مالك وغيرهم التي تقتضي حُرمة الاعتماد على هذه المناهج في العلوم الدينية الإسلامية، وتدعو إلى تجنب الوقوع في شراكها.

هذا في مجال العقيدة، حيث رأينا أنَّ فتحي يكن يؤمن بأنَّ رأي السلف أولى بالاتباع، حسماً لمشاكل التأويل والتعطيل، وعدم تكفير الخلف أو تفسيقهم أو منازعتهم لما وقعوا فيه من تأويل. . .

---

(1) في لقاء جمع الكاتب مع الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا، أستاذ في قسم الفلسفة في الجامعة اللبنانية ـ طرابلس، أقرَّ «مرحبا» بأنه سمع أن المستشرق «ماسينيون» كان عميلاً لوزارة المستعمرات البريطانية، وهو وأمثاله من مجموعة الأساتذة الأفذاذ الذين أوكلت إليهم مهمة غسل أدمغة طلاب الجامعات المبعثين من بلاد المسلمين إلى أوروبا كي يحلُّوا مكان المستشرقين في بلادهم. . . وهذا يعني أن نشاطهم سيكون أجدى وأبلغ من نشاط الأجانب. . . وقبل وفاته بيوم واحد التقى به وسأله عن حاله فقال: عنده مخطوط لا يقبل أحد طباعته، قال له: ما هو؟ أجاب: «مشكلتي مع الله»، وفي اليوم التالي قرأ خبر وفاته.

فماذا عن العبادة؟

تجنّب فتحي يكن كذلك المشاركة في ما اعتور فهم العقيدة من أخطاء، وما ران عليه من انحرافات دخيلة لا تمت للإسلام بصلة، لذلك دعا إلى فهم العبادة كما أرادها الله سبحانه وتعالى وكما طبقها رسول الله (ص) والصحابة والتابعون (عليهم رضوان الله تعالى)، فتحت عنوان: «أن أكون مسلماً في عبادتي» يقول: «العبادة في الإسلام هي نهاية الخضوع وقمة الشعور بعظمة المعبود، وهي مدارج الصلة بين المخلوق والخالق، وتستوي في ذلك أركان الإسلام من صلاة وصوم وزكاة وحج وسائر الأعمال التي يبتغي بها الإنسان وجه الله ويتحرّى شرعه...»[1]. وبهذا الفهم السليم للعبادة، أعاد فتحي يكن للعبادة الصورة المفقودة منذ أن سجل غير المسلمين أهدافاً في المرمى الإسلامي، وأحدثوا ثلماً في جدار هذا الفكر، حيث جنحوا بالعبادة عن مراميها، وأعطوها أشكالاً جامدة «طقوساً عبادية» تمت استعارتها من الديانات الأخرى، خاصة بعد تقلص صلاحيات الكنيسة في أوروبا، وذلك قبل أن تستعيد مكانتها في زماننا هذا وإن بطريقة مختلفة عن السابق. يقول فتحي يكن: «منطق الإسلام يقضي أن تكون الحياة كلها عبادة وكلها طاعة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[2] وقوله عز من قائل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

---

(1) فتحي يكن، **ماذا يعني انتمائي للإسلام**، ص 27.

(2) سورة الذاريات: الآيات 56 ـ 58.

(3) سورة الأنعام: الآية 162؛ انظر: المصدر نفسه، ص47 ـ 48.

ولن يُدرك الإنسان المسلم كنه العبادة إلا بالتورع عن الشبهات وغضّ البصر وصون اللسان والحِلم والصبر والصدق والتواضع، واجتناب الظن والغيبة وتتبع عورات المسلمين والجود والكرم، ثم يختم هذه الصفات بقوله: «وأخيراً، لا آخراً أن يكون قُدوة حسنة بين الناس، وترجماناً فعلياً لمبادئ الإسلام وآدابه، في مأكله ومشربه وملبسه وكلامه وسفره وحضره وفي كافة حركاته وسكناته..».

كما يرى فتحي يكن أنه لا بد للمسلم أن يقوم بأعمال تكون له وجاءً وحصناً منيعاً في مسيرة حياته، وإلا ستكون شخصيته في خطر، لذلك يجب أن يُؤمِّن البيئة الصالحة لضمان سلامة العقيدة والمقصد، والخطوة الأولى في هذا الطريق ـ كما يقول ـ هو حمل الإسلام إلى «مجتمعي الصغير... إلى الأهل... إلى زوجتي... إلى أولادي. ثم الأقرب فالأقرب وهو ما انتهجه رسول الله (ص) في بدء الدعوة...». ومن هنا كانت أول (مهمة) تُعهد إلى المسلم بعد (نفسه) مباشرة هي مسؤوليته تجاه أهله وبيته وأولاده بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[1].

ولمّا كان الزواج يهدف إلى إنشاء البيت المسلم وإنجاب الذرية الصالحة لذلك يجب اختيار الفتاة ذات الخلق والدين؛ لأن حسن الاختيار يساعد إلى حد كبير على تربية الأولاد التربية الإسلامية المنشودة وانتفاء ذلك ينذر بشر مستطير، يقول الداعية فتحي يكن: «إن أي تناقض يقع في حياة الزوجين سينعكس تلقائيا وبشكل مباشر وسريع على تربية

---

(1) سورة التحريم: الآية 6. انظر: فتحي يكن، **ماذا يعني انتمائي للإسلام**، ص51 ـ 52.

الأبناء وعلى نفوسهم» وفتحي يكن وإن لم يتحدث بالتفصيل عن معالجة الوضع الأسري في المجتمع المسلم؛ إلا إنه يرى أن الزواج ما زال عشوائيا، لقد تغير المسلمون في الشكل لكن مضامين فكرهم لم تتغير بعد، فالرغبة في الزواج من فتاة صغيرة السن مثلا ما زالت من أولى اهتمامات الشاب والسؤال عن الدين يقتصر عادة على اللباس أو الحجاب حتى لو بعد الزواج؛ أما المستوى التعليمي بشكل عام والإسلامي بشكل خاص فلم يأخذ حيزا كافيا من الاهتمام كي يتناسب وجوده شكلا ومضمونا مع المسؤوليات المترتبة على الأسرة في زمن يجب أن يكون نهاية الهزيمة وبداية النهوض[1].

إن تمتين بنية الأسرة يسرِّع كثيرا عملية النهوض من الكبوة التي يعيشها المسلمون وهذا ما لم يتم الاهتمام به في كتابات المفكرين المسلمين المعاصرين مع اقتصارهم على ذات الدين، دون وضع تصور واضح يستجيب لطبيعة المرحلة، لذلك فإن المراقب يلاحظ قصورا في البنية الأسرية في المجتمع الإسلامي وتخلفا رهيبا عن المشاركة في بناء مستقبل مطمئن للأجيال القادمة.

---

(1) فتحي يكن، **مشكلات الدعوة والداعية**، ص 49 ـ 56.

المبحث الثاني

المقومات النفسية في الشخصية الإسلامية

إن الصراع مستمر ودائم بين نزعة الخير ونزعة الشر عند الإنسان وهكذا الحال حتى يدركه الموت، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1].

لذلك فحقيقة المعركة تقتضي هزيمة جانب وانتصار آخر، فالذين انتصرت في نفوسهم الأهواء مصيرهم إلى الضلال والهلاك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[2]..

أما الذين انتصروا على أهوائهم، وعملوا على تزكية أنفسهم بالاستغفار والتوبة، فإنّ مآلهم الفلاح والصلاح في الدنيا والآخرة، يقول عزّ وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3].

---

(1) سورة الشمس: الآيات 7 ـ 10.

(2) سورة الجاثية: الآية 23.

(3) سورة آل عمران: الآية 135.

ويختم فتحي يكن تصوره الذي استقاه من القرآن والسنّة عن فصول الصراع في النفس الإنسانية بحديث شريف يحتضن دلالات عميقة في هذا المجال: «يُروى في هذا المعنى عن وهب بن منبه أنه قال: إن إبليس لقي يحيى بن زكريا (ع) فقال له يحيى بن زكريا: أخبرني عن طبائع بني آدم عندكم، فقال له إبليس: أما صنف منهم فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء [المقصود عصمة النبي].

والصنف الثاني: فهم في أيدينا كالكرة في أيدي صبيانكم وقد كفونا أنفسهم... أما الصنف الثالث: فهم أشد الأصناف علينا، نُقبل على أحدهم حتى نُدرك حاجتنا منه ثم يفرغ إلى الاستغفار فيفسد به علينا ما أدركنا منه.. فلا نحن نيأس منه ولا نحن نُدرك حاجتنا منه..»[1].

عوامل انتصار الخير على الشر في النفس الإنسانية

إنَّ القلب الحي الرقيق الصافي والصلب هو كما وصفه الرسول (ص) بقوله: «إن لله تعالى في أرضه آنية وهي القلوب.. فأحبها إليه تعالى أرقها وأصفاها وأصلبها، ثم فسرها فقال: أصلبها في الدين، وأصفاها في اليقين، وأرقها على الإخوان»[2] هذا القلب بهذه المواصفات هو: «قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر، وقلب الكافر أسود منكوس»[3].

ويصف القرآن الكريم قلوب المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[4].

---

(1) فتحي يكن، **ماذا يعني انتمائي للإسلام**، ص 61 ـ 63.

(2) المصدر نفسه.

(3) الحديث رواه أحمد؛ انظر: المصدر نفسه.

(4) سورة الأنفال: الآية 3.

كما يبين سبب الهزيمة التي تلحق بالجانب الخير في النفس الإنسانية، وذلك عندما تضعف القلوب يقول عز من قائل: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [1].

والعقل هو رأس الأمر كله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2]. والعلم والمعرفة بكل جوانبها الفقهية والكونية كلها وقود العقل وسر كماله، إن عقلا متزناً وواعياً يميز بين الخير والشر، والحلال والحرام، والمعروف والمنكر هذا العقل ينظر بنور الله عز وجل مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[3].

ويقول يكن عن حُجب العقل: «إنّ نور العقل لا تطفئه إلا المعاصي والدوام عليها والمجاهرة بها وعدم التوبة عنها»[4].

وسائل تحصين العقل:

يقتبس فتحي يكن عن أحد الصالحين رأيه بما يحصن العقل، وهي عشرة أبواب:

الباب الأول: الحرص وسوء الظن، ويُقابل بالثقة والقناعة.

الباب الثاني: حُب الحياة وطول الأمل، ويُقابل بالخوف من مفاجآت الموت.

---

(1) سورة الحج: آية 46.
(2) سورة فاطر: الآية 28.
(3) سورة النور: آية 40.
(4) فتحي يكن، **ماذا يعني انتمائي للإسلام**، ص 64 ـ 65.

والثالث: طلب الراحة وطلب النعمة، ويُقابل بزوال النعمة وسوء الحساب.

الرابع: العُجب ويقابل بالمنّة وخوف العاقبة.

الخامس: الاستخفاف بالناس وقلة احترامهم، ويُقابل بمعرفة حقهم وحرمتهم.

السادس: الحسد، ويُقابل بالقناعة والرضى بقسمة الله تعالى.

السابع: الرياء ومدح الناس، ويُقابل بالإخلاص.

الثامن: البخل، ويُقابل بفناء ما في أيدي الخلق وبقاء ما عند الله تعالى.

التاسع: الكبر، ويُقابل بالتواضع.

العاشر: الطمع، ويُقابل بالثقة بما عند الله والزهد بما عند الناس[1].

تلك هي وسائل الوقاية التي يمكنها أن تُحصّن العقل من السقوط.

---

(1) فتحي يكن، المصدر نفسه، ص 67 ـ 68.

المبحث الثالث

ملامح شخصية فتحي يكن الحركية

مُسلّمات على طريق بناء المنهج الحركي الإسلامي:

وضع فتحي يكن مُسلمات لا بد منها، لبناء فكر حركي إسلامي، لأن الإسلام اليوم يخوض معركة مصير، لذلك من حقه على أبنائه والسائرين في دربه، أن يذودوا عنه وينافحوا دونه بكل إمكانياتهم الفكرية والمادية والمعنوية. والمعركة هذه يجب أن تستفز أهل الإيمان في كل مكان لسد الثغرات وحماية الجبهات التي منها يتسلل الخصوم والأعداء[1].

وبالرغم من ضخامة التحديات التي يُواجهها الإسلام، إلا أنّ من خصائص هذا الدين الاستعصاء على معاول الهدم، ومن شأنه أن يخرج من كل صراع قوياً ومنتصراً، إنه يؤكد على الزمن وأبديته التي جعلها الله إحدى صفاته المميزة حين يؤكد: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[2].

---

(1) فتحي يكن، **ماذا يعني انتمائي للإسلام**، ص5.

(2) سورة الحجر: الآية 9، انظر: فتحي يكن، **ماذا يعني انتمائي للإسلام**، ص 9.

ومن السهام الحديثة التي وُجِّهت للإسلام من مصانع أضاليل الغرب وما حوى من ليبرالية وشيوعية وكذلك من جاهلية أحفاد بعض المسلمين، أن اتهموه بالرجعية واعتبروا الدعوة إليه عودة إلى الوراء، ولم يعتبروا شرائع حمورابي ومحاورات أفلاطون، ومطارحات ميكافلي عودة الى الوراء. واعتبره ميشال عفلق كغيره من المراحل الفكرية والحضارية التي مرت بها الأمة، بينما اعتبر أقواله ومشروعه الفكري والسياسي خالداً إلى الأبد.

ويردّ الداعية فتحي يكن عوامل نشوء هذه الادعاءات والشبهات إلى غيبة أهل الدار عن دارهم وجهلهم بحقيقة إسلامهم، مما أتاح للأفكار الغربية والحديثة أن تخترق جداره الصلب، فاندفعت وهي تسوق أمامها فيضاً من التصورات والآراء والطعون والانتقادات لكل فكرة دينية على الإطلاق، فعلوا ذلك وما زالوا وهم يُسقطون عليه نتائج الصراع الذي شهدتهُ أوروبا بين الكنيسة وحملةِ العلم وأصحاب نظريات التطور الحضاري. . . وما كان ذلك ليحدث على الإطلاق لولا جهل المسلمين بحقيقة دينهم وخصائص إسلامهم وآفاق شريعتهم، ما جعلهم لقمة سائغة للاتجاهات والمذاهب المادية التي غزت العالم الإسلامي في مطلع القرن العشرين[1].

لذلك، ومن أجل إعداد القدرة الكافية والمتكافئة للتصدِّي لهذا الواقع الذي يُوجه حرابه إلى قلب الأمة كان لا بد من المنطلقات التالية[2]:

---

(1) فتحي يكن، **الإسلام فكرة وحركة**، ص 9 ـ 11.

(2) فتحي يكن، **ماذا يعني انتمائي للإسلام**، ص71 ـ 75.

1 ـ **أن أكون مؤمناً بأنَّ المستقبل للإسلام:**

وهذا الإيمان يجب أن يصل إلى درجة اليقين. . . فكون الإسلام من عند الله، معنى ذلك أنه الأجدر والأقدر على تنظيم شؤون الحياة وقيادة ركب الإنسانية وريادتها، إنه المنهج الأوحد والمتناسب مع حاجات الفطرة وريادتها، إنه المنهج الأوحد والمتناسب مع حاجات الفطرة وإقامة التوازن بين المتطلبات النفسية والحسية.

2 ـ **أن أكون مؤمناً بقصور المناهج الوضعية:**

يجب إدراك مدى التخبط والفشل الذي يُلازم النظم الوضعية في كل أنحاء المعمورة، رأسمالية كانت أم ديمقراطية حرة، أم اشتراكية شيوعية.

فهذه النُّظم «يمينية ويسارية» فشلت في تأمين السعادة والطمأنينة والاستقرار للإنسان، وبدلاً من ذلك فقد زادت من شقائه وتعاسته، حيث تهدّمت الأواصر العائلية والمجتمعية، وتفسخت الأخلاق وحلّ التوتر والتشنج مكان الاستقرار.

وفي الجانب الاقتصادي لم تتمكن الأنظمة الوضعية من تأمين مجتمع الكفاية والعدل، وقد عاش فتحي يكن لليوم الذي رأى فيه دول العالم وهي تستنفر المؤسسات الإنسانية كي تُقدم المساعدات الغذائية لضحايا المجاعة في الاتحاد السوفياتي والذي كانت بلاده بجمهورياتها المتعددة تمد العالم بالحبوب من القمح وغيره.

وفي المجال السياسي فإنّ العالم لم يشهد إلا مزيداً من الثورات والحروب التي لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، من حيث انعدام القيم والمثل، وحيث تساوى الإنسان مع أدنى الحيوانات التي تُداس تحت الأرجل أو تقطع أوداجها بسكين الجزار. . .

المبحث الرابع

خصائص المنهج الإسلامي

إنَّ ربانية المنهج الإسلامي تجعل له القوامة على سائر المناهج الوضعية، وتفرده بخصائص البقاء والعطاء في كل زمان ومكان. إنه منهج عالمي ومرن يستطيع استيعاب مشاكل الحياة المتجددة والمتنوعة والمتعددة، كما يفسح المجال للاجتهاد في استنباط الأحكام في ما لا نص فيه وذلك عن طريق القياس واعتبار المصلحة المرسلة والاستحسان وغير ذلك من الأدلة الشرعية[1].

والمنهج الإسلامي شامل، فهو ليس تصوراً عقيدياً فحسب، ولا دينياً فحسب؛ أي لا يقتصر على العبادة الروحية، وهو ليس نظاماً اقتصادياً وسياسياً مجرداً. . . إنه منهج حياة «يجمع الى رقة التوجيه دقة التشريع، وإلى جلال العقيدة جمال العبادة، وإلى إمامة المحراب قيادة الحرب»[2].

والخاصية الأساسية في هذا المنهج هي «الحاكمية لله»، فليس

---

(1) فتحي يكن، **ماذا يعني انتمائي للإسلام**، ص 73 ـ 75.

(2) فتحي يكن، **الإسلام فكرة وحركة**، ص 17.

ذلك لفرد أو حزب، أو شعب، فالحاكمية إنّما هي لله تعالى خالق الكون، وتتحقق هذه الحاكمية عن طريق الالتزام بتعاليم وأحكام القرآن الكريم والسنّة الشريفة، إنّه الشرع الذي يساوي بين الناس مطلقاً، فلا فضل لأحد على الآخر إلا بالتقوى. لقد تعلّم المسلمون الأوائل ذلك من موقف رسول الله (ص) يوم جاؤوا إليه كي يشفعوا للمرأة ذات الحسب والنسب، وهي من بني مخزوم، وقد سرقت، فوقف رسول الله غاضباً وخطب في القوم قائلاً: «. . . أيها الناسُ إنما ضلَّ من كان قبلَكُم أنهم كانوا إذا سرقَ الشريف تركوه. وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد. وأيْمُ الله لو أنَّ فاطمة بنت محمدٍ سرقت لقطع محمد يدها. . . »[1].

والمنهج الإسلامي منسجم مع الفطرة، إنه يعترف للإنسان بحاجاته الروحية والعضوية، ويقيِّمه تقييماً إنسانياً، يراعي في ذلك نوازعه الفطرية كلها، وبذلك يحقق التناسق والتوافق بينها جميعاً[2] «والإنسان المُكوّن من النوازع المادية والروحية والمتطلبات البدنية والنفسية لا يمكن أن ينعم بالراحة والاطمئنان ما لم يحقق إشباع احتياجاته الفطرية كلها. . »[3].

وحقيقة تكوين الإنسان تقضي بأن تُصرَّف طاقاتُه وتُشبَّع شهواتُه، فكل شهوة زائدة عن الحد فإنها تجرف صاحبها نحو الهاوية، وكذلك تصيب غيره من الناس، تُصيبهم بعدوان يقع عليهم لا محالة من هذه

---

(1) فتحي يكن، ص 16، وانظر: سيرة ابن هشام.
(2) فتحي يكن، **الإسلام فكرة وحركة**، ص18.
(3) فتحي يكن، **الإسلام والجنس**، ص13

الشهوة التي تتجاوز الحدود[1]. إنَّ نظرة الإسلام تستند الى الإحاطة التفصيلية بطبيعة الإنسان، وبطبيعة خصائصه العضوية والنفسية... وبالنتائج المرتبة عليها والغايات المقصودة منها[2].

والمنهج الإسلامي يبني لذاته ولا يُرقع لغيرِهِ، لقد عرضَ الجاهليُّون على النبي محمد (ص) بلسان مُوفدهم عتبة بن ربيعة، الملك والمال على أن يترك الأمر الذي جاء به ويتخلى عن الإسلام، فأجابهم (ص): «ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا المُلكَ عليكُم. ولكنَّ الله بعَثَني إليكم رسولاً. وأنزلَ كتاباً، وأمرني أن أكونَ لكُم بشيراً ونذيراً، فإن تقْبلُوا مني ما جئتُكم به فهُو حظُكم في الدنيا والآخرة. وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»[3].

إنَّ رسول الله (ص) يريد كلَّ ذلك، لكن عن طريق واحد، ومن شجرة واحدة، إنه يريد الثمر من الشجرة التي يَغرسُها، لا من شجرة أخرى، إنَّ المرء الذي يقبل أن يعتبر نفسه أباً لعائلة تمَّت استعارةُ أولادِها من مكان وأمِّهمْ من مكان آخر فهو واهم، من يصدق أن هذه أسرة؟! فالأسرة هي التجمع العائلي الذي أثمرته علاقة زوجية شرعية، وكان من ثمارها البنين والبنات... هذه هي الأسرة الشرعية. وذلك هو منهاج الإسلام في التغيير.

---

(1) فتحي يكن، ص 25. والكلام مُقتبس من: محمد قطب، **منهج التربية الإسلامية**.

(2) المصدر نفسه، ص27.

(3) فتحي يكن، **الإسلام فكرة وحركة**. ص 22. انظر: تهذيب سيرة ابن هشام، لعبد السلام هارون، ص 63 تحت عنوان: ما دار بين رسول الله (ص) وبين رؤساء قريش.

وتحت عنوان: الإسلام منهج تغييري يقول فتحي يكن: «ومن خصائص المنهج الإسلامي أنه تغييري، يرفض الترقيع أو الترميم، ولا يرضى بأنصاف الحلول أو أرباعها، كما لا يستسيغ التعايش مع الجاهلية.. ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[1].

وهذا ما تؤكده كذلك سورة الكافرون، فقد جاءته قريش تعرض عليه أن يعبد آلهتها شهراً لتعبد إلهه شهراً آخر، فنزل القرآن الكريم بالموقف الحاسم يقول عز وجل: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ * لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾[2].

غير أنَّ فتحي يكن لم يحدد نوع العلاقة أو القطيعة مع المجتمع الكافر، هل تختص بالجانب الديني فقط، أم أنها شاملة في كل المجالات الدينية والاجتماعية والإنسانية؟ وفكرة القطيعة أو مفارقة المجتمع الجاهلي أعطاها الشهيد سيد قطب في كتابه (معالم في الطريق) بعداً مهماً حيث أجاد في تصوير حالة المسلمين الأوائل الذين صاحبوا محمداً (ص) وانفصلوا عن مجتمعهم الجاهلي، في الدين والتصور للحياة والوجود، ونشأ عن فعلهم الإيماني ذلك وإيمانهم برسالة المصطفى عليه الصلاة والسلام، مجتمعٌ إسلامي فريدٌ من نوعه، بقيادة جديدة أيضاً لم يَدِنْ فيها أحدٌ لغير الله تعالى بالولاء والطاعة والتبعية. يصف سيد قطب حال ذلك الجيل بقوله: «كانت هناك عزلة شعورية

---

(1) فتحي يكن، **الشباب والتغيير**، ص17 ـ 18، والآية من سورة الأنفال: 39.

(2) سورة الكافرون: الآيات 1 ـ 6. انظر: فتحي يكن، **الشباب والتغيير**، ص 18.

كاملة بين ماضي المسلم في جاهليته وحاضره في إسلامه، تنشأ عنها عزلة كاملة في صِلاته بالمجتمع الجاهلي من حوله وروابطه الاجتماعية، فهو قد انفصل نهائياً عن بيئته الجاهلية واتصل نهائياً ببيئته الإسلامية. حتى ولو كان يأخذ من بعض المشركين ويعطي في عالم التجارة والتعامل اليومي، فالعُزلة الشعورية شيء والتعامل اليومي شيء آخر... وكان هذا مفرق الطريق، وكان بدء السير في الطريق الجديد»[1].

وسيد قطب كان يرى أنَّ الصفات التي تميز بها المجتمع الجاهلي في زمن رسول الله (ص) هي نفسها التي يتصف بها قسم من المجتمع الإسلامي اليوم، دون أن يفرق بين مجتمع كافر أصلاً ومُصرٍّ على تعنته وجحوده لله (عز وجل) وآياته، وبين مجتمع أصابه الترهل والتشويه الذي عملت فيه يد أعدائه من المستشرقين والعلمانيين المتغربين. وهذا الغزو الفكري الذي شوّه المفاهيم الإسلامية وشكك في المبادئ الدينية، لم يكن وليد اللحظة فقد عرفت الأمة من قبل غزواً فكرياً مماثلاً عن طريق ترجمة فلسفة الأمم السابقة وفكرها، وخصوصاً الفكر الذي بُعث من مقابر الإغريق القدماء آتياً عبر الجمال التي حملت كتبه من بيزنطة أو جزيرة قبرص[2] وقد وجد هذا الفكر الدخيل قبولاً واهتماماً عند بعض المترفين من أهل ذلك الزمان، ممن كانوا على خط التماس مع مذاهب وعقائد ليست من الإسلام في شيء، ولا الإسلام يُقرها، وانتقلت العدوى، وساعد على ذلك الانحطاط الذي شهده العالم الإسلامي، نتيجة أخطاء قاتلة في فكره السياسي الذي أجاز تُقلّدَ الإمارة بالوراثة

---

(1) سيد قطب، **معالم في الطريق**، ص17.

(2) جلال الدين السيوطي، **صون المنطق والكلام**، ص21.

وبالغلبة، فتحولت مراكزُ الحُكمِ الإسلامي الى ساحات قتال يقتل فيها الحميم حميمه من أجل الاستئثار بالسلطة عن طريق القتل والغلبة.

وكان من ثمار ذلك أن حُرمت الأمة من خيرة أدمغتها ومن فضل أعظم رجالها، وانزوى أهل العقل والروية والعلم جانباً، وباتت دورُ الخلافة مسرحاً وملكاً للطامحين الجانحين إلى حدَّ الهوس والجنون في طلب السلطة. . .

وفي دياجير تلك الظلمات تسرَّب فكر آخر لا يقل خطورة وهدماً للمفاهيم الإسلامية الصافية والصحيحة، ولعل عذر من عاصروا تلك الفترة أنهم لم يجدوا متنفساً أو وسيلة أخرى تخرجهم مما هم فيه من عجز عن مواجهة الوضع السيء المخالف للشرع، إلا أن يجنحوا بخيالهم باتجاه أفلاك أفلاطون وإشراقياته. . . وتحول الأمر إلى صوفية يلوذ بها المسلمون هرباً من الحديد والنار الذي يطاول لهيبه من على مسافات شاسعة. . . كل من اقترب من دائرة الحكم الاستبدادي والظلم.

إنّ ذلك الواقع ورّث الأمة جسماً مجروحاً بل معلولاً ومهترئاً في أكثر من ناحية، ومن تلك الجروح المفتوحة إندفع أعداء الأمة ليثأروا لكل أصنام قريش: هُبل واللات والعزى ومناة ويعوق ويغوث ونسراً، وليثأروا لفرعون من موسى (ع) وللنمرود من إبراهيم (ع)، ولأبرهة من الطيور الأبابيل. . . لقد عرفوا أنّ الجهة الوارثة لموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام هم المسلمون؛ لذلك جاء اليوم الانتقام شرساً، وكان الاتقان في الكيد، وتجلى ذلك بأبرع الخطط وأمهرها، من زرع فتن، ونبش قبور خربة، ونسج تاريخ من محض خيال الحقد والضغينة،

إن الباحث ليُذهل عندما يطّلع على الجهود التي بذلها هؤلاء في دراسة أوضاع المسلمين فكراً وتنظيماً وانتماءً عرقياً وقبلياً، وتوزيعاً جغرافياً. . . والتعرف على الفرق والمذاهب، ومعرفة المثالب بين كل المختلفين. . . ومع سيطرة الأعداء على وسائل الإعلام والنشر وصناعة الإيديولوجيات تمكنوا من تنفيذ خططهم في إبعاد الأمة عن دينها وأخلاقها وقيمها وحضارتها.

هذا هو واقع الأمة الإسلامية. . . إلا أنّ سيد قطب لم يأخذ كل ذلك بعين الاعتبار، وهذا ما جعله يضع الأمة في مصاف الجاهلية السابقة، يقول (رحمه الله): «نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم، كل ما حولنا جاهلية. . . تصورات الناس وعقائدهم، عاداتهم وتقاليدهم، موارد ثقافتهم، فنونهم وآدابهم، شرائعهم وقوانينهم، حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية، ومراجع إسلامية، وفلسفة إسلامية، وتفكيراً إسلامياً. . . هو كذلك من صنع هذه الجاهلية»[1].

ثم يطرح حلاً لهذا الواقع قائلاً: «فلا بدّ إذن ـ في منهج الحركة الإسلامية ـ أن نتجرد في فترة الحضانة والتكوين من كل مؤثرات الجاهلية التي نعيش فيها ونستمد منها. لا بد أن نرجع ابتداءً إلى النبع الخالص الذي استمد منه أولئك الرجال. . . وعندها نستمد تصوراتنا للحياة والحكم والسياسة والاقتصاد وكل مقومات الحياة»[2].

لكنه لم يُبين كيف يمكن حصول ذلك، خاصة وأنه لا يقبل أي

---

(1) سيد قطب، **معالم في الطريق**، ص 17 ـ 18.

(2) المصدر نفسه، ص 18.

علاقة أو تماس بين ذلك المنهج والواقع الجاهلي الذي يعيشه المسلمون عندما يقول: «. . . كلا! إنّنا وإياه على مفرق الطريق، وحين نسايره خطوة واحدة فإننا نفقد المنهج كله ونفقد الطريق!»[1].

هذا هو المفهوم الذي أعطاه صاحب كتاب (معالم في الطريق) للقطيعة بين منهج الحركة الإسلامية والواقع الذي يعيشه المسلمون.

أما الداعية فتحي، يكن فإنّه بقي غامضاً في تحديده للعلاقة بين الواقع الإسلامي والمنهج الحركي الإسلامي، ففي حين يرى أن «التغيير الإسلامي هو تغيير جذري كلي للكيانات الجاهلية وليس ترقيعاً لها أو إصلاحاً لجانب من جوانبها. . .»[2] نجده قد سبق هذا الموقف مذكراً بمسلّمة تقضي بأنّ «التغيير الإسلامي لا يمكن أن يصطدم باليقينيات العلمية أو يتعارض مع التقدم التقني. .»[3] ونفهم ذلك من خلال رده على الذين يُقدمون النظريةَ على الواقع، وينسب فشلهم إلى إدارة ظهورهم لأسباب التغيير، فهم «لم يلتمسوا النواميس التي وضعها الله للتغيير. وإنما اعتبروا أن التغيير خارقة يمكن أن تتحقق بدون عناء ومعاناة. وكأنهم لم يتدبروا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[4]. إنّ ربط الأسباب بالمسببات، وإنَّ الأخذ بالأسباب كلها قاعدة أصلية في دين الله لا يجوز إغفالها أو إهمالها أو التهاون فيها. . . .»[5].

---

(1) المصدر نفسه، ص 19.
(2) فتحي يكن، **الشباب والتغيير**، ص 28.
(3) المصدر نفسه، ص 28.
(4) سورة الرعد: الآية 11.
(5) فتحي يكن، **الشباب والتغيير**، ص40.

ومع أنَّ الداعية فتحي يكن كان قد اقترب كثيراً من الواقع الميداني، إلا أنه لم يُوضح ذلك صراحة ولم يُسمِّ الأشياء بأسمائها. . .

لكن ذكر الأسباب والمسببات، وكذلك اليقينيات العلمية. . . والتقدم التقني. . . يعني أنَّ التغيير يخضع لنواميس أساسية تتحكم في مسيرة الثبات والتقدم، والانحطاط والازدهار. . .

وعندما ندرس هذه النواميس دراسة معمقة نجدها ملازمة لكل مجال، فالتحول الاجتماعي له قوانينه التي لا يمكن تخطِّيها، وكذلك تغيير العقائد، وهذا ينطبق على كل ضرب من ضروب الحياة.

إنَّ العمل الإسلامي الصحيح المعافى ـ في نظر الداعية يكن ـ هو العمل القائم على منهج رسول الله (ص)، المتكامل في جوانبه وتوجهاته، المتوازن في معاييره، ومقاديره وأولوياته.

ومن مقومات التوازن أن يكون عقل الإنسان هو الذي يُسيِّرُ أفعاله ويُنظِّم حركاتِه وتصرفاته وليس أي عضو آخر في جسم الإنسان، مع عدم إلغاء دور أي عضو آخر، وذلك يشمل كل المجالات، فلا بد من التوازن في العبادة وكذا في السياسة، ولتأكيد هذا المعنى يستشهد فتحي يكن بأبيات من الشعر كتبها عبد الله بن المبارك إلى أخ له فضَّلَ الاعتكاف في المسجد الحرام على الجهاد في سبيل الله تعالى:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لوجدت أنك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب[1]

---

(1) فتحي يكن، أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي، ص 46 ـ 50.

ومن مشهد يعرضه القرآن الكريم، يمكن فهم التوازن المطلوب في شخصية المسلم، قال تعالى:

﴿لَيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1]. إذن بعد الإيمان بالله تعالى على المؤمن أن يتصدق بماله وهو مُحب له ويؤثر أصحاب الحاجة على نفسه مع أنه محتاج، وإنفاقه يبدأ من الدائرة الصغرى، ذوي القربى، ثم الأيتام، والمساكين وهم الذين لا يجدون حاجتهم من مأكل وملبس ومسكن. . . وابن السبيل وهو الذي نفد ماله أثناء سفره، وللسائلين، ولعتق رقاب العبيد، وإقامة الصلاة ودفع ما يتوجب من زكاة المال وغيره، والوفاء بالعهد، والصبر في حال الفقر وفي حال المرض، وكذلك في القتال في سبيل الله تعالى. . . إنَّها الصفات التي يتَّصف بها الذين صدقوا الله تعالى، وهؤلاء هم المتقون[2].

من هنا، فإنّ فتحي يكن يرى أنّ العمل المتوازن صعب جداً، وأن اليُسْرَ هو في العمل الجزئي، الذي ينمو بسرعة، وهذا ما يجعل الاتجاهات والحركات غير المتكاملة والمتوازنة تعجز عن تغطية أي جانب من جوانب العمل الإسلامي خارج تخصُّصها.

والسرعة في النمو تُقابلها سرعة في الارتكاس السريع كذلك، أما

---

(1) سورة البقرة: الآية 177.

(2) الشيخ محمد كنعان، **فتح القدير تهذيب ابن كثير**، ج1، ص272 ـ 275.

صعوبة العمل الكلي المتوازن وما يحتاجه من معاناة فهي سبب نموه البطيء، وهي بالتالي سبب ثباته ونجاحه، وهذا ما يؤكده حديث رسول الله (ص): «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلّ»(1).

لقد أعطى الفكر الإسلامي المعاصر مفهوماً آخر أو تفسيراً واقعياً للعلاقة بين الحركة الإسلامية والمجتمع الذي تعيش فيه وتنتمي إليه، وهذا ما حصل في السودان وفي الجزائر وفي الأردن وكذلك في تونس عبر شخصية إسلامية معروفة وبارزة، إنه راشد الغنوشي الذي يعتبر أن من معوقات نجاح التيار الإسلامي الذهنية والنفسية «فكرة القطيعة بدل التواصل مع جهود السابقين ومنجزاتهم الحضارية، مسلمين كانوا أو غير مسلمين. فالقطيعة عقبة فكرية ومنهجية في التعامل مع الآخر. إنَّ صفة الجاهلية التي أطلقها القرآن على الحياة العربية قبل الإسلام لم تمنع النبي (ص) من أن يُعلن أنه جاء متمماً لمكارم الأخلاق «إنَّما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فلم يرَ في أهل الجاهلية الشر المحض، بل أقرَّ وزكّى القيم الجميلة والأخلاق الكريمة»(2). ثم يتساءل الشيخ راشد الغنوشي: «فهل تكون الحضارة المعاصرة وما زخرت به من مظالم ومفاسد، أشد ظلمة من الجاهلية الأولى، حتى يجيز المسلمون لأنفسهم أن يتخيلوا أن العلاقة الوحيدة المُمكنة مع تلك الحضارة علاقة القطيعة والنبذ، بدل التمحيص والنقد الموضوعي والأخذ والرد؟» ثم يُبين أنَّ أكثر المتسامحين أجازوا الاستفادة من الآلة فقط وأنهم يفرقون بين ثقافة تلك الحضارة وعلومها، وأن تفريقهم هذا هو «دون مستندات شرعية أو

---

(1) فتحي يكن، **أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي**، ص 63 ـ 64، بتصرف، والحديث مُتفق عليه.

(2) راشد الغنوشي، **مجلة الإنسان**، السنة الأولى، محرم 1410هـ آب 1990، ص19 ـ 20.

مصلحية واضحة التفريق بين آلةٍ يجوز أخذها وآلة أخرى. . . كالنظام الإداري والسياسي والإعلامي والقضائي. . . مع أنها كلها آلات استمد الغرب أصولها من حضارة الإسلام» ويقول الشيخ الغنوشي: «فلماذا الإصرار على رفض التواصل مع تلك المنجزات والاستفادة منها بعقل مفتوح وقلب سليم يطلب الحق والجدوى والحكمة، وذلك في حُدود قيم شريعتنا وتقديرات مصالحنا. . .؟».

ويرى الغنوشي أنَّ منهاج الإسلام في التعامل مع الآخر كثيراً ما تجنب التعميم «فالكافرون ليسوا كلهم أعداء، فمنهم المُسالم ومنهم المقاتل الكائد، ومنهم الصديق ومنهم العدو: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1]. وأهل الكتاب منهم الصالحون أصحاب الأمانات ومنهم الخونة: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾[2].

ويُقسِّم الغرب إلى «. . . شُعوب مقهورة مسكينة بائسة في الغرب لا تكاد تعلم عن الإسلام شيئاً فكيف تعاديه مثل ملايين المُشرَّدين والمخدَّرين والمُجْرمين. . . ومنهُم دارسون للإسلام وحضارته ما استطاعوا الخلاص من جاذبيته والإعجاب بروائع حضارته، فأسلم بعضهم وتعاطف البعض الآخر فهو صديق يُدافع عن قضايا الإسلام. . . ومنهم من كتم إيمانه ومنهم من هو في الطريق. . . وفي الغرب أصوات حرة ترفض الارتهان الغربي لمصالح الصهاينة. وفي الغرب قوى مردت

(1) سورة الممتحنة: الآية 8 .

(2) سورة آل عمران: الآية 75.

على النفاق... فهل من العدل أو المصلحة في شيء هذا التعميم السهل، أليس العدل للإسلام خلة؟. إنها ضرورة البحث عن الأصدقاء في كل الجبهات وتكثير صفهم ومحاصرة جبهات العداء والرفض، تدفعنا إلى الالتزام بمنهج العدل».

إنَّ هذا موقف من العلاقة مع المجتمع بعيد عن موقف الإسلام، فكيف ستكون العلاقة إذاً مع المسلمين؟ إنها بدون شك، قياساً على ما قاله الشيخ الغنوشي، أكثر التصاقاً وتفاعلاً... والبقاء للأصلح[1].

لكن ما موقف فتحي يكن الصريح من هذا الأمر المهم جداًّ؟ لعل ذلك ما يُمكن أن نستشفه من مناقشته للعزلة الشعورية التي تحدث عنها سيد قطب، فهو يعرّفها بأنها عزلة نفسية لا حسية، أي «عزلة الشعور من أن يدنسه رغام الجاهلية... عزلة النفس واستعلاء إيمانها وهي تمضي في خضم الجاهلية تكشف الزيف، تتحدى الباطل، تكابد وتُجاهد... والعزلة هنا تعني التمايز... بالفكر والتصور، وبالأخلاق الحسنة والسلوك وبالمشاعر والأحاسيس... أما العمل والحركة والاحتكاك والدعوة فلا مجال للعزلة أو للانفراد...»[2].

ومع الالتزام المبدئي الذي يعني وفق مفهوم فتحي يكن: «الالتزام الكلي بمنطوق الإسلام في المقولات والممارسات، من غير ترخيص، أو انحراف، ومن غير مسايرة أو تنازل، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ

---

(1) لمزيد من التفصيل عن المفاصلة، انظر كتابنا: **تشكيل الشخصية الإسلامية المعاصرة من خلال القرآن الكريم**، ص 109 وما بعدها.

(2) فتحي يكن، **ماذا يعني انتمائي للإسلام**، ص120 ـ 121.

لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[1].

والمبدئية أيضاً تعني عدم تبرير الوسيلة من أجل الغاية، وتعني رفض أنصاف الحلول، والتسويات، والتنازلات، والإصرار على الموقف الحق.

والمبدئية تعني «أن نكون مشدودين دائماً إلى الهدف الرئيسي من وجودنا كمسلمين ألا وهو تعبيد الناس لله رب العالمين»[2]. . . لكن هناك مرحلية في العمل الإسلامي، وهي تعني التدرج في الخطوات والانتقال من مرحلة إلى أخرى كيفاً وكماً، ولكن ضمن الدائرة المبدئية وليس خارجها.

لكن ماذا يعني فتحي يكن بالمرحلية؟

يقول: «ونعني بالمرحلية ضرورة الأخذ بالأسباب المادية والمعنوية كلها لتحقيق الهدف الرئيسي. . .».

«ونعني بالمرحلية إقامة محطات على طريق العمل الإسلامي، كل محطة تشير إلى بلوغ نهاية مرحلة من مراحل السير».

وللدلالة على جواز المرحلية في العمل الإسلامي، فقد استعرض فتحي يكن السيرة النبوية التي رأى فيها كتّابها أنها مرت بأربع مراحل، مرحلة التكوين، مرحلة الجهر بالدعوة لعشيرته وأقربائه، ثم مرحلة إعلان دعوته إلى الناس جميعاً. . . حيث وقف الرسول (ص) في سوق

---

(1) سورة الأحزاب: الآية 36.

(2) فتحي يكن، **أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي**، ص 154 ـ 155.

عكاظ وذي المجاز ومنى يترصّد القوافل القادمة إلى أنحاء الجزيرة، ليتصل بها وينقل إليها رسالة ربه، ثم مرحلة الهجرة من مكة إلى يثرب (المدينة المنورة) حيث تميزت هذه المرحلة بخطوات عملية وجهادية تحقق فيها قيام أول دولة إسلامية[1].

---

(1) فتحي يكن، مصدر سابق، ص157 ـ 158

المبحث الخامس

طبيعة العمل الإسلامي في لبنان

في البداية يطرح فتحي يكن، السؤال الآتي:

«والآن كيف نطبق هذا في لبنان؟ كيف نُوازن بين المبدئية والمرحلية في العمل الإسلامي على الساحة اللبنانية؟».

ويجيب عن هذه التساؤلات بما يأتي:

أولاً: إنَّ التعددية الحضارية والانتماءات الحزبية والطائفية ليست أرضاً صالحة لقيام حُكم عقائدي «سواء كان إسلامياً أو نصرانياً أو يسارياً».

ثانياً: إنَّ الواقع اللبناني ببنيته البشرية والاقتصادية ليس صالحاً لقيام دولة، فكيف إذا كانت عقائدية؟.

ثالثاً: إنَّ العمل الإسلامي في لبنان له خصوصيته «بمعنى أنّ الساحة اللبنانية لا تصلح لتحقيق الهدف الرئيسي من العمل الإسلامي، (أي قيام دولة إسلامية).

لذلك فإنّ العمل المرحلي للعمل الإسلامي في لبنان يجب أن يُركز على:

أ ـ بقاء وحدة لبنان، وعدم السماح بتجزئته وقيام دويلات عنصرية وطائفية.

ب ـ تحقيق التوازن في كيان الدولة، وصيانة الحياة اللبنانية من عوامل الانحراف الخُلقي، والتخريب الفكري، كي يساعد ذلك على استنقاذ الأجيال من براثن التغريب والإلحاد.

ج ـ الاستفادة من وجود مشاكل اجتماعية مُستعصية كأدلة وشواهد حيّة على إخفاق وفشل الأنظمة الوضعية، وأن يُركز من خلالها على أنَّ الحل الجذري هو بالعودة إلى الإسلام[1].

خلاصة القول: إنَّ العمل الإسلامي في لبنان له مهمة أساسية وهي المحافظة على الوجود الإسلامي، وعدم السماح بذوبان المسلمين في بلد يُراد له أن يكون مركزاً سياحياً عالمياً.

مفهوم المشاركة في الحكم في لبنان:

يقول فتحي يكن: «يعترض البعض بين الحين والآخر على (مطلب المشاركة المتوازنة) الذي تتبناه وتطالب به الهيئات الإسلامية في لبنان. . . ويقولون: «إن ذلك يعني مشاركة غير المسلمين في الحكم، وهذا باطل شرعاً. . .».

«. . . والحقيقة إنَّ هؤلاء المعترضين - إن حسُنْت نواياهم - لم يُفرقوا بين مشاركة المسلمين ومشاركة الإسلام، فخلطوا بينهما، في حين إن لكل منهما أحوالاً ومقتضيات وبالتالي أحكاماً واجتهادات. . .»

---

(1) فتحي يكن، المصدر نفسه، بتصرف، ص160 ـ 162.

صحيح أن الحكم بما أنزل الله تعالى هو أمر اعتقادي بالنسبة للمسلمين لا يجوز التهاون فيه، أو تعديله أو تغييره، وصحيح أيضاً أنّه ليس مطلوباً من الشريعة الإسلامية ومن المسلمين أن يتلمسوا الحلول للنظم الوضعية، في حين يقضي الواجب تعريتها وإظهار فشلها، لكن الصحيح أيضاً أن الإسلام «لا يَفرض على المسلمين أن يظلوا في أنظمة الكفر مظلومين مسحوقين إن استطاعوا أن يرفعوا الظلم أو بعضه عنهم - طالما أنه لم تقم (الدولة) التي إليها يُهاجرون وبها يحتمون - كما أنه لا يُفرض عليهم أن يظلوا مستضعفين، إن كان بإمكانهم أن يتلمسوا أسباب القوة والمنعة، بل إن الإسلام ليفرض عليهم... أن يُعدّوا ما وسعهم الإعداد، وأن يحتلوا في الواقع الجاهلي من مراكز القوى ما استطاعوا...».

كما أنّ حرص المسلمين وسعيهم لتحسين أحوالهم في ظلِّ النُّظم الوضعية ليس معناه عدم الرغبة بتغييرها...[1].

وبعد استشهاده بحلف الفضول الذي شهده رسول الله (ص) في الجاهلية، والذي قال عنه (ع): «... ولو أُدْعَى به في الإسلام لأجبتُ» وقد تمّ بموجب ذلك الحلف توزيع مهام: السقاية والرفادة والحجابة واللواء والندوة... والتي تعني بالمصطلح المعاصر «جميع المصالح التي يحتاجها الناس...». يخلص الداعية فتحي يكن إلى النتيجة التالية:

«إنَّ المشاركة لا تعني مشاركة الإسلام للنُّظم الوضعية في الحُكم، كما أنّها ليست البديل عن الحكم الإسلامي... إنّما المراد من المشاركة

---

(1) فتحي يكن، **أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي**، ص163 ـ 165، بتصرف.

وطروحاتها رفع الظلم عن المسلمين... استنقاذ حقوقهم... وقف التآمر الذي يهدف إلى استئصالهم... تدعيم مواقعهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، ليكونوا أقدر على التحدي وعلى الصمود في وجه محاولات التذويب والتغريب...».

«إنَّ تفرد غير المسلمين في السلطة لا يعني فقط زوال المسلمين وإنَّما يعني كذلك زوال الإسلام واستئصاله... كما يعني انحسار الوجود الإسلامي الحركي عن معترك الصراع في لبنان... وبقدر ما يتحقق للمسلمين من مكاسب وإمكانيات ومراكز قوى، بقدر ما يُمكن أن يتاح للإسلام من فرص الانتشار والتأصُّل والتمكن»[1].

إنَّ أدلة فتحي يكن في هذا المجال راجحة وواقعية، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(1) فتحي يكن، المصدر نفسه، ص 165 ـ 166، بتصرف.

المبحث السادس

الداعية فتحي يكن ومصادر منهجه الحركي

مُبررات الوجود الحركي:

يستدلّ فتحي يكن على وجوب العمل الحركي الإسلامي من قاعدة أساسية كبرى هي «مبادئ الإسلام وأهدافه الكبرى». إنَّ هذه المهمة الضخمة ليست معدة على مبدأ الأفراد، ولا على مبدأ مجموعات لا يلتقون في تصوراتهم ومفاهيمهم ومنهجهم في التخطيط في نسق واحد مُوحد؛ وتلك المهام العظيمة حدد منها:

أولاً: مهمة الدعوة: والدعوة تعني وجوب الهدم والبناء، هدم كل المجالات، الفكرية والمؤسسية على صعيد الجماعات أو في إطار بناء الدول (نظم وتشاريع) وذلك لا يقتصر على المظهر وإنما يتعداه إلى الجوهر وأنماط العيش. وكذلك في مجال العقيدة حتى التصور الشامل: للكون والإنسان والحياة.

ثانياً: الإسلام لا يُنعَتْ إلا بذاته و«لا يستسيغ الوصول إليه بغيره...»[1] وفي هذا إشارة صريحة إلى موقف الرسول (ص)

(1) فتحي يكن، **الإسلام فكرة وحركة**، ص39 ـ 40.

من رؤساء قريش يوم جاؤوا وعرضوا عليه المال حتى يصبح أغناهم، والسيادة حتى يُصبح أشرفهم، والمُلك إن إراد ذلك [مع أن العرب لم تكن قد ملّكت أحداً من قبل] والطبَّ لمعالجته إن كان مريضاً.

إنَّ رد الرسول (ص) عليهم يؤكد أن الإسلام لا يمكن إدراكه بغيره، قال عليه الصلاة والسلام: «ما بي ما تقولون. ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا المُلك عليكم. ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليَّ كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلّغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم»[1] وبالوضوح نفسه أجابهم (ص) لمَّا عرضوا عليه أن يأتيهم بمعجزات، تجعل بلادهم واسعة بعد أن كانت ضيقة، ويفجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وأن يبعث آباءهم من الأموات وخصوصاً أحد أكابرهم (قصي بن كلاب) كي يسألوه عن أمره أي أمر محمد (ص): فكان الجواب: «ما بهذا بعثتُ إليكم، إنما جئتكم من الله بما بعثني به وقد بلغتكم ما أُرسِلْتُ به إليكُم، فإن تقبلُوه فهو حظُّكُمْ في الدنيا والآخرة، وإن تَردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»...

الميكافلية في السياسة:

وهنا نرى من المفيد أن نعرض لرأي ميكافيلي في طبيعة العمل

---

(1) عبد السلام هارون، **تهذيب سيرة ابن هشام**، ص62 ـ 64.

السياسي وعلاقته بالحق والأخلاق، أو بمعنى أدق في كيفية بلوغ الغاية والهدف خصوصاً في المجال السياسي؛ لأنّ الفكر السياسي الإسلامي المعاصر وجد نفسه في بعض الأحيان في مأزق يتعلق بسبل الوصول إلى بعض الأهداف السياسية.

يرى ميكافيلي أنّ الغاية تُبرر الوسيلة، مع معرفته السابقة بأهمية الصدق والشرف والنبل وضرورة الابتعاد عن المكر والدهاء، إلا أنه يرى أن التطبيق يكشف ما يخالف هذه القيم والمبادئ، فالتجارب أثبتت له أنّ «الأمراء الذين قاموا بأعمال عظيمة، لم يكونوا كثيري الاهتمام بعهودهم والوفاء بها، وتمكنوا بالمكر والدهاء، من الضحك على عقول الناس وإرباكها، وتغلّبوا أخيراً على أقرانهم من الذين جعلوا الإخلاص والوفاء رائدهم»، وحدّد طريقتين لممارسة السلطة، مع أن تعبيره هو: «وعليك أن تدرك أن ثمة سبيلين للقتال»، أحدهما بواسطة القانون وهذا طريق البشر والآخر طريق القوة وهذا سبيل الحيوانات، ولما كانت الطريقة الأولى غير مُجدية لذلك لا بد من استخدام الطريقتين معاً، وهذا يعني أنَّ على الأمير تعلّم طريقة الحيوان، فعليه «أن يُقلد الثعلب والأسد معاً، إذ إنّ الأسد لا يستطيع حماية نفسه من الأشراك، والثعلب لا يتمكن من الدفاع عن نفسه أمام الذئاب؛ ولذا يتحتَّم عليه أن يكون ثعلباً ليميز الأفخاخ وأسداً ليرهب الذئاب. ثم إنّ على الأمير أن لا يحافظ على وعوده عندما يرى أنَّ هذه المحافظة تؤدي إلى الإضرار بمصالحه، وأن الأسباب التي حملته على إعطاء هذا الوعد لم تعد قائمة»، وفي نظره أنّ الوفاء هو من حق الناس الطيبين، «ولكن بالنظر إلى أنهم سيئون، وهم بدورهم لن يحافظوا على عهودهم لك، فإنك لست ملزماً بالمحافظة على عهودك لهم». ويرى أنه «... لن يُعدم الأمير الذي يرغب في

إظهار مُبررات متلونة للتنكر لوعوده، ذريعة مشروعة لتحقيق هذه الغاية». وتفحصه لسير الأمراء السابقين الذين تنكّروا لعهودهم علّمه أنَّ «. . . أولئك الذين تمكنوا من تقليد الثعلب قد نجحوا أكثر من غيرهم، ولكن الضرورة تحتم على الأمير الذي يتصف بهذه الصفة، أن يُجيد إخفاءها عن الناس، وأن يكون محتالاً كبيراً، ومرائياً عظيماً». ويخلص ميكافلي إلى أنّ الناس مفطورون على تقبل هذا الأسلوب أكثر من غيره؛ «ولذا فإنَّ من يُتقن الخداع، يجد دائماً أولئك الذين هم على استعداد لأن تنطلي عليهم خديعته»[1].

وبالرجوع إلى الداعية فتحي يكن فإنّ منهج الإسلام في نظره: «دعوة حق لا يستسيغ الوصول إليه بغيره؛ لذلك فهو يرفض الميكافلية أساساً»[2].

لقد حان الوقت لإعادة النظر في المصطلحات التي استعملت من قبل العاملين في الحقل الإسلامي في هذا القرن لإعادة الإسلام إلى حياة المسلمين، ولدفعه لأن يأخذ دوره في خدمة العالم الذي ما إن يتخلص من ظُلم وطغيان حتى يقع في ظلم آخر أدهى وأمرّ، إنَّ العبثية في حياة الناس مردها إلى التخبط في رسم منهج يقود البشرية إلى السعادة، لقد كان الصراع الدائم، سُنة الله تعالى في خلقه، من يوم خلق الله عز وجل آدم وأمر الملائكة بالسجود له ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ * قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ

---

(1) لمزيد من التفصل انظر: نيكولا مكيافيلي، **الأمير**، بيروت، منشورات دار الآفاق، ط12، 1405هـ ـ 1985م، ص 127 ـ 149، وانظر كتابنا: **مدخل إلى العلوم السياسية**، دار بيروت المحروسة، ط ـ 1411هـ ـ 1991م، ص90 ـ 100.

(2) فتحي يكن، **الإسلام فكرة وحركة**، ص40.

أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ وعندها كان ابتلاء بني آدم إذ طلب إبليس من ربه أن يُمهله إلى يوم القيامة، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1] وفي مقابل هذا الشر المتجسد في إبليس كان الخير الذي أوحى الله سبحانه وتعالى به عن طريق الرسل (عليهم الصلاة والسلام) وفقاً للوعد الذي وعده لآدم وحواء يوم أمرهما بالهبوط من الجنة، وذلك بعد أن أزلَّهما الشيطان، وتاب الله تعالى عليهما وغفر لهما، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2].

فالصراع هو قدر الله تعالى، ونعمته في السعادة والخلاص في الدنيا والفوز والأمن من الفزع الأكبر بما في ذلك من رُعب وحزن يكون في الآخرة، والحياة مسرح للرسل في زمان بعثهم... وتنتهي المهمة كي تكون خاصة بأتباع محمد (ص)، خاتم الرسل ومبلّغ الرسالة الإسلامية ناسخة كل الرسالات من قبل... هذا من جهة، ومن جهة

(1) سورة الحجر: الآيات 30 ـ 40.

(2) سورة البقرة: الآيات 37 ـ 39. انظر: **مختصر تفسير ابن كثير**، مجلد1، ص 56. يُخبر تعالى بما أنذر به آدم وزوجته وإبليس حين أهبطهم من الجنة، والمراد الذرية: إنه سينزل الكتب، ويبعث الأنبياء والرسل، والذين يقبلون دعوة الله تعالى فإنهم لا يضلون في الدنيا ولا يشقون في الآخرة، أما من يعرض عن ذلك فحكم الله فيه ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ...﴾ [سورة طه: الآية 124].

أخرى الفريق الآخر الذين وقعوا في غواية إبليس عليه لعنة الله، والذين يخوضون هذه المعركة يتأطرون في حقيقة الأمر بزُمرتين، كما أخبر القرآن عنهم يوم القيامة: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ..﴾[1]. وعلى كل زمرة في هذا الكون أن تجهد نفسها لكسب الغلبة، والفضل في ذلك لمن أحسن استخدام النواميس المتعلقة بالمهمة التي يقوم بها...

ولما كان فهم الكلمة يرسم ردَّة الفعل، فإنَّ مفكري الغرب المعادين للإسلام يُعضدهم من هم على شاكلتهم في بلاد المسلمين ويقدمون لهم كل خبرة ودراية لمعرفة طبيعة الدعوة الإسلامية وواقع المسلمين، وهكذا تمكّن المستشرقون من تغيير المصطلح لكثير من المرادفات السياسية والاجتماعية وأسماء الأشياء ذات الارتباط بالمحرمات التي نهى عنها الإسلام.

لقد عرف العالم الإسلامي عملية غزو فكري عقائدي حيناً، واجتماعي حيناً آخر، وسياسي في كل حال، وذلك إبان حالات الضعف التي اعترت بنيته وجعلته مستورداً لكل شيء، والمستورد ليست له حرية الاختيار. لقد اضطر المسلمون لخوض تجارب مريرة، مرة تحت لواء الوطنية وأخرى قومية... وإيديولوجية، اشتراكية، شيوعية، على اختلاف التسميات والنعوت، وبعض من ملامح الديموقراطية في بلدان مختلفة من العالم الإسلامي ... كل هذه التجارب مع عملية التعلم التي تمت في جامعات الغرب أو على يد أساتذته وبواسطة وسائل إعلامه... أكسبت المسلمين مزيداً من

---

(1) سورة الزمر: الآيات 71 ـ 73.

المصطلحات اللغوية وطريقة فهمها[1]. ومن أهمها ما جاء من المدارس الفكرية الغربية، الصادرة عن الفكر الشيوعي ومشتقاته والتي كان لها بالغ الأثر في العالم العربي بالذات أكثر من غيره من بلدان العالم الثالث.

وأشهر هذه المصطلحات: الثورة، والاشتراكية، والانقلاب، والتغيير الجذري، حتمية التحول، الرأسمالية، الديموقراطية، الأوتوقراطية... وككل عملية احتكاك بين حضارة وأخرى، كما حصل في العصر العباسي وما بعده من التأثر بمصطلحات جديدة، كالجوهر والعرض، والمنطق، والإشراق... لقد كانت مصطلحات هذا العصر ضاغطة، فاستعملها مفكرون إسلاميون في كتاباتهم فكانت الجاهلية عند سيد قطب، واشتراكية الإسلام عند مصطفى السباعي، ووصف النظام السياسي الإسلامي بالأوتوقراطية عند أبي الأعلى المودودي، والهدم والبناء ثم البريسترويكا عند فتحي يكن.

ثم إنَّ شعار رفض «الميكافلية» خرج عن خطه المرسوم له في الإسلام، ليصبح كشفاً لكل الخطط والنوايا وهذا يساعد مخططي الغرب ـ أعداء المسلمين ـ على التصرف بطريقة تفوّت كثيراً من الفرص كان بإمكان المسلمين أن يستفيدوا منها.

صحيح أن الإسلام لا يقر مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة»؛ لكنه في الوقت ذاته يُقر بأنّ الحرب خدعة وأنه يجب الاستعانة بالكتمان من أجل قضاء الحاجات...

---

(1) عن هذه التجارب يُمكن العودة إلى مقالة في مجلة الشهاب بعنوان: «**الحركة الإسلامية والدور الكبير**» للأستاذ فتحي يكن، انظر: المجلد الوثائقي مجلة «**الشهاب**»، السنة الثامنة، ص 26.

إنَّ رسول الله (ص) حين كان يمرّ بآل عمار بن ياسر وهم يعذبون في الأبطح في مكة المكرمة، كان يقول لهم: «صبراً آل ياسر فإنَّ موعدكم الجنة»[1]. إنَّ رسول الله (ص) كان يحثهم على الصَّبر؛ لكنه كان يعلم أنَّ هناك سُنة إلهية لا بد من الامتثال لنواميسها وعيشها من مرحلة النطفة... حتى الشيخوخة... ثم القبر... إن المعرفة التي يحتاجها آل عمار لم تكن أكثر من ذلك، وعمار لما اشتدّ عليه العذاب، وأُكره على سبِّ محمد (ص) وعلى أن يقول في أصنامهم خيراً من أجل أن يتركوه، جاء إلى رسول الله وهو يبكي، فقال له المصطفى (ص): ما وراءك؟ قال: شرٌّ يا رسول الله، كان الأمر كذا وكذا. قال: فكيف تجد قلبك؟ قال: أجده مطمئناً بالإيمان. فقال: يا عمار إن عادوا فعد، فأنزل الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[2].

وفي السنة الثانية للهجرة أمر رسول الله (ص) عبد الله بن جحش في جمادى الآخر مع ثمانية رهط من المهاجرين، وقيل اثنا عشر رجلاً، وكتب له كتاباً، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره ولا يكرهِ أحداً من أصحابه...»[3].

وفي عُمرة الحديبية، وقَّعَ الرسول (ص) صلحاً مع موفد قريش سهيل بن عمرو، وأثناء كتابة الاتفاق رفض سُهيل أن يُنعت محمداً

(1) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مجلد2، ص67.

(2) سورة النحل: الآية 106. وانظر: ابن الأثير، مصدر سابق، ص 67 .

(3) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مجلد 2، ص113.

برسول الله وقال: «لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك» وكان قبلاً قد فرض كتابة «باسمك اللهم» بدلاً من «بسم الله الرحمن الرحيم» وكان الرسول (ص) يوافق على ذلك بينما الصحابة استغربوا عندما علموا ببنود العهد التي اعتبروها مذلة بحقهم وحق رسول الله (ص)، وتقدم عمر بن الخطاب يسأل رسول الله «لِمَ نقبل الدّنية في ديننا»، ولم يقبل المسلمون أن ينحروا ويحلقوا ويتحلَّلوا من إحرامهم. . ومع ذلك فإنَّ رسول الله لم يخبرهم بما أوحى الله تعالى وبقي الأمر سراً. . . وكان الفتح المبارك لمكة المكرمة. . .[1].

إنَّ مجتمع المسلمين اليوم وصل إلى حالة من التناثر والتبعثر بحيث بات الإنسان العادي الذي هو من رعاع القوم، يرفع شعارات: (لا توجد واسطة بين العبد وربه)، وأنَّ امرأة وقفت في الطريق لعمر وانتقدته في موقفه من مهور النساء، وأن أعرابياً عنَّف رسول الله (ص) عندما مسك بتلابيب ردائه وهو يقول له: حَمِّلْ ليَ بعيريَّ هذين فهذا ليس من مالك ولا من مال أبيك. . .

أحداث ومواقف استغلت في غير موضعها، فأصبح المفكر المسلم، وكذا خاصة الناس وقادتهم، مضطرِّين لأن يُظهروا كل شيء. . . واستبيحت الساحة. . . وعمَّت السطحية، وقلَّت الفائدة من قُدرة العاملين الرواد في مجال رفع شأن الأمة وإخراجها مما هي فيه من ذُل التخلف وضياع الجهل، وعبث الأطفال. . .

لقد عالج الداعية فتحي يكن هذا الأمر لكن من زاوية (أمنية)[2]

---

(1) ابن الأثير، مصدر سابق، ص204.

(2) فتحي يكن، **أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي**، ص107 ـ 111.

ولم يفرد بحثاً خاصاً يقسّم به المسلمين، ككل الناس، إلى خاصة وعامة، مع أن هذا الأمر بيِّن في سيرة الخلفاء وفي الفكر الإسلامي السياسي؟!

لقد حدث أن تكلم عمر بن الخطاب بشأن البيعة لخليفة من بعده رداً على من قال: «لو مات عمر بايعت فلاناً»، ولما حذَّرهم عمرُ أمام الجمهور قال له عبد الرحمن بن عوف، والحدث في موسم الحج: «يا أمير المؤمنين إنَّ الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم وهم الذين يغلبون على مجلسك، وأخاف أن تقول مقالة لا يعوها ولا يحفظوها ويطّيَّروا بها، ولكن أمهل حتى تقدم المدينة وتخلص بأصحاب رسول الله (ص) فتقول ما قُلت فيعوا مقالتك»[1] ويُلاحظ من قول عبد الرحمن بن عوف أنَّ صفة رعاع الناس تُطلق حتى على الذين يتحلقون أو يتجمعون في مجلس الخليفة، وأن هناك فرقاً بين الخاصة والعامة، ومن المعلوم أن مجلس عمر في موسم الحج لا يلتقي فيه إلا المسلمون.

إنَّ فكرة المساواة المطلقة في كل الأمور لها تداعيات سلبية على مسار الحياة الاجتماعية، لذلك لا بد من أن يُصنف الناس وفق هرمية تضع كل فرد في المكان المناسب له، وهذا عام في كل مجلس ومنتدى ومؤسسة.

لقد تعرض فتحي يكن للتطرف والغلو ضمن الحالات التي تُؤدي إلى سقوط الداعية وارتكاسه عن مواقعه، وردَّ ذلك إلى العجز عن التحمل، يقول: «إنَّ النفس البشرية ضعيفة. . . وهي قد تتحمل العزائم

---

(1) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مجلد 2، ص 326، وانظر: كتابنا: **مدخل إلى العلوم السياسية**، ص 69.

حيناً، ولكن لا تقوى على تحملها في كل حين. . . ثم إنها قد تتدرج في التحمل حتى تتمكن من ذلك بعد حين؛ ولكنها قد لا تتمكن من ذلك دفعة واحدة». لقد توقف في وصف هذه الحالة عند هذا الحد دون تحليل مواقع الناس الفكرية والاجتماعية. . . وإنّ تواجد الفرد في غير مكانه يُفقده التوازن، يقول يكن: «ومن التوازن في العمل الإسلامي أن يأخذ العمل السياسي حجمه وسمته المحددين له، وإلا غدا شعاراً بلا محتوى، بل أصبح غاية لا وسيلة وأداة، فضلاً عن وقوعه في مُنزلقات ومتاهات لا يُعرف أولها من آخرها. . .» نعود لنؤكد على أن انعدام التوازن يحصل عندما يختلف واقع الفرد العلمي والنفسي والفطري عن موقع الفعل الذي يشغله أو يؤهل نفسه إليه.

فتحي يكن ومهمّة التغيير

إذا كان فتحي يكن لم يُحلل البنية الإسلامية لجهة التفاوت في القُدرات، إلا أنه دعا إلى اختيار ذوي الأهلية للمهام الحركية رائدة التغيير، ذلك أن قابليات البشر واستعدادتهم وإمكانياتهم متفاوتة كمًّا ونوعاً. . . وما يطيقه إنسان قد لا يطيقه آخر، وما يقدر عليه هذا قد لا يقدر عليه ذاك. وصدق رسول الله (ص) حيث يُصور تفاوت الناس. . . وقابلياتهم في التلقي والعطاء فيقول: مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها:

1 ـ نقية (أي طيبة) قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها: 2 ـ أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا. . . وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي: 3- قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ. . . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما

بعثني الله به فعلم وعمل... ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[1].

وفي حديث رواه مسلم عن رسول الله (ص) أنه قال: «إنَّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل... واصطفى قريشاً من كنانة... واصطفى من قريش بني هاشم... واصطفاني من بني هاشم».

وعوامل التفاوت عديدة «منها الفطري ومنها الوراثي ومنها الاكتسابي، أي إنَّ هذه العوامل منها ما هو أصيل ثابت في شخصية الفرد ومنها ما هو دخيل عليه، وعملية الاختيار ينبغي أن تعتمد على ما هو أصيل من هذه الصفات أولاً وقبل كل شيء»[2] ويعد منها:

الاستعداد الانضباطي والإبداعي والجهادي، ويرى أنه من هذه الصفات الرئيسية تتوالد سائر الصفات التفصيلية الأخرى...

إنَّ هذه النوعية التي يدعو إلى اجتذابها للعمل هي بذاتها أيضاً مُتفاوتة، منهم الخاص ومنهم العام، وتبقى الأولوية لهذا التقسيم في الإطار العام للعمل الجماهيري إسلامياً كان أم غير ذلك.

---

(1) فتحي يكن، **المتساقطون على طريق الدعوة**، ص87 ـ 88.

(2) فتحي يكن، **الشباب والتغيير**، ص35 ـ 36.

المبحث السابع

حاجة التشريع إلى دولة

يرى فتحي يكن أنَّ المحتوى القانوني والتشريعي للإسلام «لا يمكن أن يتخطّى النطاق النظري إلى الواقع العملي دون أن تكون له دولة تحتكم إليه وتصدر عنه في كافة شؤونها. . .».

وإنَّ غياب الدولة «بسقوط الخلافة الإسلامية، التي تسوس المسلمين بشرع الله تعالى وتحقق لهم وجودهم الديني والحضاري، هذا الواقع نشأت عنه حاجة إلى قيام تنظيم حركي أو جماعة تعمل على إعادة الواقع الإسلامي إلى جادة الصواب، ومهام هذا التنظيم تحضير كافة المستلزمات والمقومات التي يتطلبها قيام الحُكم الإسلامي»[1].

إنَّ الأمراض والتشوهات التي اعترت واقع المسلمين ـ كما يرى يكن ـ ما كانت لتكون لولا غياب الحكومة الإسلامية. إن الواقع الاغترابي الذي يعيشه المسلمون قد انعكس اضطراباً فساءت الحال في كل مرافق الحياة ومناحيها وتدهور مستوى الأداء عند المسلم، ما أظهره

(1) فتحي يكن، **الإسلام فكرة وحركة**، ص40 ـ 41.

وكأنه عاجز أو قاصر، أو كأنّما هو من طينة أخرى غير تلك التي ينحدر منها الإنسان في العالم الغربي أو في الأمم الأخرى.

إنَّ العمل لقيام دولة إسلامية تحمي المسلمين وتُدافع عنهم وتُجسد مبادئهم وتكون صورة حية لقيم الإسلام ومُثله، لا يكون إلا بالعمل الجماعي المنظم لاستئناف الحياة السوية الآمنة المطمئنة في كل صقيع من أصقاع الدنيا حيث يعيش المسلمون...

ومبررات العمل الجماعي ثابتة من خلال:

أولاً: فهم الصحابة لحقيقة الوجود السياسي للأمة:

ظهر ذلك بفعل الصحابة (رض) عقب وفاة رسول الله (ص) مباشرة، فكان اجتماع سقيفة بني ساعدة لبحث خلافة الرسول (ص)، وبعد اختيار أبي بكر (رض) تحولت الأمة إلى مجتمع سياسي تجلّى:

في بيعة الصحابة (الخاصة) في عهد الخلفاء الراشدين (رض) الذين عُرفت مؤسستهم هذه بأهل الحل والعقد بعد ذلك. ثم البيعة العامة من قبل المسلمين.

ثانياً: الحديث الشريف:

لقد أكد الرسول (ص) على حفظ وحدة الأمة وتآلفها، ووضع الإسلام بنوداً كثيرة تلتقي حولها الجماعة المؤمنة في وحدة اجتماعية منظمة، فالله واحد، والرسول واحد، والكتاب واحد والقبلة واحدة، ومن هنا توصف الأمة بأنها أمة واحدة، ويحضّ القرآن

المسلمين على الاعتصام بحبل الله وكذلك الحديث الشريف[1]:

قال (ص): «من فارق الجماعة شبراً فمات ميتة جاهلية» (رواه البخاري ومسلم).

«من حمل السلاح علينا فليس منا» (رواه مسلم).

«من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه» (رواه أحمد وأبو داود والحاكم).

«المسلم للمسلم كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً وشبك أصابعه» (رواه البخاري ومسلم).

«وأنا آمركم بخمسٍ، الله تعالى أمر بهنّ: السمعُ، والطاعةُ، والجهادُ والهجرةُ والجماعةُ، فإنّ من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يتراجع» (رواه ابن خزيمة والترمذي).

والرسول (ص) مارس التنظيم الجماعي لكل الذين آمنوا بالرسالة التي بلّغها عن ربه سبحانه وتعالى، وسنته هذه تؤكد وجوب التنظيم والانخراط فيه «. . . فالرسول (ص) لم يعتمد أسلوب العمل الفردي، وإنما حرص من أول يوم على دعوته كان يختار عناصره اختياراً وينتقي أفراده انتقاءً ليكون قوة الدفع في المسيرة الإسلامية التي لم يطل عليها الزمن حتى كانت ملء عين العالم وسمعه وبصره. . . »[2].

---

(1) فتحي يكن، **الإسلام فكرة وحركة**، ص70 ـ 75.

(2) فتحي يكن، جريدة الشهاب، السنة الثالثة، المجموعة الوثائقية، مجلد الشهاب، ص 17 (مقال رقم 7 بعنوان: التنظيم الحركي ضرورة والانخراط فيه واجب شرعي). نلاحظ أنَّ فتحي يكن يستعمل مصطلح التنظيم الحركي في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع أن الرسول والمسلمين قبل هذا القرن لم يستعملوا مصطلح «حركة» الذي يعني ضد السكون كما جاء في القاموس المحيط (مادة حرك).

المبحث الثامن

المنهج الحركي ومفهوم الولاء لله تعالى

يرى فتحي يكن أنَّ التنظيم الحركي في عهد النبوة لم يتخذ شكلاً حزبياً كالذي نراه في التنظيمات السياسية الحديثة. . . والمسلمون لم تكن جماعتهم كجماعة القطيع تسير وراء القائد على غير هدى. فالتبعية لم تكن للأشخاص، بل كانت للمبادئ، وبُغية الفرد في هذه الجماعة أن ينال رضى الله عز وجل، تجلّى ذلك بصورة لا تدع مجالاً للحيرة أو الشك في موقف أبي بكر الصديق (رض) عندما وقف يُعلن على الملأ غداة وفاة الرسول (ص):

«أيها الناس من كان يعبد محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حي لا يموت، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[1].

«إنّ هذا الوعي هو الذي حفظ كيان الحركة الإسلامية من الانفراط

---

(1) سورة آل عمران: الآية 144. انظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مج2، ص324. وانظر: فتحي يكن، **الإسلام فكرة وحركة**، ص44 ـ 45.

بعد موت الرسول (ص)... لقد تجلى الوعي في حياة المسلمين الخاصة والعامة. كان البصرُ الثاقب... والعقلُ الراجح... والبصيرةُ النافذة... بل كان الضياء والنور وصوت الضمير في كيان الفرد والجماعة»[1].

خلاصة: مصادر المنهج الحركي في العصر الحديث:

إنَّ الفكر الحركي عند الداعية فتحي يكن على علاقة وثيقة مع طلائع الحركة الإسلامية في العصر الحديث التي بدأت تبرز إلى الوجود ابتداءً من نهاية القرن التاسع عشر، لقد عرف القرن الرابع عشر الهجري رجالاً جدَّدوا هذا الدين وبعثوا تراثه وجمعوا القلوب حوله وجاهدوا فيه حق الجهاد[2].

ويستند فتحي يكن لتأكيد ذلك إلى حديث لرسول الله (ص) يقول فيه: «إنَّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجدّد أمر دينها»[3] وأولى طلائع الحركات الإسلامية كانت: الوهابية والسنوسية.

يصف فتحي يكن الدعوة الإصلاحية عند محمد بن عبد الوهاب قائلاً: «كان محمد بن عبد الوهاب يرى أن عقيدة التوحيد التي تبلورت في (لا إله إلا الله) هي عماد الإسلام والتي تميز بها عما عداه، فلا أصنام ولا أوثان ولا عبادة آباء وأجداد ولا أحبار ولا كهان، فالتوحيد أساسه الاعتقاد بأنَّ الله تعالى وحده هو خالق هذا العالم والمسيطر عليه

---

(1) فتحي يكن، **الإسلام فكرة وحركة**، ص44 ـ 45.
(2) المصدر نفسه، ص 48.
(3) المصدر نفسه، ص49.

والمشرع له، وليس في الخلق من يشاركه في خلقه ولا في حُكمه ولا من يعينه على تصريف أموره»[1].

وعن فهم محمد بن عبد الوهاب لـ: «لا إله إلا الله» فإنه يعتقد أن «ليس في الوجود صاحب سلطة حقيقية تُسيّر العالم وفقاً لما وضع من قوانين إلا الله، وليس في الوجود من يستحق العبادة والتعظيم إلا هو». ويبرر حركة محمد بن عبد الوهاب بما رآه في بلاد نجد وفي الأقطار التي ارتحل إليها، من انحراف المسلمين عن عقيدة التوحيد التي دعا إليها الإسلام، فهذه أضرحة الأولياء يُحجُّ إليها وتُقدم إليها النذور، ويُعتقد أنها قادرة على النفع والضُّرِّ فيطلب إليها الزائرون جلب الخير إليهم، ودفع الشر عنهم. ولم يكتف بعض المسلمين بذلك بل أشركوا مع الله حتى النبات والجماد، فهذه نخلة يعتقدون أنها تؤثر في حياة الناس وهذا غار يزوره الناس للتبرك».

هذا هو الواقع الذي أوجد دعوة محمد بن عبد الوهاب، التي كان لها أثر في توحيد القبائل العربية في بلاد نجد، وكذلك إزالة البدع والخرافات، وبسبب التفاف الأمراء السعوديين حوله ومبايعته قامت عقب ذلك دولة قوية نشرت سلطانها على بلاد نجد[2].

أما الحركة الرديف لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فكانت على يد رجل من سلالة سبط رسول الله (ص)، من نسل الحسين بن

---

(1) ما يأخذ كثير من المسلمين على محمد بن عبد الوهاب هو تطرفه في موقفه من زيارة القبور، وتشدده في مفهوم البدعة والسنة وغير ذلك من المفاهيم التي كانت محوراً للجدل بين الوهابية وغيرها. أما الحرص على التوحيد ومحاربة البدع فهو محل وفاق بين المسلمين جميعاً. (المحرر)

(2) فتحي يكن، **الموسوعة الحركية**، المجلد ١، ص 171 ـ 173.
وُلد محمد بن عبد الوهاب في العينية من بلاد نجد (1115 ـ 1206هـ) ـ (1703 ـ 1791م).

علي (ع)، هو السيد محمد بن علي السنوسي[1] الذي وُلد في مدينة مستغانم بالجزائر وأحب العلم وارتحل في طلبه، وعن طريق القوافل الواصلة إلى بلده (مستغانم) عرف أن الإسلام مغلوب على أمره في كل محل، وأن المقاطعات والخُطط المعمورة تذهب من أيدي المسلمين في أي وقت وبسرعة البرق، وأن الإسلام في حالة تدهور مخيف، هذا ما شغل بال السنوسي الذي قال: «هذا ما أفكر فيه» ولما سألوه: وماذا يجب على المسلمين عمله لتلافي الواقع قال: سأجتهد، سأجتهد[2].

إن فكر السنوسي كان بنَّاءً للغاية، فالعبادة عنده لا تقتصر على الفرائض من صلاة وصوم، إنما تطال كل المجالات، لذلك طلب من مريديه أن يبنوا الزوايا على محاور طرق القوافل في الصحراء ويقيموا فيها مؤسسة كاملة من زراعة وحفر آبار إلى بناء تحصينات «الرباط» ومسجد، والعمل في الصناعات البسيطة والتجارة، والزاوية فيها مسؤول، إنه شيخها «المُقدم» يساعده مجلس يتألف من وكيل الزاوية وشيخ وأعيان القبيلة المرتبطة بها ووجهاء المهاجرين إليها، والمدرسة من أولى مؤسسات الزاوية حيث التعليم والثقافة، وهكذا أصبحت «الزاوية هي مصدر السلطة في القبيلة والمركز التعليمي والثقافي والاقتصادي للمنطقة المحيطة بها، فهي سوق مهمّ تقع عادة على محور تقاطع طرق القوافل، كما أنها في الوقت نفسه حصن دفاعي مهمته دفع خطر الأعداء وصد هجماتهم»[3].

---

(1) السيد محمد بن علي السنوسي (1202 ـ 1276هـ ـ 1859م). انظر: فتحي يكن، **الموسوعة الحركية**، المجلد1، ص151.

(2) أحمد صدقي الدجاني، **الحركة السنوسية**، بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر، 1967، ص 40 ـ 41. وانظر: كتابنا: **الفكر الإسلامي الحديث**، مذكرة تُدرس في كلية الإمام الأوزاعي، ص 28.

(3) د. علي لاغا، **الفكر الإسلامي الحديث**، ص32 ـ 33.

وقد ثبت أن الشيخ السنوسي كان همه هو النهوض بالمسلمين، ولم يكن يسعى للوصول إلى مركز الخلافة أو المساهمة في إسقاط الخلافة الإسلامية.

قلَّما عرف التاريخ لها مثيلاً:

والحركة السنوسية كان لها الفضل ـ بعد الله تعالى ـ في نشر الإسلام في البلاد الداخلية من القارة الإفريقية مثل (تشاد ودارفور ووداي وغيرها من أقطار أواسط إفريقيا). وقد قام السيد السنوسي بأعمال جليلة قلَّما عرف التاريخ لها مثيلاً، فقد كان يشتري العبيد من القوافل التي تمر بمراكز الزوايا ثم يقوم بتعليمهم الإسلام ويُعيدهم إلى بلادهم دعاة هادين لدين الله عز وجل، أحراراً وقد زكاهم الشيخ حامل لواء الإسلام بما علمهم من هدي الله تبارك وتعالى[1]، ثم خلف الشيخ أحمد السنوسي ولده[2]، الذي مارس الجهاد ضد الفرنسيين والإيطاليين، وهو يحمل شرف الانضواء تحت راية الخلافة الإسلامية. يقول عنه الأمير شكيب أرسلان: «جدّ جليل وأستاذ كبير من أنبل الناس، جلالة قدر وسراوة حال، ورجاحة عقل»[3]. لقد نهج الشيخ السنوسي وأتباعه نهجاً واقعياً، لذلك لم تُرق لأحد منهم قطرة دم إلا في محاربة أعداء الله عز وجل... وهذا شرف قلَّ نظيره في العصر الحديث.

ويستمر نشاط العاملين للإسلام، فكان جمال الدين الأفغاني، الذي دعا العالم الإسلامي إلى الاستيقاظ من سباته، وأنَّ عليه انتخاب

---

(1) فتحي يكن، **الموسوعة الحركية**، المجلد1، ص153 ـ 154.
(2) المصدر نفسه، وأحمد السنوسي (1284 ـ 1351هـ) ـ (1867 ـ 1933م).
(3) فتحي يكن، المصدر السابق، ص155.

خليفة واحد للعالم الإسلامي بأسره؛ لكن سرعان ما انتهت حياته في القسطنطينية حيث وافته المنية هناك، يقول عنه فتحي يكن: «هكذا كان جمال الدين، لم يذهب إلى فج من فجاج الأرض، إلا وانطلق معه أتون الثورة والاستياء متجليين دون مبالغة في تلكم الحركات التحريرية الوطنية التي زخر بها العالم الإسلامي خلال القرن العشرين بفضل حملة الدعاية القوية التي كان يشنها في سبيل التحرر والنهوض. . .

كان جمال الدين الأفغاني يهدف من كل هذه الحركات الثورية المستمرة إلى تحقيق وحدة الشعوب الإسلامية تحت حكومة إسلامية واحدة، كما كان غرضه الأكبر من تأييد الخلافة العثمانية أن يخلق دولة إسلامية واحدة تلتف حول رايتها جميع الشعوب الإسلامية»[1].

ويمضي فتحي يكن في رسم الخط الإسلامي الذي ظهر بجهد محمد عبده تلميذ الأفغاني، ثم الشيخ محمد رشيد رضا تلميذ الشيخ محمد عبده، وتؤول الرسالة بعد ذلك إلى رجل ما زال الجهد الصادق الذي بذله يملأ الدنيا، شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً.

في وقت كان الإنكليز قد أذلّوا مصر وشعبها، تحول العمال إلى عبيد بوجوههم الحُمر، الإباحة والفساد والتحلل استشرى في العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة عام 1924م ومعاول الهدم الغربية جادة في

(1) فتحي يكن، **الموسوعة الحركية**، المجلد1، ص 25، والسيد جمال الدين الأفغالي، ولد في أسعد أباد بالقرب من كابل عاصمة أفغانستان (1839 ـ 1897م)، انظر ص 9.

وُلد الإمام محمد عبده عام 1848 م في قرية شتراء المصرية ووافته المنية في الاسكندرية عام 1905م.

ووُلد الشيخ محمد رشيد رضا في منطقة القلمون قرب مدينة طرابس شمال لبنان عام 1865م ووافته المنية يوم الخميس الواقع فيه 23 من جمادى الأولى عام 1354ه. وهو عائد من وداع الأمير سعود بن عبد العزيز سنة 1935م. انظر: **الموسوعة الحركية**، مجلد 1، ص 121 و174.

اجتثاث الإسلام من جذوره وإقصائه من الوجود، هذا كله كان على مرأى ومسمع من شاب مدرِّس في إحدى مدارس الإسماعيلية في مصر، لم يتخرج من كليات الأزهر الشريف وإنما تربّى على يد عالم جليل من آثار علمه ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب الفقة. إنّه المرحوم الشهيد حسن البنا.

يقول رحمه الله: «يعلم الله كم من الليالي كنا نقضيها: نستعرض حال الأمة، وما وصلت إليه في مختلف مظاهر حياتها، ونُحلل العلل، ونُفكر في العلاج وحسم الداء، ويفيض بنا التأثر لما وصلنا إليه إلى حدِّ البكاء..»، ثم إنَّ البنا اتصل ببعض من توسم فيهم الخير، وتعاهد هو وخمسة منهم على تكوين نواة العمل الإسلامي، وكي لا يخرجوا باسم جديد فقد سموا أنفسهم باسم المسلمين، فقالوا نحن: إخوان مسلمون[1].

يقول فتحي يكن عن حسن البنا: «ليس للعظمة مقياس خاص، فقد يكون العظيم عالماً، أو فاتحاً، أو مخترعاً، أو مُربياً روحياً، أو زعيماً سياسياً، ولكن أجدر العظماء بالخلود هم الذين يبنون الأمم، ويُنشئون الأجيال، ويُغيّرون مجرى التاريخ...

وحسن البنا كان أحد هؤلاء الخالدين، بل هو أبرز الخالدين في

---

(1) فتحي يكن، **الموسوعة الحركية**، المجلد 1، ص 53 ـ 54. ولد حسن البنا في المحمودية بمصر في 17 تشرين الأول سنة 1906م الموافق 1323هـ، وكان والده عالماً بالحديث الشريف، حفظ نصف القرآن الكريم وهو صغير وأتمَّه عندما بلغ سن الرشد، استشهد عقب نكبة فلسطين على يد مخابرات الملك فاروق، الذي ساهم في إعطاء فلسطين لليهود بإشراف الإنكليز. بعدما أُطلق عليه النار في ميدان القاهرة أمام دار الشبان المسلمين في 12 شباط 1949م ـ 1368هـ انظر ص55 من **الموسوعة الحركية**.

تاريخ الإسلام في القرن العشرين، ليس لأنه كان عالماً أو خطيباً أو سياسياً، ففي معاصريه من كان أكثر منه علماً، وأنصع بياناً، وأكثر دهاءً، ولكن لأنه الرجل الذي بنى دعوة وأنشأ جيلاً، وهزَّ تاريخ مصر الحديث خاصة. . . ومهما اختلفت فيه آراء المؤرخين، فلن يختلفوا قط في أنه أبرز الشخصيات أثراً في الحوادث التي ما زالت منذ أكثر من نصف قرن حتى الآن. . .»[1].

عند هذه المحطة الأساسية نتوقف عن البحث في مصادر المنهج الحركي المعاصر عند الداعية فتحي يكن الذي كان في ذروة فتوته، وهي الفترة التي يكون فيها الشاب أكثر تأثراً بالفكر والحركة والسياسة. . . لقد كان عمره آنذاك ستة عشر عاماً وفي هذه الفترة كان يتعلم على أيدي علماء مُلتزمين بارزين مثل: الشيخ نصوح البارودي، الشيخ صلاح الدين أبو علي، الشيخ عمر الرافعي، الشيخ محمد الحامدي والشيخ الدكتور مصطفى السباعي، الذي تتلمذ بدوره على يد الشهيد حسن البنا، وتبدأ الحركة في رحاب جماعة عُباد الرحمن بقيادة عَلَم من أعلام المسلمين المعاصرين: الشيخ محمد عمر الداعوق. . .

---

(1) فتحي يكن، **الموسوعة الحركية**، المجلد 1، ص55 ــ 56.

الفصل الثالث



منهج الدعوة ومشكلات الداعية

المبحث الأول

قضية بين فهمين

تحت هذا العنوان، قال الكاتب البهي الخولي: إنّه مع وضوح عقيدة التوحيد إلا أنّها بقيت غامضة مبهمة لدى بعض المسلمين «حيث تتداول هذه الحقيقة، مجموعة من الأفكار الصدئة، والنظم البالية»، كما لاحظ أنَّ القائمين على هذا النمط من الإسلام ليسوا إلا قطيعاً متخلفاً عن قافلة الإنسانية، وفي الوقت نفسه ينظر إلى حملة الدعوة الإسلامية بوجهها الحقيقي على أنهم مجموعة متعصبة طوعت لهم حماستهم أن يُغالوا في قيمة الأشياء. . .

ويُصنّف كل فريق بما يتَّصف به، فريق يُجاهد نفسه كي ينجو من طغيان الموجة المادية بأهوائها، وفريق آخر راضٍ بما يرفُل به من المدنية الزائفة «بما تغمرهم به من حُلو ومر، وخير وشر. . .»[1] ويخلص إلى أن هذه النقطة هي محور الخلاف، ومركز التحول والافتراق، حالة الركود وحالة الفعل والحركة والذوق والإدراك[2].

---

(1) البهي الخولي، **تذكرة الدعاة**، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، 1400هـ ـ 1980م، ص18 ـ 19.

(2) المصدر نفسه، ص 19.

ومهمة الداعية هنا هي: «نقل الأمة من محيط إلى محيط»، لكن الصعوبة تكمن في أن أداة التغيير هي الإنسان، لا بل هو المقصود بالتغيير، وهو ـ أي الإنسان ـ، «كثير المراء والجدال، سريع الانقضاض والعصيان، شموس لا يسلِّم زمامه إلا لهواه. من هنا، نجد مهمة الداعية شاقة، فقد يكون نقلُ جبلٍ أسهلَ على المرء من توجيه إنسان إلى خطوة واحدة يكرهها، ولكن ما أطوع الإنسان لنداء قلبه إذا ناداه إلى خير أو شر». ويُلبي نداء القلب مفدياً إياه بما غلا وندر، حتى لو كان ذلك بإزهاق الروح وخسران المال... فالقلب هو الذي يقود صاحبه إلى الخير أو الشر. ومن هنا، فإنَّ مهمة الداعية أن «يُركز جهده، وانتباهه في مخاطبة هذا القلب، ومحاولة إرضائه، والنفوذ إليه، حتى إذا امتلك عنانه، قاده في رفق ورضى وسرور، إلى الإصلاح الذي يرجوه له...»[1].

أما مصطفى مشهور فقد رصد مسار خط سير المسلمين الذين ساروا بدءً بالدعوة الإسلامية وارتقوا بها، وأقاموا حضارة لا مثيل لها، لكن الشرق الإسلامي: «.. غفا غفوة كبرى، فَقَدَ فيها جوهر دعوته في حياة الناس، فضاع منهم السلطان وزالت المهابة، واحتلّت الأرض، وسُلِبت الثروات، وتوارى الجهاد والتشريع، وحلّت الإباحة والفوضى...» كما يرى أنَّ أعداء الأمس الذين تمثلوا بمشركي الجزيرة العربية، وفي عَبَدَة النار بفارس، وفي الرومان واليهود، قد استبدلوا بذات النوع لكن في أشكال جديدة تمثلت بالشيوعية وروافدها ومُشتقاتها، والصليبية والصهيونية، وأصحاب المصالح الدنيوية من

(1) البهي الخولي، مصدر سابق، ص52.

المسلمين، إلا أنَّ فجر تجديد الأمة قد أذن بالبزوغ حيث بدأت الحضارة المادية في الانحدار بعد الصعود، فيما بدأت تباشيرُ مسيرة يتلألأ نورها[1] وستعود تلك القيادة إلى الشرق الإسلامي مرة أخرى، وتقوم دولة الإسلام العالمية بإذن الله تعالى، وتسعد الدنيا بهذا الدين الحنيف»[2].

وهذا يستلزم الدعوة، والدعوة توجب أساليب ومناهج متعدِّدة، تعدّد المجتمعات والبيئات مكان النشاط والحركة، «فالدعوة في بلاد الإسلام، غير الدعوة في ديار الكفر. والدعوة في بلاد فيها حرية، غير الدعوة في بلاد تُكَمُّ فيها الأفواه. والدعوة في مكان انتشر فيه العِلم، غير الدعوة في مكان خيّم عليه الجهل»[3].

أما فتحي يكن، فإنَّه ردَّ المشكلات التي تُعيق الدعوة الإسلامية إلى الأوضاع والمناخات غير الإسلامية التي تعيشها الدعوة والداعية في مجتمعات منحرفة لا تمت إلى الإسلام، إلا بصلة الانتساب العفوي الموروث[4].

وهذا الميدان يُرتب متاعب قاسية على العامل فيه، ومع أنَّ مهمته التفاعل مع هذه البيئة، إلا أنَّ ذلك يعني أن قدرة التأثير فيها وعدم التأثر بملوّثاتها ليس بالأمر الهين، لذلك فمهمّة خطيرة ودقيقة كهذه ينبغي أن

---

(1) مصطفى مشهور، **طريق الدعوة**، دار الأرقم، عمان، 1403هـ ـ 1983م، ص16.
(2) المصدر نفسه، ص17.
(3) علي جريشة، **دعاة لا بُغاة**، ط1، الكويت، دار البحوث العلمية، ص1، سنة 1399هـ ـ 1979م، ص40 .
(4) فتحي يكن، **مشكلة الدعوة والداعية**، ص 5.

يأخذ لها الدعاة كل أسباب الوقاية والحماية والمناعة[1] ومع أنه دعا إلى الواقعية في ممارسة العمل الإسلامي، كأن يُصار إلى الأخذ بعين الاعتبار الفوارق الطبيعية المتعدِّدة بين قُطْرٍ وقُطْر وبيئة وأخرى[2]، إلا أنَّ تحذير الداعية من الانخراط في المجتمع فُهِم فَهْماً خاطئاً واتخَذَ شكل المقاطعة وتبدّى عند البعض بسلوك انعزالي تجاه كل من ليس معهم في العمل المُنظم، وهذا ما عكس جواً من التوتر على أداء الداعية لمهمته، فبدا تجاه الآخرين وكأنه يائس أو عُصابي، مع ما استنزف ذلك من جهده وأعصابه. وحالة كهذه تُحيل صاحبها إما إلى الانزواء الاغترابي في محيطه، أو إلى التخلي عن مهمة أحبها ولم يتمكن من تحمل تبعاتها والتي فهمها بطريقة معاكسة للفطرة التي تجعلها الدعوة الإسلامية أساساً لبناء صرح الكيان الإسلامي في النفوس والجوارح قبل الخروج وحملها إلى بقية الناس، مع أن المنطق القرآني يؤكد على: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3].

«والوُسع ما يسعه الإنسان ولا يُضيق عليه ولا يُحرج فيه: أي لا يكلفها إلا ما يتَّسع فيه طوقه ويتيسر له دون الطاقة والمجهود»[4] ويقول

(1) فتحي يكن، المصدر نفسه، ص 5.
(2) المصدر نفسه، ص11.
(3) سورة البقرة: الآية 286.
(4) الزمخشري، **تفسير الكشاف**، م1، ص407 ـ 408.

ابن كثير في تفسيره: إنَّ الله سبحانه وتعالى وإنْ حاسب وسأل ولكن لا يُعذِّب إلا بما يملك الشخص دفعه، فأما ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها فهذا لا يُكلف به الإنسان[1]. ومن الواضح أنَّ فتحي يكن لم تغب عن فكره هذه الحقيقة؛ لذلك نراه يُؤكد على أنّ مصدر التصور والأفكار إنَّما يعود إلى القواعد الفقهية التي يجب أن تحكم مواقف الجماعة المسلمة وتُحدد آراءها وتصوراتها في كل شأن من الشؤون (العقائدية، الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية)[2].

وهذا يعني أنَّ مظاهر الانفعال والتطرف التي تبدو عند البعض، إنَّما تعود إلى عدم اطلاع هؤلاء على حقيقة الأحكام ومقاصد الشريعة.

لقد بيّن الشاطبي[3] أنَّ تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وأنَّ هذه المقاصد هي ثلاثة أقسام[4]:

أولاً: أن تكون ضرورية: وهي التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، والتي إن انْتفت تجرِ مصالح الدنيا على استقامة، بل تؤول إلى الفساد ثم تصير إلى الخسران المبين، لذلك فلا بد من إقامة أركانها وتثبيت قواعدها وذلك بحفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل.

---

(1) مختصر تفسير ابن كثير، مج1، ص 260، وانظر كتابنا: **تشكيل الشخصية الإسلامية**، ص 44 ـ 45.

(2) فتحي يكن، **مشكلة الدعوة**، ص14.

(3) أبو إسحاق الشاطبي، هو إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي المتوفى سنة 790هـ.

(4) أبو إسحاق الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ط2، مج2، بيروت: دار المعرفة، 1395هـ ـ 1975م، ص8 ـ 12.

ثانياً: أن تكون حاجّية: حيث يجب التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، وعدم مراعاتها يدخل على المكلفين الحرج والمشقة، وهذه أمور تجري في العبادات كالرخص المخففة... وفي العادات كإباحة الصيد والتمتع بالطيبات مما هو حلال، مأكلاً ومشرباً وملبساً ومسكناً ومركباً، وما أشبه ذلك، وفي المعاملات... وفي الجنايات.

ثالثاً: التحسينات: وذلك بجواز الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحة، وذلك يطال العبادات بأسلوب إزالة النجاسة وفي الطهارة كلها، وكذا ستر العورة أي اللباس على عمومه، وأخذ الزينة، والتقرب بنوافل الخيرات من الصدقات والقربات. وكأنَّ الشاطبي يعني أنَّ وسائل الخير والصدقات، إنّما تتغير بتغير أحوال الناس من حيث استحداث مؤسسات لم تكن معروفة من قبل، وفي مجال العادات كآداب الأكل والشرب... وكذا في المعاملات. ويختم القول بكلام شامل: «وقليل الأمثلة يدل على ما سواها مما هو في معناها. فهذه الأمور راجعة إلى محاسن زائدة على أصل المصالح الضرورية والحاجية، إذ ليس فقدانها بمُخلّ بأمر ضروري ولا حاجي، وإنما جرت مجرى التحسين والتزيين».

وفي شرحه للقاعدة الفقهية التي تقضي برفع الحرج، يُعلل ذلك بسبب الخوف من الانقطاع عن الطريق، وبُغض العبادة، وكراهة التكليف، وأنه يخشى أن يؤدي هذا الخوف إلى إدخال الفساد عليه في جسمه أو عقله أو ماله أو حاله، ويُبين أنَّ الشريعة المُباركة حنفية سمحة سهلة، حفظ فيها على الخلق قُلوبهم وحبّبها لهم بذلك أي من أن تنفر، لأنَّ عكس ذلك يُدخل عليهم بما كلفوا به ما لا تخلص به أعمالهم، وقد

أخبر القرآن الكريم: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾[1]. ويقول (ص): «عليكم من الأعمال ما تُطيقون، فإنَّ الله لا يملُّ حتى تملوا»[2].

وعن عائشة (رض) عن رسول الله (ص) أنه قال: «إنَّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولا تُبغِّضوا إلى أنفسكم عبادة الله، فإن المُنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»[3].

والمسلم يجب أن يكون أداؤه في جو مناسب من حيث حسن العطاء والقدرة على التروي، قال (ص): «لا يقضي القاضي وهو غضبان»[4]، وتحميل النفس أكثر مما تُطيق يتسبب لها بالفساد أو في غيرها، وكذلك يُحدث فيها الضجر والملل والقعود عن النشاط والرغبة في ذلك العمل، بل الواجب أن يؤتى العمل الإسلامي وفق ما شرع الله تعالى في حالتي العزم والترخيص، لكن هذا لا يعني أنَّ هناك رجالاً أُوتوا من العزيمة ما يُمكنهم من قيام الليل كما روي عن صحابة رسول الله (ص)، حيث كان بعضهم يُصلي الصبح بوضوء العشاء، ومنهم من كان يجهد نفسه في الصوم والعبادة، حتى يُنهك جسده ويصفر... «إلى سائر ما ذُكر عن الأولين من الأعمال الشاقة التي لا يُطيقها، إلا الأفراد الذين هيأهم الله لها، وهيأها لهم وحبّبها إليهم، ولم يكونوا بذلك مخالفين للسنة...»[5].

---

(1) سورة الحجرات: الآية 7.

(2) الشاطبي، مصدر سابق، ص136 ـ 137.

(3) رواه أحمد من حديث أنس ورواه البيهقي من حديث جابر، انظر الشاطبي، المصدر نفسه، ص 138.

(4) الشاطبي، مصدر سابق، ص138.

(5) المصدر نفسه، ص140 ـ 141.

المبحث الثاني

وجوب تربية النَّفس على تحمُّل المكاره

يرى الداعية فتحي يكن (ره) أنَّ المِحن قد تكون من الظواهر الملازمة لمن يدعون إلى الله سبحانه وتعالى قديماً وحديثاً، فالإسلام هو دعوة لتوحيد الله تعالى والكُفر بكل ما عدا ذلك من الأوثان والأصنام والهوى المُتبع. وأن ينخلع الإنسانُ من صنمية هوى نفسه؛ فهذه مسألة صعبة وتبدو بشكل جلي أنها حالة تمرد على مظاهر الجاهلية في كل صورها وأشكالها... تمرد على العادات الجاهلية... تمرد على الأفكار الجاهلية... وتمرد على النُّظم والتشاريع الجاهلية[1].

لهذا فإنَّ «الحركة الإسلامية» هي أكثر تعرضاً للمحن. والمحنة من أهم عوامل التكوين والتمحيص في الإسلام، ولما كان التكوين النظري ليس كافياً لذلك، كان لا بد من تعريض النفس للصعاب والمكاره حتى تكتسب مناعة وقوة، تمكّنها من الصمود في وجه النائبات[2]. «فالإيمان القوي الراسخ هو الذي يصمد ساعة العسر... أما الإيمان السقيم العليل

---

(1) فتحي يكن، مشكلة الدعوة، ص18.

(2) المصدر نفسه.

فسرعان ما تكشفه المحن وتصدعه. . .» والله تعالى يقول: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَ لَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾[1].

والثبات في الشدائد والمحن مظهر من مظاهر صدق الإيمان بالله تعالى، ودليل على وجوده ورسوخه، وحكمة الله سبحانه وتعالى أن يفتن المؤمنين، وتصرفهم إزاء تلك المحن يدل على إيمانهم أو عدمه، يقول عز وجل: ﴿الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[2].

وفي عرضه لصور من المحن التي قاسى منها الأولون، يقول فتحي يكن: «هكذا قضت سُنة الله. . . أن يكون الحق في صراع أبدي مع الباطل. . . وكلما بزغ نور للحق تنادت عناكب الليل لطمسه: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا * قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾[3]، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[4].
ونتيجة الصراع هي: «. . . الحقيقة التي تتكرر باستمرار وتبدو بوضوح هي أن الحق دائماً في انتصار وأن الباطل دائماً في اندحار، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[5].

---

(1) سورة العنكبوت: الآية 10.
(2) سورة العنكبوت: الآيتان 1 ـ 2.
(3) سورة الجن: الآيتان 19 ـ 20.
(4) سورة الصف: الآية 8.
(5) سورة الصافات: الآيات 171 ـ 173.

ذلكم هو مصير الأنبياء قبل الصالحين، وهذه المحن تَعرَّض لها إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، وكذا صحابة رسول الله (رضوان الله عليهم)، وترك لنا الخباب (رض)، وهو مصلوب على الخشبة والرماح تُمزق جسده شعراً أنشده في تلك اللحظات الحرجة من حياته لحظة الاستشهاد في سبيل الله عز وجل[1]:

إلـى الـلـه أشـكـو غُـربـتـي ثـم كُـربـتـي
وما جـمـع الأحـزاب لـي حـول مـصـرعـي

فـذو الـعـرش صـبَّـرنـي عـلـى مـا يُـراد بـي
فـقـد قـطَّـعوا لـحـمي وقـد يـئس مـطـمـعـي

وقـد خـيـرونـي الـكـفـر والـمـوت دونـه
وقـد ذرفـتْ عـيـنـاي مـن غـيـر مـجـزع

ومـابـي حـذار الـمـوت إنـي مـيـتٌ
ولـكـن حـذاري جـحـيـم نـار مـلـفـع

وذلـك فـي ذات الإلـه وإن يـشـأ
يُـبـارك عـلـى أوصـال شـلـو مـمـزع

فـلـسـت أبـالـي حـيـن أُقـتـل مـسـلـمـاً
عـلـى أي جـنـب كـان فـي الـلـه مـصـرعـي

(1) فتحي يكن، مشكلة الدعوة والداعية، ص36.

واستمر أعداء الله يُمزقون جسده برمحهم وهو لا يزال يُردد:

«لا إله إلا الله محمد رسول الله» حتى لفظ نفسه الأخير، وفاضت روحه الزكية الطاهرة إلى الملأ الأعلى تشكو إلى الله ظُلم الظالمين.

المبحث الثالث

بين جاهلية الأمس وجاهلية اليوم

لقد بات من الواجب على كل باحث وهو يعرض لمظالم الجاهلية زمن البعثة النبوية، ولمظالم جاهلية اليوم أن يعطي لكل ذي حق حقّه، إن عرب الجزيرة العربية في زمن محمد (ص) كانوا يتمتعون بالشهامة والمروءة، كان عندهم حسٌّ مرهف، تأبى نفوسهم الظلم والظالمين، يلتزمون بالعهود والمواثيق، وانتصارهم للمظلوم كان أحد أهم الأسباب التي جعلتهم يؤمنون برسالة محمد (ص)، كان حُكم الجيرة في الجاهلية كافياً لمنح الأمان لرسول الله (ص) نفسه وللذين آمنوا معه، وهذا ما حدث لمَّا عاد الرسول (عليه الصلاة والسلام) من قبيلة ثقيف وطلب من المُطعِم بن عدي أن يجعله في جيرته[1]، فما كان من المُطعِم وهو مشركٌ، وممن كانوا يُعادون الدعوة الإسلامية، إلا أن لبس سلاحه هو وبنو أخيه فدخلوا المسجد، فقال له أبو جهل: أمجير أم مُتابع؟ أي هل أنت مُجير لرسول الله أم متابع لدينه، فقال المطعم: بل مُجير، فأجاب أبو جهل: قد أجرنا من أجرت، فدخل النبي (ص) مكة وأقام فيها.

---

(1) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مجلد 2، ص 92 ـ 93، والسبب هو وفاة أبي طالب عم الرسول (ص) وهذا ما جعله في عدم منعة من قريش.

وكان الرسول (ص) قد تعرّض للأذى في الطائف، إذ كان الأولاد يرشقونه بالحصى على رجليه، فكان رسول الله (ص) إذا أراد أن يقي نفسه أذى الحصى يجلس على الأرض مغطياً رجليه... فيتوقف الصبية عن ضربه.

والمسلمون الذين عادوا من الحبشة لمّا بلغهم إسلام قريش، فبعد أن فوجئوا بعدم صدق الخبر، كان عليهم إما العودة أو الدخول في جيرة أحد سكان مكة لدخولها، فدخل عثمان بن عفان (رض) في جوار أبي أُحيحة سعيد بن العاص بن أمية، فأمِن بذلك، ودخل أبو حذيفة بن عتبة في جوار أبيه، ودخل عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة، لكنه تخلى عن جيرته، وقال له: «أكون في ذمة مشرك! جوار الله أعز، فرد عليه جواره».

ولما ردَّ على شعر كان قد ألقاه الوليد بن المغيرة، غضب قوم الوليد وقام أحدهم ولطمه على عينه، فشمتَ به الوليد؛ لأنه ردّ جواره فقال لعثمان: ما كان أغناك عن هذا! فقال عثمان: إنَّ عيني الأخرى لمحتاجة إلى مثل ما نالت هذه، فقال له: هل لك أن تعود إلى جواري؟ قال: لا أعود إلى جوار غير الله. عندها قام أحدهم وانتصر لمظلمة عثمان بن أبي مظعون، وهو سعد بن أبي وقاص الذي قام إلى الذي لطم عين عثمان فكسر أنفه، فكان أول دم أريق في الإسلام[1].

وكذلك لما قام أبو جهل وشتم محمداً (ص) ونال منه وعادى دينه، ووصل الخبر إلى حمزة بن عبد المطلب، وكان أعز قريش وأشدّهم عزيمة، فسار قبل أن يطوف بالكعبة، بعد عودته من الصيد

---

(1) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مجلد2، ص77 ـ 78.

واتجه نحو أبي جهل وضرب رأسه بالقوس فشجّه شجّة منكرة. ثم أعلن إسلامه.

ولمّا قام رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، قال أبو جهل: «دعوا أبا عمارة (حمزة) فإني سببت ابن أخيه سبًّا قبيحاً»[1].

وكذلك عمر بن الخطاب بعد أن ضرب أخته وشجّها؛ لأنه سمع قرآناً يُتلى في بيتها، وبعدما رأى ما بأخته من الدم ندم وقال لها: أعطني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون فيها الآن حتى أنظر إلى ما جاء به محمد. ولم تعطه إياها حتى اغتسل وتعهد بإعادتها، وبعد قراءتها سألهم أن يدلّوه على محمد (ص) الذي كان يختبئ مع المسلمين في مكان سري، ولما قرع الباب على رسول الله (ص) فتح له الباب وهو يقول: ما جاء بك؟ ما أراك تنتهي حتى يُنزِّل الله عليك قارعة. فقال عمر: يا رسول الله جئت لِأؤمن بالله وبرسوله، فكبَّر (ص)، تكبيرة عرف من في البيت أن عمر أسلم، ولما عرفت قريش بإسلامه قاتلوه حتى رموه أرضاً، وهو يقول لهم: «افعلوا ما بدا لكم، فلو كنا ثلاثمائة نفر تركناها لكم أو تركتموها لنا، يعني مكة»[2].

فبينما هم كذلك إذ أقبل شيخ عليه حُلة فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر، قال: فَمَهْ، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تُريدون؟. خلوا عن الرجل، وكان ذلك الرجل هو العاص بن وائل السهمي أحد المشركين العرب.

تلك صورة من شهامة المشركين العرب في زمن دعوة الرسول

---

(1) المصدر نفسه، ص83.

(2) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مجلد2، ص84 ـ 87.

(ص) فأين هي من واقع الناس اليوم...؟ لقد آن الأوان لإنصافهم ووصفهم بما هم أهل له.

لقد كانت هذه المداخلة صدى للعرض الذي قدمه فتحي يكن لحرب قريش على رسول الله (ص)، إذ يقول: «تفنّن أهل الجاهلية في حرب مُحمد (ص)... وابتكروا كل جديد لضرب الإسلام... وحشدوا كل قواهم لعرقلة المسيرة القرآنية...»[1] هذا صحيح، لكنه مُفارق لتفنن أهل هذا الزمان في حرب دعاة الإسلام، ومفارقٌ لكل مُبتكر ومُستورد من بلاد الشيوعية والإلحاد، وكذلك لتفنن أهل الغرب في حرب الإسلام... ومُفارق لكل حشد يحشده، ليس أعداء الإسلام من غير المسلمين، بل من المسلمين الذين تشوَّه الفهم الإسلامي عندهم، نتيجة للتربية الفكرية والعقائدية التي تلقوها من جامعات وكتب أعداء الأمة الإسلامية، والطامعين في خيرات بلادها، واسترقاق شعوبها كي تقوم بدور الخدم لشعوب دول العالم المسيطر حتى حين...

فمعذرة أيها القارئ الكريم، لا يجوز لنا ونحن نذكر ظلم أهل هذا الزمان، إلا وأن نذكر جاهلية قريش بما يليق بها من تقدير إزاء همجية لم يعرف العالم لها مثيلاً إلا في قصة أصحاب الأخدود[2].

---

(1) فتحي يكن، **مشكلة الدعوة والداعية**، ص27.

(2) انظر سورة البروج إذ يقول الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ * ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الآيات: 4 ـ 8]. قال ابن كثير: أي لعن الله أصحاب الأخدود الذين حفروا في الأرض وعمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فقهروهم، وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم، فأجَّجوا في الحفر ناراً وأعدوا لها وقوداً يسعرونها به، ثم قذفوهم فيها، والسادة يشاهدون ما يفعل بالمؤمنين الذين لا ذنب لهم إلا أنهم كانوا يؤمنون بالله العزيز الحميد. انظر الرواية كاملة في: **مختصر تفسير ابن كثير**، مجلد 3، ص 623 ـ 625.

كيف نواجه المِحن؟

تحت هذا العنوان يقول فتحي يكن: «إنَّ الحركة الإسلامية مدعوة لمواجهة هذه الحرب السافرة على الإسلام وأهله بالصياغة الحسنة لشبابها ورجالها، وبالإعداد الكامل، ثم بالتخطيط الواعي لكل خطوة من خطاها»؛ وذلك بأن تغرس في نفوس عناصرها ودُعاتها روح البذل والتضحية، بأن تضعهم بين الحين والحين أمام مسؤوليات ومهمات تعوِّدهم الجرأة والتضحية والإقدام... وتستأصل من نفوسهم عوامل الضعف والخوف والانهزام...»[1].

---

(1) فتحي يكن، مشكلة الدعوة والداعية، ص45.

المبحث الرابع

إعداد الداعية المسلم

إنَّ تكوين الشخصية الإسلامية يجب أن يسبق أي عمل آخر، لأنّها هي حجر الزاوية في بناء المجتمع الإسلامي؛ ولذلك يرى فتحي يكن أنَّ الوصول إلى المجتمع المسلم المنشود يجب أن يُحضّر له بنواة إسلامية منظمة كي تكون الرائدة في القيادة إليه، وأساس ذلك الدعاة. ومن هنا، فإنّ الداعية يلزمه الإعداد المسبق الذي يكوّن فيه شخصية إسلامية مكتملة اكتمالاً طبيعياً سليماً.

ومُنطلق ذلك العقيدة التي تصوغ العقلية الإسلامية التي تنظر بشمولية إلى كل الأمور وتحكم عليها بمنظار الإسلام الذي هو مقياس كل قضية؛ ولذلك وجب أن تتوفر في هذه العقلية العوامل التالية:

أولاً: الفهم الصحيح للكتاب والسنة، الذي من شأنه أن يقيم في ذهن الداعية الخطوط الأساسية للحياة الإنسانية كما يريدها الإسلام.

ثانياً: الإدراك الكامل لأهداف الفكر الإسلامي، وأنه ليس مُجرد نظريات مثالية، إنما هو مشروع واقعي وإيجابي، وذو مفعول عميق وقوي في بناء الشخصية الإسلامية.

ثالثاً: الاستيعاب الكامل والكافي لجوانب التصور الإسلامي دون الاقتصار على جانب واحدٍ فقط.

وفي كل حال يجب الاعتناء بالتربية النفسية للداعية، بحيث لا يشوب نموها إسراف ولا إسفاف، والإسراف في حق الروح كالإسراف في حق البدن، والنفس البشرية يجب أن لا تتحمل فوق ما تطيق ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾[1].

وفي حديث أبي هريرة (رض) عن النبي (ص) أنه قال: «إنَّ الدين يُسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[2]. يقول الإمام النووي في تفسير هذا الحديث: «وهذه استعارة وتمثيل، ومعناه: استعينوا على طاعة الله (عزّ وجل) بالأعمال في وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم، بحيث تستلذون العبادة ولا تسأمون، وتبلغون مقصودكم. كما أن المسافر الحاذق يسير في هذه الأوقات ويستريح هو ودابته في غيرها فيصل المقصود بغير تعب، والله أعلم»[3].

والاستيعاب في حياة الدعوة والداعية أفرد له المفكر الإسلامي فتحي يكن كتاباً يحمل الاسم نفسه[4] يقول في تعريف الاستيعاب: «. . .قدرة الدعاة على اجتذاب الناس وربحهم على اختلاف عقولهم

---

(1) سورة البقرة: الآية 286.

(2) أخرجه البخاري، وفي رواية: الغدوة: سير النهار، الروحة: سير آخر النهار «لن يشاد الدين أحد إلا. . .» دلجة: آخر الليل.
فتحي يكن، **مشكلات الدعوة**، ص 108 ـ 114. وانظر: **رياض الصالحين**، تحقيق أحمد أبو زيته، بيروت، دار القلم، ص 71 ـ 72.

(3) فتحي يكن، **مشكلات الدعوة**، ص108 ـ 114. **ورياض الصالحين**، ص71 ـ 72.

(4) **الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية**، ط1، 1402هـ ـ 1982م، ط7، 1407هـ ـ 1987م، مؤسسة الرسالة.

وأمزجتهم وطبقاتهم وثقافاتهم...».. والداعية الناجح هو القادر على الإيغال والتأثير بدعوته وفكره في الناس كل الناس، على اختلاف مشاربهم وطبائعهم ومستوياتهم. وعلى اجتذاب مساحة كبرى من الجماهير واستيعابها فكرياً وحركياً[1].

والاستيعاب المطلوب هو الذي تتوفر فيه القدرة الشخصية المؤهلة: خُلقياً، وإيمانياً، وإذا لم تتوفر في شخصية الداعية القدرة على استيعاب من حوله، فإنَّ ذلك أذان بعقم وبوار في مسرى حياة الدعوة. وهذه العملية تقسم إلى قسمين:

1 ـ **الاستيعاب الداخلي**: أي عملية التصنيع التي تحفظ الخامات من التَّلف، ثم إعطاؤها كل المقومات التي تسمح لها بممارسة دورها في العمل الإسلامي وفي مجالاته المختلفة.

2 ـ **الاستيعاب الخارجي**: وهو حملُ الدعوة إلى الناس وجعلهم يؤمنون بها، ثم يتحولون إلى عاملين في سبيل نشرها بعد عيشها وتمثّلها.

وأولى مراحل الإعداد:

أولاً - الفقه بدين الله تعالى:

فالإسلام لا يُساوي بين العالم والجاهل، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] وقوله عزّ وجل: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

---

(1) المصدر نفسه، ص9.

(2) سورة الزمر: الآية 9.

(3) سورة الجاثية: الآية 18.

وقوله (ص): «يا أيها الناس: إنّما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما يخشى الله من عباده العلماء»[1].

وبعد هذا العرض يطرح فتحي يكن السؤال التالي:

«هل يمكن أن يستوعب الداعية الناس في الإسلام إن كان جاهلاً لمبادئ الإسلام وأصوله وقواعده وأحكامه وتشريعاته وحلاله وحرامه؟»[2].

إنَّ الذي يدعو، وهو جاهل بحقيقة مقاصد الشريعة وقواعدها وأصولها، فكأنما يدعو إلى تنظيم بذاته، لا يختلف إلا من حيث الاسم عن بقية الأحزاب أو المؤسسات التنظيمية التي هي وضعية المنهج والهدف، وسيطرة الجهل على الدعاة له ذات النتيجة التي يبتلي بها الله سبحانه المسلمين، فيقبض العلماء، ويُسيطر الجهال... وتحصل الكارثة. يقول (ص): «إنَّ الله لا ينتزع العلم انتزاعاً ولكن ينتزعه بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقَ عالم قط، اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلوا»[3].

ويقول المصطفى (عليه الصلاة والسلام): «قليل العلم خير من كثير العبادة، وكفى بالمرء فقهاً إذا عبد الله. وكفى بالمرء جهلاً إذا أُعجب برأيه»[4].

---

(1) الحديث رواه البخاري.

(2) فتحي يكن، **الإستيعاب في حياة الدعوة والداعية**، ص 17.

(3) الحديث رواه الشيخان.

(4) الحديث رواه الطبراني في الأوسط.

يقول فتحي يكن: «إنَّ الفقه في دين الله والمعرفة العامة تُمكّنان الداعية من مخاطبة الناس على قدر عقولهم، بعد معرفته لعقولهم، ومن ملامسة قلوبهم، بعد معرفة ما يخالجها وما يساورها. . .»[1] ومن ليست لديه هذه المقدرة فتبقى دعوته صيحة في واد ونفخة في رماد.

والفقه في دين الله تعالى يستوجب التزود بالمعارف المختلفة كي يتمكن الداعية من التحرك في دائرة واسعة في مجتمع تعددت فيه المعارف والفلسفات. . . والعقائد. . . والاتجاهات.

إنَّ الجهل هو العدو اللدود لدعوة الإسلام، إنه أكثر خطراً من أبي جهل الذي عاند رسول الله (ص) وقاد الجيوش لاستئصال المسلمين نهائياً كما سوَّل له شيطانه في معركة بدر، وتوضيح ذلك أنَّ خطر أبي جهل انتهى بقتله في معركة بدر، وإن لم يُقتل فإنَّ حياته محدودة، أما الجهل فإنه قرين دائم ما دامت الحياة على هذا الكوكب الأرضي، إنّه ملازم لكل من نأى عن العلم والمعرفة. والعلم بذاته إذا كان غير سليم فإنه جهل على علم. . . وهذا أخطر من الحالة الأولى. . . لذا وكي يتجنب المسلمون هذا المنزلق يجب أن تُعمّم فتوى تحظر على المسلم أن يدرس أو يتعلم على يد غير مسلم ـ والمسلم الذي نقصده هو الذي يلتزم بالإسلام قولاً وعملاً ـ في العلوم الفكرية عامة، أما العلوم الصناعية والطبية. . . فيجوز أخذها عن غير المسلمين إذا تعذَّر ذلك على يد مسلم، أو جامعة إسلامية. وبذلك تكون الدراسة في جامعات غير إسلامية غير جائزة شرعاً إلا في حالة الضرورة الشرعية[2].

---

(1) فتحي يكن، **الإستيعاب في حياة الدعوة والداعية**، ص 18 ـ 19.

(2) هذه الفتوى في نظري يجب تعميمها، وإليها يذهب الأستاذ الدكتور الشيخ كامل =

إنَّ الداعية بغير علم كالمحارب بغير سلاح، فالأول يلحق الأذى بنفسه وبمجتمعه الإسلامي، والثاني يلحق الأذى بنفسه أيضاً، وبمجتمعه لأنه غير قادر على حمايته. . .

إنَّ الجهل يدفع صاحبه إلى عبادة رأيه وهواه، يقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾[1] وهذا يدفع إلى إعجاب كل ذي رأي برأيه، فيصاب بمرض نفسي خطير، بحيث يحجبه عن الحق، وقديماً أصيب فرعون بهذا المرض فقال: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[2].

وإذا تمكن المرض. . . رأى صاحبه الحق باطلاً، والباطل حقاً، والفساد صلاحاً، والصلاح فساداً! لقد أخبر القرآن الكريم عن هؤلاء: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[3].

والجهل الذي يُؤدي إلى إعجاب كل ذي رأي برأيه، هو الذي دفع فرعون ليقول: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾[4].

إنَّ العلم الصحيح في شرع الله (عزّ وجل)، يُؤدب المسلم،

= موسى مدير كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، علمت ذلك منه خلال مداولات ففهية في لقاء خاص.

(1) سورة الجاثية: الآية 23.

(2) سورة غافر: الآية 29.

(3) سورة البقرة: الآيتان 11 ـ 12.

(4) سورة غافر: الآية 26.

ويدفعه للتأسي بأئمة الفقه حين كانوا يقولون: «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب»؛ وسُئل أحدهم «أرأيك عين الصواب؟ فقال بل قد يكون عين الخطأ»؛ هكذا التواضع... والتواضع وحده من أكبر دعائم خُلق الإسلام[1].

لقد لخَّص فتحي يكن حاجة الداعية، وشبّه ميدان عمله بمستشفى كبير يغصّ بالمرضى والمعوقين، «لذلك فهو يحتاج أول ما يحتاج لسلوك هذا الطريق ـ بعد الإيمان بالله والثقة به والاتكال عليه ـ إلى قدر من العلم والثقافة والدراية والفكر والخبرة والاطلاع؛ لأنها جميعاً تُعينه على ملامسة الداء بالدواء اللازم، ومواجهة المشكلة بالحل الحاسم، وبغير ذلك سيخبط خبط عشواء، ويزيد الطين بلّة والمشكلة تعقيداً، ولا حول ولا قوة إلا بالله...»[2].

ثانياً: القدوة الحسنة:

«أصلح نفسك وادْعُ غيرك، هما المنطلق الأول للسبيل الوحيد للنهوض بالمسلمين، وتحقيق وحدتهم وإعلاء شأنهم، كي يحتلوا مكانتهم التي أرادها الله لهم، كأساتذة لهذه البشرية يهدون إلى صراط مستقيم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[3]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[4]، لا بد من إصلاح النفس،

---

(1) علي جريشة، **دعاة لا بُغاة**، الكويت، دار البحوث العلمية، 1399هـ ـ 1979م، ص 112 ـ 114.

(2) فتحي يكن، **الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية**، ص22.

(3) سورة آل عمران: الآية 115.

(4) سورة البقرة: الآية 143.

لنوجد رجل العقيدة، النموذج الصحيح، ودعوة الغير لتكثر هذه النوعية المؤمنة الصادقة. . . »[1].

فالقدوة الحسنة هي أساس عمل أي داعية أو قضية، وسيد الدعاة من كان داعية لشرع الله عز وجل، وذلك لا يُجدي نفعاً إن لم يعشه ويتمثله في حياته الخاصة، ابتداء من «المضغة التي في الجسد» أي القلب، ثم بأداء كل أعضاء وحواس الجسم، ثم بالعلاقة مع الأقربين والأبعدين، وإذا حصل ذلك بشكل صحيح وسليم، عندها يُصبح عمل الدعوة على أفضل ما يكون وما يرتجى، يقول فتحي يكن عن ذلك: «فالناس لا يتأثرون بلسان المقال بقدر ما يتأثرون بلسان الحال»، فالداعية السيء الخُلق لا يلقى من الناس إلا الصَّد والإعراض عنه، ومن لم يُجاهد، فالناس لا يتجاوبون مع دعوته وادعاءاته، والبخيل لا يجد آذاناً صاغية عندما يدعو إلى البذل والعطاء. . . وإذا كان بمقدور الإنسان أن يخدع الناس لفترة معينة، لكن سرعان ما يكتشفونه ويعرفونه[2].

ويخلص فتحي يكن إلى أنَّ استقامة الداعية هي سر نجاح دعوته، وهي المؤهل الأهم لإمامته، وهي العامل الأقوى في هدايته، لذلك نجد القرآن الكريم يُهدد ويتوعد من يخالف فعله قوله، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ * كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[3].

---

(1) مصطفى مشهور، **طريق الدعوة**، عمان، دار الأرقم، 1403هـ ـ 1983م، ص147.

(2) فتحي يكن، **الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية**، ص22 ـ 23.

(3) سورة الصف: الآية 322. إنّ في ذلك إنكاراً على من يعد وعداً، أو يقول قولاً لا =

ويستشهد فتحي يكن بحديث لرسول الله (ص) يقول فيه: «إنَّ أناساً من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار، فيقولون: بمَ دخلتم النار، فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمناه منكم... فيقولون: إنا كنا نقول ولا نفعل»[1].

في الحديث تبيان لأمر مهم جداً، ذلك أنَّ المرء يُحاسب على فعله بالذات ويُمكنه أن يتعلم عمّن يقول ولا يفعل، فالإنسان مُحرر من التبعية لمسلكية أو لشخصية من يتلقى عنه وعليه الالتزام بالفكر الصحيح فقط، ولعلنا نجد ذلك في حديث آخر، قال (ص)[2]:

«مثل الذي يُعلِّم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يُضيء للناس ويحرق نفسه».

وللسامع عذره بالتقاطه الحكمة والعمل بها أنّى وجدها، إلا أنّ هؤلاء الذين يقولون ما لا يفعلون إنما هم من يُمزق المجتمع الإسلامي، وهم الذين يُخَوِّف منهم رسول الله (ص): «إني لا أتخوف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً... فأما المؤمن فيحجزه إيمانه، وأما المشرك فيقمعه كفره، ولكن أتخوف عليكم مُنافقاً عالِم اللسان، يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون»[3].

= يفي به، وفي الصحيحين أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «آية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا حدّث كذب، وإذا أؤتمن خان» انظر: مختصر تفسير ابن كثير، مج3، ص 491. (كبر مقتاً) عظم بغضاً وبشع كرهاً عند الله قولكم ما لا تفعلون..

(1) الحديث رواه الطبراني: انظر: فتحي يكن، **الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية**، ص25.

(2) الحديث رواه الطبراني في الكبير، قال ابن كثير، وهو غريب من هذا الوجه.

(3) رواه الطبراني: انظر فتحي يكن، **الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية**، ص26.

وجاء النهي الإلهي صريحاً عن ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [1]. صحيح أنَّ الأمر بالمعروف وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر، لكن القول بدون عمل هو هدم، يدفع الناس إلى اليأس لما يرونه من خداع بعض الدعاة، وفعلهم خلاف ما يقولون، لذلك فإنَّ فتحي يكن يرى وجوب إبعاد هؤلاء العناصر عن مسار الدعوة والعمل في صفوفها، لأنَّ ضرر هؤلاء سيكون أكبر من نفعهم[2].

مضافاً إلى ذلك فإنَّ الداعية مدعو لتفحص ما فعله في النهار إذا ما أسدل الليل ستره، يقول الماوردي: «ثم عليه أن يتصفح في ليله ما صدر عنه من أفعال نهاره، فإنَّ الليل أخطر للخاطر وأجمع للفكر، فإن كان محموداً أمضاه واتَّبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموماً استدركه إن أمكن وانتهى عن مثله في المستقبل. . . وهذا التصفح إنما هو استظهار بعد تقديم الفكر قبل الفعل ليعلم به مواقع الإصابة ويتنهز به استدراك الخطأ وقد قيل: من كثر اعتباره قل عثاره»[3].

---

(1) سورة البقرة: الآية 44. جاء الخطاب في حق بني إسرائيل الذين كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، والذم هو ليس على الأمر بالخير مع تركهم له، بل على تركهم له، فإنَّ الأمر بالمعروف معروف وهو واجب على العالم، ولكن الواجب والأولى بالعلم أن يفعله مع من أمرهم به، ولا يتخلف عنهم كما قال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ﴾ [سورة هود، الآية رقم 88].
فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر، على أصح قول العلماء من السلف والخلف. وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها، وهذا ضعيف، والصحيح أنَّ العالم يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر وإن ارتكبه، قال سعيد بن جبير: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر. انظر مختصر تفسير ابن كثير، مجلد 1، ص 59.

(2) فتحي يكن، **الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية**، ص26.

(3) الماوردي، **كتاب أدب الدنيا والدين**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1399هـ ـ 1979م، ص 16 و328.

والداعية كما يتصوره فتحي يكن يجب أن يكون صابراً، حسب قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾[1] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾[2]، وأن يكون حليماً ورفيقاً؛ لأنَّ الناس يمقتون العُنف وأصحابه، وينفرون من القسوة وأهلها، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[3].

«والداعية لا تكون دعوته بمفاصلة الناس وإقامة الحجة عليهم، وإنما بأخذ كافة الأسباب التي تؤدي إلى هدايتهم...»[4]. يقول (ص): «إنَّ الله يحب الرفق في الأمر كله»[5]. ويقول (ص): «إنَّ الله رفيقٌ يُحبُّ الرفقَ، ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه»[6]. وعنه أنه قال: «إنَّ الرفق لا يكونَ في شيء إلا زانهُ، ولا يُنْزعُ من شيء إلا شانهُ»[7].

وروى أنس (رض) ترجمة عملية لحلم رسول الله (ص): «عن أنس (رض) قال: كنت أمشي مع رسول الله (ص) وعليه بردٌ نجرانيٌّ غليظُ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ، فجذبه بردائه جذبةً شديدةً، فنظرت إلى عنق رسول الله (ص)، وقد أثر بها حاشيةُ الرداء من شدة جذبته، ثم

---

(1) سورة طه: الآية 130.
(2) سورة السجدة: الآية 24.
(3) سورة آل عمران: الآية 159.
(4) فتحي يكن، **الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية**، ص 34.
(5) متفق عليه.
(6) رواه مسلم.
(7) رواه مسلم.

قال: يا محمد مُرْ لي من مالِ الله الذي عندك... فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء»[1].

وعلى الداعية أن يُيسر ولا يُعسر، يقول (ص): «يسِّروا ولا تُعسروا، وبشِّروا ولا تُنفروا»[2] وروت عائشة (رض): «ما خُيِّر رسولُ الله (ص) بين أمرين قطُّ إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً... فإنْ كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله لنفسه في شيء قطُّ إلا أن تُنتهكَ حرمة الله، فينتقمُ لله تعالى»[3].

ويقول الداعية فتحي يكن في هذا المجال: «إنَّ سماحة الداعيةِ ولينَه وسهولَة معشرهِ هي التي تفتح مغاليقَ القلوبِ وَتنْفُذُ به إلى أعماق النفوس... يلامسها بالهداية فَتقبِلْ، ويدعوها إلى الخير فتستجيبُ... ويقرر ذلك رسول الله (ص) فيقول: «رحم اللهُ عبداً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى»[4].

ومن الصفات التي يجب توفُّرها في الداعية كذلك: التَواضُع وخفض الجناح، يقول فتحي يكن: «إنَّ الداعية المتواضع هو الذي يعيش مع كل الناس، ويستقبلُ كل الناس، ويكلّمُ كل الناس، ويزورُ كل الناس، ويحب كل الناس...»[5].

---

(1) رواه البخاري ومسلم. انظر: فتحي يكن، **الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية**، 36 ـ 37.

(2) متفق عليه.

(3) متفق عليه.

(4) فتحي يكن، **الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية**، ص41 ـ 42. والحديث رواه البخاري.

(5) المصدر نفسه، ص 45، يقول (ص): «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كِبر»، وقوله (ص): «إنَّ الله أوصى إليَّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد». رواهما مسلم.

وعلى الداعية أن يكون طلق الوجه وطيب الكلام: «فالوجه هو عنوان الداعية والمرآة التي تعكس نفسيته وأعماقه... فإن كان مُتجهماً أوحى بالضيق والتجهم، وإن كان طلقاً مبتسماً أوحى بالبشر والخير...»[1].

وكذلك فإن الكرم والإنفاق على الناس دليل أكيد على كرم وسخاء وعطاء نفس الإنسان، فيما البُخل والحرصُ والشحُّ دليلٌ على بخلِ النفس وحُرصِها وشُحِّها...[2].

(1) فتحي يكن، المصدر نفسه، ص 49.

(2) المصدر نفسه، ص55.

المبحث الخامس

خدمة الآخرين وقضاء حوائجهم

عن ابن عمر (رض) أنَّ رسول الله (ص) قال: «المسلمُ أخو المسلم لا يَظلِمهُ ولا يُسلِمهُ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربةً فرَّج اللهُ عنه بها كربةً من كِربِ يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره اللهُ يوم القيامة»[1].

وفي حديث آخر رواه مسلم عن أبي هريرة أنَّ النبي (ص) قال: «من نفَّس عن مُؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة، ومن يسَّر على مُعسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنَّة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[2].

---

(1) متفق عليه، انظر كتاب: **رياض الصالحين**، للنووي، باب قضاء حوائج المسلمين.

(2) رواه مسلم، انظر: **رياض الصالحين**، للنووي.

ولقد أولى الداعية فتحي يكن هذا الأمر حقه، إنْ في حياته الخاصة من حيث مكوثه في مكتبه يتلقى شكاوى الناس ويعمل على تلبية مطالبهم وقضاء حاجاتهم، أو في كتبه وتوجيهاته إلى العاملين في الحقل الإسلامي والدعوة والتي يراها ليست منبراً لعرض الأفكار والنظريات المجردة فقط، وعندما يدعو إلى هذا المنهج فإنَّ ذلك ليس من قبيل الدعاية والمتاجرة والإستغلال كما هو الشأن لدى البعض. . . وإنّما هو مبدأ في صُلب المنهج الإسلامي، لا يصح الإسلام إلا به، ولا بد للداعية من ولوج هذا الميدان، أما إن لم يكن بمقدوره أن يسع الناس بماله وجهده وخدماته فليسعهم بحسن الخلق[1]. وهذه القدرة التي يجب أن يمتلكها المسلم ميدانها القلب والجوارح. وإذا جاز للباحث أن يستطرد في تناول هذا الموضوع المهم، فإنّه يجد المسلمين قد ابتعدوا كثيراً عن المنهج الإسلامي في هذا المجال، ويجد بالمقابل أن الإرساليات الأجنبية، ومعها كل أجهزة التبشير، قد أتقنت عملها في هذا الحقل واعتمدته في جميع مخططاتها الاستراتيجية لتفكيك المجتمع الإسلامي، ثم انتزاع الولاء العاطفي عند المسلم وجعله تبعاً لها. . .

إنَّ الكوارث التي يعيشها العالم الإسلامي على كل الأصعدة، وأبرزها التفكك الاجتماعي والتحلل الخُلقي، وانعدام وجود المؤسسات الاجتماعية الفاعلة، إنَّ كل ذلك أوجد تُربة خصبة تعين المؤسسات المعادية في بلوغ أهدافها بأبسط الوسائل وأبخس التكاليف.

والخطير في عمل هذه المؤسسات، أنه إذا تعذر عليها إيجاد حقول للعمل، حيث لا مشاكل ولا كوارث. . . فإنّ دول العالم

(1) فتحي يكن، **الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية**، ص62 ـ 63.

الصناعي تحضِّر لها الأجواء المناسبة بافتعال الحروب... وارتكاب المجازر... وإشعال الفتن... ثم يصدر قرار عن مجلس الأمن الدولي، وتبدأ المنظمات الإنسانية بأعمال الإغاثة، حتى إنَّ الأمر وصل بهم في أعقاب الحرب بين دول التحالف الغربي والعراق أن أشعلوا نار الفتن المذهبية والقومية في جنوب العراق (حيث الشيعة) وشماله (حيث الأكراد)، وبالرغم من إمكانية إيصال المعونات من كل طريق، من الحدود الإيرانية، ومن الحدود التركية، ومن داخل العراق بالذات، فإنَّ الولايات المتحدة الأميركية وفرنسا وبريطانيا (الإغاثة كانت هذه المرة من الدول مباشرة) قامت بإسقاط المساعدات من الجو بالمظلات، متبعة أسلوباً جديداً في حربها النفسية، فبدلاً من انتظار المُستغيثين المعونة من السماء. أتتهم هذه المرة من الدول التي تُحاربهم... هكذا المعذبون يرنون إلى الفضاء بانتظار هبوط العون من طائرات الولايات المتحدة الأميركية وحلفائها لطعن عمق الإيمان النفسي عند المسلم بأنَّ الله سبحانه وتعالى كان ينزل المنَّ والسلوى على أتباع نبي الله موسى (ع)[1].

هذا في الحديث عن مكرهم ومُبتكرات أساليبهم. أما في ما مضى فلقد هيمنوا على النواصي والقلوب من خلال الطبيب المُتجول... والمُستوصف... ثم المستشفى والمدرسة ثم الجامعة... وكلّلوا ذلك بأبحاث التخصص العالي... وكان من أخطر أساليبهم الاهتمام بمراكز الأيتام والفقراء، حيث يخجل بعض المسلمين من أعمال إغاثة الفقراء

---

(1) يقول الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية 57].

وتربية الأيتام وإغاثة الأرامل والثكالى... ولا شعورياً، كان المسلمون يحسبون ذلك من مهام «العجم»، ولو بطريقة غير مباشرة فإنهم ما زالوا يظنون أن هؤلاء قد خلقوا لخدمتهم وإقالة عثراتهم[1]...

إنَّ عودة المسلمين لمواجهة تحديات الواقع والعمل على إنتاج احتياجاته، وحل مشاكلهم الاجتماعية... وكف أبنائهم عن التوجه صوب أعداء الإسلام طلباً للعون والمساعدة... والاستشفاء... والعلم... والصناعة... إن ذلك مرهون بعودتهم إلى المنهج الإسلامي الذي عرفه المسلمون الأوائل، صحابة رسول الله والتابعون وتابع التابعين... لقد فهم أولئك الإسلام فهماً كاملاً وشاملاً فدانت لهم الدنيا... واتجه العالم كله ناحية المسلمين ينشد لنفسه الخلاص ويسعى للسعادة والراحة...

---

(1) فتحي يكن، الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية، ص 66.

الفصل الرابع



التغيير والثبات في حياة الأمة

إنَّ الكون محكوم بنواميس، ولا توجد أية حركة، نمواً كانت أم انقراضاً، ولادة، أم زرعاً، إظهاراً في الأرض أم خضوعاً، علواً أو انخفاضاً، إلا وهي تبع للنواميس التي تضبطها وترتبها.

والكون مستمر في حركته المنتظمة وفق هذه القوانين التي خلقه الله تعالى عليها وأجراه بتفاعلها، فلا ولد بدون ذكر وأنثى، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾[1].

والإخبار عن خلق الله تعالى للكون فيه إعلام لنا بالناموس العام الذي يحكم المخلوقات ﴿... وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وما ينطبق على المخلوقات من حيث قانون التوالد والتناسل

---

(1) سورة هود: الآية 40.

(2) سورة الرعد: الآيتان 2 ـ 3.

والنمو. . . فإنه يحكم كذلك مسيرة الاجتماع البشري في كل مظاهره وعوامل الاختلاف فيه، وكذلك تغير الأحوال، كل ذلك وفق نواميس تحكم الكون.

يقول الله تعالى مخبراً عن حال قوم فرعون والأمم التي سبقتهم، وفي القصص عبرة للأحياء ولأنَّ من كثر اعتباره قلَّ عثاره، لأنَّ المتصفح لأحوال غيره فربما كان استدراكه الصواب منها أسهل[1]. .

يقول الله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2].

وعن عدله في معاقبة الأمم يقول تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

ويصف الله عزّ وجل الذين يكفرون بآيات الله بقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[4].

ولا حاجة للتذكير بأنَّ الإيمان بالله تعالى وعدم الكفر به يقضي الإلتزام بشريعة الإسلام، وشرع الله سبحانه وتعالى يطال الكون وما فيه يُسيِّره وفق النواميس المرفقة والمرتبة له ولا يحدث عكس ذلك في هذا الكون إلا (بالمعجزة)؛ والمعجزة التي هي خلاف قانون العِلة والمعلول هي آنية ومؤقتة لإثبات نبوة نبي أو رسول، ولا يترتب عليها

---

(1) الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، ص 328.
(2) سورة آل عمران: الآية 11.
(3) سورة الأنفال: الآية 53.
(4) سورة الأنفال: الآية 55 .

قانون أو ناموس... وتبقى قوانين الكون ثابتة على ما هي مخلوقة عليه.

والشرارة الأولى لعملية التغيير إنما تبدأ من النفس الإنسانية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[1].

وعملية التغيير لا تعني اجتثاث أصول الغرائز، لأنَّ في ذلك استبدالاً للفطرة التي فطر الله الناس عليها، فلا يعقل أن يُوجب الإسلام ذلك، للتناقض، فضلاً عن الاستمالة، فالغرائز إذن قوى لم تخلق عبثاً، وإنما قصد الشارع بتغليب العقل على منازع الهوى، ومن ثم توجيهها الوجهة التي تحقق للفرد وللمجتمع البشري الوجود المعنوي على أرفع مستوى إنساني[2].

والغريب أن علماء المسلمين لم يُولوا سُنن التغيير ما يكفيها من البحث، بالرغم مما تركه ابن خلدون في هذا المجال.

---

(1) سورة الرعد: الآية 11.

(2) فتحي الدريني، **خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم**، ص 93.

المبحث الأول

مفهوم التغيير في فكر الداعية فتحي يكن

سُنن التغيير كما يراها ابن خلدون[1]:

إنَّ التحول الاجتماعي في زمن ابن خلدون لم يكن سريعاً كما هو حالنا اليوم، سبب ذلك البطء في التحول، وهذا لا ينطبق، إلا من حيث المبدأ، على واقعنا، خاصة منذ مطلع هذا القرن، بفضل التطور التكنولوجي السريع الذي ترك بصماته على بنية المجتمع.

يرى ابن خلدون أنَّ الدولة تعيش ثلاثة أجيال، حيث تكون نهايتها في الجيل الرابع، وأنَّ عمر الجيل أربعون سنة، ولم يغفل العوارض التي قد تغير من مسرى التحول - والصناعة الإلكترونية والتكنولوجية في عصرنا الحاضر هي العارض الطارئ على التحول - وأن بنية كل جيل تختلف عن الذي سبقه، واتجاه الحركة يكون نحو النهاية والانحطاط الرهيب.. ففي الجيل الأول يكون أهله على خُلق البداوة وخُشونتها

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص 170 ـ 171، بتصرف. بما تبنقوه من النعيم وغضارة العيش: أي بما جمعوا من النعيم وطيب العيش.

وشظف العيش والبسالة والنزوع إلى طلب المجد، تحفّهم عصبية تجعل جانبهم مرهوباً والناس لهم مغلوبون.

أما في الجيل الثاني فيتم التحول إلى الترفّه والحضارة وانفراد الواحد بالمجد وكسل الباقين عن السعي فيه، فينتقلون من عزّ الاستطالة إلى الاستكانة، فتنكسر العصبية بعض الشيء ويأنس الناس إلى المهانة والخضوع، غير أنَّ هذا الجيل ما زال على عهد بالجيل الأول، باني المجد، أما أهل الجيل الثالث فإنهم ينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم يكن، ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من قهر وتفرد منهم في السلطة، ويبلغ فيهم الترف غايته بما تبنقوه من النعيم وغضارة العيش، فيصيرون عيالاً على الدولة ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم، وبالرغم من كل الشارات التي يحملونها على صدورهم فقد استحالوا في الأكثر إلى أجبن من النساء، حتى إذا ما جاءهم مُطالب عجزوا عن مدافعته، فيضطر صاحب الدولة إلى الاستعانة بسواهم من أهل النجدة ويستكثر من الموالي ويجلب من يدافع عن الدولة حتى يأذن الله بانقراضها، ويحصل ذلك في الجيل الرابع حيث سُوء الحال.

وكدليل على سُنة التغيير كما وصفها ابن خلدون، لا يسعنا إلا قراءة التاريخ ورسم خط بياني لانتقال الحُكم من فريق لآخر، ومن العرب إلى الفرس، ومن الفرس إلى المماليك ثم إلى العثمانيين. . .

وبعبارة مُوجزة، إذا أردت معرفة من سيملك القصر الفخم فتِّش عن الخدم فيه، أو الفقراء الذين يعيشون حوله، وإذا أردت معرفة فريق الحُكم في المستقبل فتش عن خدم السلطان الحالي. . .

إنَّ هذه السُنن غلاّبة، وواهم من أخرج نفسه أو أمَّته من حلبة تبادل الأدوار هذه، فالغائب غير الموجود، لا يحسب له حساب عند توزيع تركة من يفترض أن له إرثاً في تركته.

الإسلام منطلق التغيير

إنَّ خللاً رهيباً حصل في مسرى حركة التغيير في بنية الأمة الإسلامية، إذ إنها لمّا استفاقت على نفسها الهزيلة المريضة لم تفكر بما تصنع، وإنّما سارعت إلى استيراد ما تظنه صالحاً، من المبادئ والنُّظم الوضعية، وهو يحمل في طياته عوامل التخريب والتدمير، عوامل الفوضى والفساد، عوامل الضياع والشرور[1].

وهكذا تمت عملية زرع عناصر غريبة في جسم هذه الأمة... وكانت النتيجة بُؤر سرطانية برزت في كل ناحية من نواحي حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية...

وتحت تأثير هول الصدمة وقسوة الفاجعة، وبانصياعها إلى الشعارات الزائفة والمظاهر الخادعة، فقد أقدمت على عملية زرع جديدة، فيمَّمت وجهها شطر يافطات متعددة النعوت مثل: (التقدمية ـ الثورية ـ الاشتراكية)... وتتالت النكبات والهزائم، ومع الأسف كان العلاج بالتي كانت هي الداء، وما سنوات 1948، 1956، 1967 إلاّ محطات في الهزائم والنكبات التي توالت على هذه الأمة.

إنَّ الذي فات على هذه الأمة هو عدم الادراك أن لها شخصية

---

(1) فتحي يكن: **مجلة الشهاب**، مجلة الشهاب، فتحي يكن، هذا الفراغ الكبير من يملؤه، العدد 8، السنة السادسة، 6 رجب 1392 ـ 5 آب 1972م.

مستقلة مميزة... شخصية أصيلة، تستمد مواصفاتها وملامحها من الإسلام...[1] وذلك يعني أنَّ التغيير يجب أن يكون منطلقه الإسلام والفكر والنظريات والمبادئ الإسلامية، وليس بملء الفراغ بعناصر غريبة عن الإسلام وحضارته وقيمه...

لذلك فإنَّ هذا الواقع المرير الذي تعيشه الأمة والذي عليه العالم يجعل التغيير الإسلامي واجباً - بالضرورة - لاستنقاذ العالم الإسلامي أولاً من الحال الذي هو عليه، ليحتل مكانته الرائدة في هداية العالمين[2] والتغيير الإسلامي سيطرح الإسلام عقيدة لا تقوم أمامها عقيدة أخرى في الأرض... وسيطرح الإسلام قوة ثالثة لا تقف دونها قوة[3].

وهذا يستوجب قيادة إسلامية رشيدة، تسبقها جماعة مسلمة واعية بأهدافها، مُدركة تماماً لسُنن التغيير ونواميس الكون...

الاستقرار في حياة الأمة

إنَّ الثبات بمعنى التمركز في مكان واحد والجُمود فيه، غير موجود في قاموس الأُمم الحية، إنما هو حالة من الانهيار والاتجاه نحو العدم.

أما الثبات أو الاستقرار، فإنَّه يتحقق للمسلمين فعلاً إذا ما التزموا بشرع الله (عزّ وجلّ) وعملوا على إعلاء شأنه، قال تعالى:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ

---

(1) المصدر نفسه.

(2) فتحي يكن، **الشباب والتغيير**، ص30.

(3) المصدر نفسه، ص 32.

كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[1].

والثبات أو الاستقرار الذي ينشده فتحي يكن يكمن ويتحقق من خلال الالتزام بشرع الله تعالى، فالإسلام هو الحل؛ لأنه المنهج الذي يمكن أن يُصلح فلا يفسد، ويمكن أن يُوحّد فلا يفرق، ويمكن أن يغني المجتمعات فلا يفقرها، ويمكن أن يشد الأواصر ويؤلف بين القلوب، فلا يبعث فيها روح الأحقاد والعداوات، أو يغري طبقة بأخرى. . . كُل ذلك في ضوء تشريع فريد في إمكانية استيعابه لمشكلات الناس، فريد في قدرته على حل هذه المشكلات حلاً جذرياً كاملاً[2].

(1) سورة النور: الآية 55.

(2) فتحي يكن، **مجلة الشهاب، كل ثورة عدا الإسلام رجعية وتجسيد الواقع الجاهلي**، العدد 10، السنة الثالثة، 1 جمادى الأولى، 1389هـ ـ 15 تموز 1969م.

الفصل الخامس



فتحي يكن في المعترك السياسي

المبحث الأول

الجماعة الإسلامية في لبنان
من الدعوة إلى المشاركة السياسية

1 ـ النشأة الأولى:

يقول عبد الله بابتي (أحد قيادي الجماعة): إنَّ الجماعة الإسلامية نشأت في لبنان عام 1964م، وكانت تتألف من مجموعة شباب عرفوا قبل هذا التاريخ بجماعة «عُباد الرحمن»[1] وهذه الجماعة نشأت في بيروت وانتقلت إلى المحافظات، فعرفتها طرابلس قبل العام 1964م.

أما سبب الانشقاق عن جماعة عُباد الرحمن فإنَّ بابتي يردُّ الأمر إلى التباين في النظرة إلى طبيعة العمل الإسلامي، ولا يهم الأمة الانتقال من «عُباد الرحمن» إلى الجماعة إلا من زاوية معرفة الأوضاع العامة في المنطقة العربية، والفهم الإسلامي الذي نشأ عند هؤلاء الشباب الذي

(1) عُباد الرحمن، أسسها عمر الداعوق، عام 1952م، وحصرت عملها في الدعوة الإسلامية بأسلوب التعليم والأعمال الخيرية والكشفية (المخيمات الشبابية) واحتفظت بعلاقات مميزة مع الرئيس جمال عبد الناصر حيث أثمرت تلك العلاقة إنشاء جامعة بيروت العربية. والجماعة ما زالت تعمل حتى الآن.

جعلهم يتناولون العمل الإسلامي بشكل أوسع وبشكل يخرج عن كونه جمعية ذات نشاطات محدودة.

ففي عُرفنا الإسلام دين شامل وهو نظام متكامل وفلسفة وُجود تعطي لهذا المجتمع كل ما يتطلبه؛ لذلك نظرتنا حكمت علينا أن نُواجه المرحلة بعد «عُباد الرحمن» بتكوين «الجماعة الإسلامية» والتي كانت انطلاقتها من طرابلس. لكنها نشأت أيضاً في بيروت. . .

وعن نظرة الجماعة الإسلامية إلى الكيان اللبناني نقول: «نحن نؤمن بوحدة الأمة الإسلامية، وأنَّ الإسلام يجمع ولا يُفرق، ونرفض التقسيم بدءً من لبنان وانتهاء بالمنطقة العربية كلها. وعلى الصعيد المحلي نقول: إنَّ المسلمين في لبنان لهم مصلحة في أن يبقى هذا البلد غير مُقسم وغير مجزء؛ لأنَّ التفتيت محلياً يضعف من قدرتهم، وخارجياً يجعل المنطقة على كف عفريت. كذلك كان لنا موقف واضح أن نُدين كل ما يُسبب هذا التقسيم». أما عن بنية المجتمع اللبناني كما تتصوره «الجماعة الإسلامية» فيقول بابتي: «نحن لا نؤمن بأن تكون في لبنان امتيازات لأي فريق، بل على العكس يجب أن يشعر المواطن، أي مواطن في لبنان، بأنَّ له الحق في حياة كريمة اجتماعية يعيش فيها دون أن ينظر إلى هويته أو إلى دينه أو إلى انتمائه، ذلك أنَّ هذا البلد على ضيقه لا يُمكن أن يكون لطرف دون آخر».

وعن المشاركة في المؤسسات العامة لجهة ترشيح أفراد منها أي من أعضاء «الجماعة» للدخول في المؤسسات الدستورية اللبنانية القائمة، مثل المجلس النيابي أو مؤسسات دستورية أخرى يقول الكاتب بابتي: «هذا العمل بالنسبة لنا سبق أن مارسناه ابتداء من المجالس

الإسلامية والوقفية المحلية والعليا، . . . لنا أعضاء في هذه المجالس جميعها، وكذلك أيضاً دخلنا هذا العمل بترشيح أحد المسؤولين بالجماعة في دورة الانتخابات قبل الأحداث وهو الأستاذ محمد علي ضناوي[1].

وطبعاً مارسنا هذا الدور بقناعة أنَّ صوت الإسلام يجب أن يكون بارزاً في كل ميدان، وفي رسم خُطط لقيام المجتمع اللبناني على أسس العدالة والمبادئ الكريمة[2].

إنَّ «الجماعة الإسلامية» كانت منفتحة باكراً على المشاركة في المؤسسات السياسية، مخالفة بذلك ما دأبت عليه الحركات الإسلامية في كثير من اقتناعاتها بأنه لا يجوز المشاركة في حُكم غير إسلامي، ولعل تلك الفتوى أضرت كثيراً بطريقة التفكير عند الشباب المسلمين ووضعت اللبنات الأساس لكثير من التشنجات أو أسَّست لأرضية استغلها أفرقاء يتربصون شراً بالمسلمين وبمحاولة نهوضهم وعودتهم إلى الإسهام في خدمة الحياة العامة للمسلمين[3].

---

(1) محمد علي ضناوي، أحد قياديي الجماعة من الصف الأول مع فتحي يكن، عبد الله بابتي، إبراهيم المصري، فيصل مولوي، هشام قطان، محمود دندشي، رشيد ميقاتي، سعيد شعبان. . . وقد تم ترشيحه عن دائرة طرابلس للانتخابات النيابية عام 1972، ولم ينجح يومها حيث كان منفرداً في مواجهة كتلة رشيد كرامي.

(2) الحركات الإسلامية في لبنان، ملف الشراع، بدون تاريخ، الاقتباس من الصفحات 183 ـ 193 (صدر الملف سنة 1984 كما يذكر الباحث).

(3) لمن أراد تفصيلاً في هذه المسألة عليه مراجعة: الفكر الإسلامي المعاصر، بين الهدم والبناء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، ندوة مُستجدات الفكر الإسلامي المعاصر الرابعة (9 ـ 11 يناير 1995م) بحث قدمه علي لاغا (الباحث) ص 193 ـ 210.

2 ـ فتوى الجماعة الإسلامية بجواز المشاركة في الانتخابات النيابية:

لا يُمكن الكتابة عن فتحي يكن دون الحديث عن الجماعة الإسلامية، فهو من أوائل مؤسسيها وقد تبوأ مركز الأمين العام مدّةً طويلة، إذ لم يسبقه أحد[1] في هذا المنصب. عندما دخل يكن المجلس النيابي (كان يومها أميناً عاماً للجماعة) ممثلاً لها ورئيساً لكتلتها النيابية في المجلس النيابي اللبناني، لذا سيكون التركيز على الخطوات الفقهية والسياسية التي سبقت عملية الترشيح عام 1992م، حيث انتخب أول مجلس نيابي للبنان بعد إقرار وثيقة الطائف في المملكة العربية السعودية بتاريخ 22/ 10/ 1989م وصدَّقها مجلس النواب في جلسته التي عقدها في مطار القليعات (عكار) بتاريخ 5/ 11/ 1989م، علماً أنه قد تمّ تعيين بعض النواب عوضاً عن الذين ماتوا، باعتبار أنَّ ذلك المجلس كان قد مضى على انتخابه عام 1972م سبعة عشر عاماً، وكان على قيادة الجماعة الإسلامية أن تُبرر بصورة شرعية عملية إقدامها على ترشيح أعضاء منها للندوة البرلمانية، وبذلك تكون الجماعة قد دخلت معتركاً جديداً لم يسبق لأعضائها أن تمرّسوا فيه كما يلزم؛ ولهذا السبب فإنَّ تداعيات تلك المشاركة كانت عبئاً كبيراً على بنيتها الداخلية، فالتجربة تمحص، والله سبحانه وتعالى منح المتعففين عن اقتراف المعاصي، بعد أن تُصبح بمتناول أيديهم وفي دائرة قدرتهم، جنة الخلد، يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[2].

---

(1) لم تعرف الجماعة الإسلامية أميناً عاماً ثالثاً، فتداول المركز كان أولاً مع فتحي يكن ثم تداوله مع فيصل مولوي الذي آل له الأمر نهائياً حتى مرضه فخلفه الأستاذ إبراهيم المصري حالياً.

(2) سورة النازعات: الآيتان 40 ـ 41.

3- الجماعة والمُبررات الشرعية لخوض المعركة الانتخابية:

في التاسع من شهر آب 1992 م أصدر المجلس العلمي في الجماعة الإسلامية فتوى بجواز المشاركة في الانتخابات النيابية، علماً أنَّ الجماعة كانت قد شاركت عام 1972م كما أشرنا إلى ذلك من قبل، والفتوى ارتكزت على بيان مهمة المجلس النيابي المحددة بـ:

1 ـ **الوظيفة التشريعية**: وهي سنُّ القوانين التي تحتاج إليها الدولة والتي تُطبق على جميع الناس، ولا يحصل ذلك إلا بموافقة المجلس عليه، وحتى تلك القوانين «مراسيم اشتراعية» التي تصدرها الحكومة فإنها تأخذ عليها الموافقة مسبقاً.

2 ـ **الوظيفة المالية**: وهي تشمل الواردات والنّفقات بصورة عامة، وأما بشأن الواردات فليس من حق الدولة أن تفرض ضريبة إلا بقانون صادر عن المجلس وكذا الإنفاق والاقتراض.

3 ـ **الوظيفة السياسية**: إنَّ المجلس هو الذي يختار رئيس الحكومة ويمنح الحكومة الثِّقة ويُراقب الوزراء ويسحب الثقة ويُجبر الحكومة على الاستقالة إذا لزم.

إنَّ هذه الوظائف ليس فيها أي محظور شرعي في عمل النائب لأنه:

ـ يستطيع الدعوة إلى سنّ القوانين الإسلامية كما يدعو إلى ذلك كل داعية خارج مجلس النواب، كما أنه يستطيع أن يستنكر أي قانون غير إسلامي كما يفعل خارج المجلس، إلا أنّ الفارق كبير بين من يعمل في دائرة المسجد أو عبر الاتصال الفردي والتبليغ وبين من يكون في

مجلس نيابي له الحرية التي تمنحه إياها الحصانة النيابية «ويمكن أن تؤدي دعوته إلى تغيير القوانين مهما كان هذا الاحتمال ضئيلاً وفي هذا خير لهذه الدعوة»، وفي ردٍّ على رافضي مشروعية المشاركة قالت الفتوى: «وهل يريد بعض المسلمين أن نكتفي بالإنكار اللفظي ولو كان بإمكاننا أحياناً أن نغير القوانين فعلاً؟».

وبشأن فرض الضرائب تقولُ الفتوى: «فإذا أمكن للنائب المسلم أن يسعى لمنع فرض الضرائب الظالمة على الناس فهل يرتكب محظوراً، أم أنه يجب عليه ذلك انطلاقاً من مبدأ رفع الظلم عن المظلومين، والرسول (ص) عندما تكلم عن حِلف بين المشركين يقوم أساساً على إنصاف المظلوم قال عنه: «لقد حضرت في بيت عبد الله بن جدْعَان حلفاً ما أحب أن لي به حُمر النعم ولو دعيت إليه في الإسلام لأجبت».

وأمّا عن إنفاق الدولة فهو باب خطير للرشاوى والسرقات وأكل أموال الدولة والشعب عن طريق الصفقات، وما يحصل من استغلال للخدمات وسرقة بحجتها فهل «إذا استطاع النائب المسلم أن يكشف هذه الصفقات والسمسرات وأن يفضح المناورات التي تؤدي إلى سرقة أموال الشعب فهل يرتكب أمراً محظوراً أم واجباً شرعياً؟ ألا يدخل هذا في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟».

ثم بعد ذلك قدَّم البيان «الفتوى» لأدلة المانعين للمشاركة وناقشها.

الدليل الأول: يرى الرافضون أنَّ المشاركة في المجلس النيابي تستوجبُ مجالسة «الكافرين» مُستندين إلى بعض الآيات منها قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا

فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[1]، فردّ البيان أنَّ هذا يدل على حوار المشاركة وقوله: ﴿فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾[2] صريحة في جواز القعود معهم إذا خاضوا في حديث جائز. ومن حق النائب أن يحضر أيّ جلسة لا تُعجبه وينسحب عندما يشاء ولا حساب عليه.

الدليل الثاني: «يتناول مسألة المشاركة في الأنظمة الكافرة، والمنافع أقل بكثير من المضار، والمشاركة في الأنظمة الجاهلية لا يمكن أن تكون طريقاً للقضاء عليها وإقامة حكم الله (عزّ وجلّ)» وتجربة الجزائر تشهد على إحباط مُحاولة السيطرة على المجلس، وتردُّ «الفتوى» بالقول: «إنَّ الدخول في المجالس النيابية لا يمكن أن تعتبر مشاركة في الأنظمة الكافرة لأنَّ هذه المجالس وكيلة عن الشعب، والمسلم جزء من هذا الشعب فهو يشارك الأمة في حياتها وقضاياها ومشاكلها. . . وإذا كان الدخول في المجالس النيابية يعتبر اشتراكاً في الأنظمة الجاهلية فإنّ قَبول الهوية يعتبر أيضاً اعترافاً بهذه الأنظمة ومشاركة فيها وهذا لا يستنكره عاقل».

ويُكمل البيان شرحه لمبررات المشاركة وخاصة في لبنان، بلد التعدديات «. . . يصعب أيضاً إقامة الحكم الإسلامي الكامل في بلد مُتعدد الأديان والمذاهب ولا يكون أمام المسلمين، إلا جلب المصالح المُمكنة ودرء المفاسد القائمة».

ثم أوردت «الفتوى» أدلة المُجيزين مع أنها قد جاءت في سياق المناقشة من قبل، إلا أنه من المفيد ذكر ملخص لها:

---

(1) سورة النساء: الآية 140.

(2) سورة النساء: الآية 140.

1 ـ الأصل في الأشياء الإباحة ولا يُوجد نص يمنع دخول المجالس النيابية.

2 ـ إنَّ الدخول للمجلس يُحقق جملة من المصالح الشرعية المعتبرة ويمنع كثيراً من المفاسد ويصار إلى إحباطها.

3 ـ يُمكن عن طريق المجلس التعاون مع غير المسلمين من أجل تحقيق بعض المطالب الإسلامية (الجامع المشترك) كفرض الرقابة الأخلاقية على الأفلام ومنع الزواج المدني وإبقاء المحاكم الشرعية وإحداث بنك إسلامي غير ربوي.

ثم عرضت «الفتوى» إلى مواقف الحركة الإسلامية المعاصرة بشأن المشاركة في المجالس النيابية من أيام «الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله» وكانت المشاركة قد حصلت في مصر والسودان والأردن واليمن والعراق والكويت وتونس والجزائر وتركيا وباكستان وماليزيا ولبنان وسوريا، حتى أنَّ حزب التحرير الإسلامي رشَّح النائب أحمد الداعور في الأردن وكان نائباً عنه، كما أنه رشّح في لبنان علي فخر الدين والسيد يوسف بعدراني في بيروت وفضيلة الشيخ عثمان صافي في طرابلس، كما رشّح السيد عبد الرحمن المالكي في سوريا، «والعجيب أن ينبري اليوم بعض أعضاء حزب التحرير ليعلنوا عدم جواز الترشيح للمجالس النيابية بعد أن دخلوا هذا المُعترك مرات عديدة وفي أكثر من مكان».

وبعد الاستناد إلى ما فعلته الحركة الإسلامية المعاصرة استند البيان على آراء عدد من العلماء المعاصرين، عدا عن ابن تيمية والعز بن عبد السلام، منهم: أبو الأعلى المودودي، الإمام الشهيد حسن البنا، عبد العزيز بن باز، يوسف القرضاوي، مناع القطان، المستشار سالم

البهنساوي، وخلُص إلى: «ويرتفع هذا الجواز إلى درجة الوجوب في الظروف الحاضرة المحيطة بلبنان والتي يُخشى فيها على الوجود الإسلامي وعلى مستقبله من كيد أعدائه ومؤامراتهم مع غلبة الظن بأنّ وجود بعض الإسلاميين في المجلس النيابي قد يؤدي إلى كشف هذه المؤامرات وهو حتماً يُساعد على إحباطها بإذن الله»[1].

(1) راجع: البيان «الفتوى» وثيقة رقم1 ص179 ـ 198 في كتاب: فتحي يكن، **أضواء على التجربة النيابية الإسلامية في لبنان**، ط1، بيروت الكتاب الأول، مؤسسة الرسالة، سنة 1996.

المبحث الثاني

البرنامج الانتخابي لمرشَّحي الجماعة الإسلامية وموقف فتحي يكن من النِّيابة

أعلنت الجماعة الإسلامية ترشيح أعضائها للمجلس النيابي، وأصدرت برنامجهم الانتخابي في الأول من آب 1992م، بينما بيان «الفتوى» بالترشيح والمشاركة تمّ نشره في التاسع من الشهر ذاته، وقد صدر البيان[1] بـ: «نحمد الله تعالى، ونُصلي ونُسلم على رسوله، ونسأل الله التأييد والتسديد؛ شعوراً بالمسؤولية الشرعية والسياسية تجاه البلاد والعباد، وتأكيداً لحضور المشروع السياسي الإسلامي في دفعه المستمر للوصول إلى التغيير نحو الأفضل، ونزولاً عند الحاجة الملحة لجماهيرنا المؤمنة في التعبير عن حقها السياسي، والمشاركة في العملية الانتخابية كأسلوب من أساليب النضال السياسي، وكمدخل إلى تجديد البنية السياسية في لبنان بعد أن تآكلت واعتراها الكثير من التردي والتخلف،

(1) نظر: البرنامج الانتخابي لمرشحي الجماعة الإسلامية، ص 199 ـ 210.

والتزاماً بفقه المرحلة على ضوء القراءة الواضحة للواقع السياسي والاجتماعي في لبنان، ووعياً منّا لدقة المرحلة التاريخية التي يمر بها لبنان والمنطقة، وإدراكاً لحجم الكيد والتآمر على حق أمتنا بالحياة والحرية، وتحذيراً من مدى التردي الحاصل في المؤسسات السياسية والإدارية في لبنان. . . ندعو المواطنين جميعاً إلى الالتفاف حول مشروع (التحرير والإصلاح والتغيير) باعتباره مشروع إنقاذ متكامل يُعيد إلى المواطن الثقة والأمل، وإلى الأمة عزتها وكرامتها يجمع بين الإيمان والعلم، يعمل فيه الشعب لصياغة دولة العدالة التي تُوفر الأمن والحرية والرزق لكل مواطن».

وفي جمل توضيحية وعد البيان بتعبئة قوى الأمة في معركة الحرية والتنمية الاجتماعية والاقتصادية، كما يستنفر المشروع الأمة لمقاومة الخطر الصهيوني وإلى زيادة الإنتاج الوطني وترشيد الاستهلاك ويؤمّن العدلة والحرية الاقتصادية.

ويعمل على تفجير الطاقات المخزونة نحو الإبداع والاتقان، ويحفظ الأسرة من التفكك.

كما وعد المشروع بإعادة النظر بالقوانين التي تُخالف الشريعة الإسلامية، وبناء نظام سياسي يؤدي إلى دولة حديثة «بعيداً عن دولة المزارع والطوائف والإقطاعات» والفصل بين السلطات والعمل على جعل لبنان دائرة انتخابية واحدة، وإسقاط نظام الامتيازات الطائفية، وعلى المستوى الدفاعي: إعداد الجيش لمقاتلة العدو الصهيوني، وتدعيم مسيرة الجهاد والمقاومة الشعبية، وعلى المستوى الاجتماعي: تحقيق الأمن الاجتماعي وتوزيع الثروة الوطنية وتبنِّي مطالب الأكثرية

المحرومة من عُمال وفلاحين وموظفين ومعلمين وصغار الكتبة، وتقريب الفوارق بين الطبقات، واحترام الملكية الفردية والنظام الحر، ومساءلة الأثرياء ورفع السِّرية المصرفية عن حسابات المسؤولين في الدولة، ومكافحة المخدرات وتأهيل المستشفيات، كذلك تفعيل دور النقابات والمحافظة على الأخلاق العامة.

أما على المستوى الاقتصادي: وضع سياسة مالية واقتصادية واضحة تعتمد ترشيد الانفاق الحكومي وضبطه وتنمية موارد الخزينة عبر ضبط موارد الدولة ومحاربة التهريب وتفعيل ومراقبة الجهاز الجُمركي، ووضع تشريع ضرائبي عادل، وإعادة تشغيل المرافق الحيوية، وحماية الاقتصاد الوطني مع حمايته من التبعية الخارجية.

تعديل قانون المصارف باتجاه تشريع البنوك الإسلامية، ثُمّ إعطاء الأولوية لتنمية المناطق المُتخلفة والفقيرة، كما لحظ المشروع إصلاح الإعلام وتطوير التربية وتطوير الإدارة، كما لحظ وجوب إقامة علاقات خارجية في ظل انتماء عربي وتحرير فلسطيني، والاهتمام بالمغتربين اللبنانيين المنتشرين في كل أصقاع الأرض. . .

1 ـ ماذا تعني النيابة بالنسبة إلى فتحي يكن؟

يقول فتحي يكن: «إنَّ النيابة مسؤولية، يضطلع بها النائب بعد نجاحه في الانتخابات، ضمن الدائرة التي يُحددها قانون الانتخاب، ولقد كانت (المحافظة) هي الدائرة الانتخابية التي جرت في نطاقها الانتخابات النيابية عام 1992م».

«والنيابة مسؤولية (تكليفية) لا (تشريفية)، مناطة بشخص النائب

المنتخب من الشعب، وهو مسؤول عن القيام بها، نيابة عن الأمة، وليس نيابة عن الشريحة التي أعطته أصواتها، أو الطائفة التي ينتمي إليها، أو الفئة التي يُمثلها».

وهو بذلك مسؤول عن تمثيل الناس وقضاء حاجاتهم وتحقيق مصالحهم، وتحديث قوانين دولتهم، وتفعيل دور المؤسسات العامة، فالنائب ليس بديلاً عن مُؤسسات الدولة، ولكن يُفعّلها.

ويقول أيضاً: «لقد مرّت ـ بلبنان ـ عهود كانت النيابة تعني (الوجاهة والزعامة) ولهذا بقيت تراوح ضمن دائرة الطائفة والمذهب والعشيرة والعائلة وإنْ بغير جدارة وأهلية، كانت النيابة (موقعاً زعامياً لخدمة الأتباع والأنصار والمحازبين، ولم تكن موقعاً قيادياً ـ تشريعياً وسياسياً ـ وفي خدمة كل لبنان وكل اللبنانيين». . . ؟ لقد غلب الحس الطائفي أو المذهبي على الحسّ الوطني والإنساني العام، كما غلب الدور المحلي والمناطقي الدور الذي ينبغي أن يغطي الساحة والمساحة اللبنانية كلها» لذلك يُقترح تحويل لبنان إلى دائرة انتخابية واحدة وعندها تطرح الكُتل النيابية الواسعة مشاريعها «ولا بُدّ أن يُعطي القوس باريها»[1].

2 ـ عوامل نجاح النائب الإسلامي في أدائه:

كي يكون العمل النيابي ناجحاً يجب أن تتوفر فيه المُقومات التالية:

---

(1) فتحي يكن، **أضواء على التجربة النيابية الإسلامية في لبنان**، الكتاب الأول، ص23 ـ 25 بتصرف.

1 ـ ما يتعلق بالنائب نفسه: قُوة الشخصية، حدّة الذكاء، حضور وبداهة، ثقافة ووعي، إحاطة بالعصر، دماثة في خُلقه، كرم اليد والنفس، المتابعة لما يجري حوله، قراءة جيدة للأحداث، استفادة من التجارب، التشاور مع من حوله ولو كان من الخصوم.

2 ـ ما يتعلّق بالظروف: معرفة النائب بالأمور السياسية المحلية والإقليمية والدولية.

ـ معرفته للقوى السياسية- الفاعلة والضعيفة - المحلية والإقليمية والدولية.

ـ معرفته للقوى السياسية الفاعلية والضعيفة والمحلية والإقليمية والدولية.

ـ تحليل للأحداث السياسية بموضوعية وواقعية وشمولية.

ـ التخطيط المستقبلي وتحديد السياسات.

3 ـ سيضيع النائب بدون برنامج مُسبق ومخطط مُحكم.

4 ـ تحديد قضايا سياسية محورية ومركزية؛ بحيث تربط الخدمات بالمشروع السياسي.

5 ـ البرنامج الانتخابي، «من هنا كان البرنامج الذي خاضته الجماعة» على أساس الانتخابات النيابية واضحاً وشاملاً، مُغطياً الجوانب كلها[1].

لقد رسم فتحي يكن صورة مثالية للنائب الإسلامي[2] فعليه:

---

(1) فتحي يكن، المصدر نفسه، الكتاب الأول، بتصرف، ص27 ـ 29.

(2) المصدر نفسه، ص35 ـ 36.

ـ معرفة القواعد والأصول الدستورية (معرفة الدستور).

ـ معرفة القواعد والأصول القانونية (معرفة القوانين).

ـ معرفة القواعد والأصول والأنظمة البرلمانية.

ـ معرفة التيارات والقوى المختلفة للشعب الذي يُمثله.

ـ معرفة التاريخ السياسي لهذا البلد.

ـ معرفة الأزمات والمشكلات الرئيسية والطارئة.

ـ معرفة الخارطة السياسية والفكرية للمجلس النيابي الذي ينتسب إليه.

ـ معرفة القوى المُؤثرة في سياسة البلد وقراراته الإقليمية والدولية.

ـ معرفة القوى الظاهرة والخفية المؤثّرة في العالم وبخاصة (اللوبي الصهيوني).

ثم يقول: «إنَّ كل هذه المعطيات وغيرها لا يمكن أن تتحقق من غير اعتماد على: مستشارين في كافة الشؤون»، كما يجب الاعتماد على مراكز أبحاث وأجهزة إعلامية كي يتمكن النائب الإسلامي من أداء الدورالمنوط به.

3 ـ الأداء النيابي الإسلامي:

وكما اقتصرت الدراسات السابقة على المؤهلات المتوجبة بالنائب الإسلامي، فإنّ حديثه عن الأداء النيابي اتسم بعبارة «يمكن تسديد الكثير» «يُمكن تقديم مشاريع قوانين...»، وأورد مجموعة من الإنجازات التشريعية:

1 ـ تمّ تقديم مشروع قانون (المصرف الإسلامي).

2 ـ تمّ التصدي للمحاولات المتكررة التي تستهدف القضاء الشرعي.

3 ـ تمّ تقديم مُقترحات حول قانون (الشُّفعة) و(إثبات وفاة المفقود).

4 ـ تمّ تقديم مُقترحات تتعلق بترشيد السياسة الزراعية وخطر زراعة المخدِّرات.

5 ـ إعداد مشروع قانون للحدّ من مضار التدخين.

6 ـ إعداد مشروع قانون حول قروض الإسكان لرفع الحرج وتعميم الفائدة. وعرض لنماذج من المطالعات ومناقشات بيانات وسياسات الحكومة أثبتها في الوثائق رقم 5 ـ 6 ـ 7 ـ 8 . . . .[1].

وقد أشار فتحي يكن إلى هذه المسألة عندما صدَّر كتابه الأول بعبارة «الأداء النيابي بين المبدأ والتطبيق».

4 ـ تصوره لدور النائب في السياسة والخدمات:

كما هي تصوراته لمهمة النائب يرى الداعية يكن «أنَّ الأداء النيابي يُمكن أن ينهض بدور هام في إطار ترشيد السياسات المختلفة التي تعتبر أساساً للبنى التشريعية والقانونية، وبخاصة: إذا كان وراء هذا الأداء (أجهزة مُختصة) في كل جانب من جوانب الحياة».

(1) فتحي يكن، المصدر نفسه، ص 61 ـ 63 بتصرف.

وعليه، فإنَّ مهمة النائب تتجاوز وضع سياسيات تربوية راشدة إلى ترشيد السياسيات الاقتصادية والمالية والمعيشية، «. . . يُمكن أن ينهض بدور كبير هام في. . .» وأنه «بالإمكان تقديم (النظام الاقتصادي الإسلامي) كبديل عن النظامين (الرأسمالي والإشتراكي) ليس من الموقع الطائفي، وإنما من الموقع العلمي التجريدي والموضوعي» وأنه «في إطار ترشيد السياسات الصحية يُمكن تحقيق خطوات مماثلة عن طريق التوعية والوقاية والتلقيح المبكر، والإقلاع عن تعاطي المواد المخدرة والمسكرة، وتجنب الموبقات الجنسية. . .».

«والخلاصة. . . إنَّ الأداء النيابي الإسلامي المدروس، من شأنه أن يُؤدي إلى إحداث حالة تغييرية كلية وشاملة. . .»[1].

ومع تركيزه على دور النائب التشريعي، إلا أنه يرى أنَّ مهامه تتعدّى ذلك، نظراً للحاجات الملحة أي إلى الاهتمام بالخدمات الفردية والجماعية، «إنَّ النائب لم يعد معذوراً في حالة تخلفه عن تلبية حاجات الناس اليومية على الصعيد المعيشي والصحي والتعليمي والوظيفي والقضائي والأمني، كما أنه مُطالب في أن لا يغيب عن تشييع جنازة وتعزية بميِّت أو تهنئة بفرح»[2].

وفي تقرير عن مشاريع الشمال حمل النائب فتحي يكن في (15/ 11/ 1992م) دراسة أعدها رئيس بلدية طرابلس سابقاً عشير الداية، مما جاء فيها[3]:

---

(1) فتحي يكن، المصدر نفسه، الكتاب الأول، بتصرف، ص61 ـ 67.

(2) المصدر نفسه، الكتاب الأول، ص69 ـ 71.

(3) لمن أراد مزيداً من التفصيل عليه مراجعة: فتحي يكن، المصدر نفسه، الكتاب الأول، وثيقة رقم (9) من ص 277 ـ 295.

1 ـ إعادة بناء الأبنية المهدمة من جراء حوادث طرابلس وذلك عن طريق صندوق المهجرين.

2 ـ ترميم الأماكن الأثرية.

3 ـ الكهرباء.

4 ـ تلزيم أعمال المجاري وتعبيد منطقة الضَّم والفرز.

5 ـ ترميم المحجر الصحي البيطري الذي تضرر وأتلفت تجهيزاته أثناء الحوادث التي حصلت في مدينة طرابلس.

6 ـ تأهيل كورنيش النهر.

7 ـ تأهيل شبكة المجاري ومحطة الضَّخ والمصب البحري.

8 ـ تأهيل الملعب البلدي.

9 ـ استكمال تنفيذ أوتستراد شكا ـ طرابلس ـ البداوي.

10 ـ استكمال المعرض الدولي الذي بدأ العمل بإنشائه منذ عام 1960م ولم يكتمل بعد.

11 ـ المنطقة الصناعية التي تمّ تحديدها بالمرسوم رقم 2503 تاريخ (13/ 11/ 1956م) وهي تقع في الجهة الشمالية من المدينة ضمن نطاق منطقة البداوي العقارية. كما أن المنطقة الصناعية لمدينة الميناء تقررت بمقتضى المرسوم رقم 1915 تاريخ 14/ 1/ 1971م.

12 ـ تأهيل وتجهيز إهراءات القمح في مرفأ طرابلس.

13 ـ إنجاز معمل تلف النفايات.

14 ـ المرآب الجماعي تحت ساحة عبد الناصر.

15 ـ تنفيذ جسور ضمن مدينة طرابلس لتسهيل حركة السير، وذلك في ساحة عبد الحميد كرامي ـ مفرق الروكسي ـ البولفار ـ مفرق عزمي البولفار ـ الملولة ـ الجسر المؤدي من البولفار - حتى أبي سمراء. . .

16 ـ إحداث مجرور في نهر البحصاص لتصريف مياه مجاري منطقة الكورة لرفع الضرر عن مدينة طرابلس - والجدير ذكره أن هذا المجرى لا تسيل فيه المياه إلا في فصل الشتاء.

17 ـ بناء المستشفى الحكومي الجديد.

18 ـ بناء القصر البلدي الجديد والمركز الثقافي البلدي.

19 ـ الحدائق العامة.

20 ـ الاهتمام بالهاتف والمرفأ. وغيرها من الطلبات الخدماتية المحلية.

المبحث الثالث

التحالفات مع الكُتل النيابية إسلامية وغير إسلامية والأداء النيابي في وسائل الإعلام

لقد أدرك فتحي يكن من خلال عمله النيابي عدم جدوى العمل الفردي، أو العمل ضمن كتلة صغيرة، لذلك لا بد من تحالفات مع كُتل أخرى لا يشترط فيها الانتماء ذاته، لكن يمكن العمل معها ضمن أهداف مرحلية، وأعطى أمثلة على ذلك: «لو أمكن الالتقاء على هدف إلغاء الطائفية السياسية. . . أو هدف العدالة الاجتماعية والمساواة، والإنماء والإعمار والتوازن، أو هدف تحقيق السلم الأهلي والإنصهار الوطني. . . إلى ما لا نهاية له من أهداف مرحلية، لأمكن تحقيق الكثير من المصالح للبلاد والعباد، وفي وقت قصير وبجهد أقل»[1].

عوائق محلية ودولية[2]:

يذكر فتحي يكن أنَّ التجربة النيابية الإسلامية في لبنان تعرضت

(1) بتصرف، فتحي يكن، المصدر نفسه، ص89 ـ 92.

(2) المصدر نفسه، ص 93 ـ 97، الوثيقة رقم 12، ص 323 ـ 326 ورقم 12 مكرر ص 327 ـ 330.

لمؤامرات وتحديات منذ اللحظة الأولى، فكان البعض يعتبر دخول الإسلاميين إلى المجلس النيابي خطوة متقدمة على طريق إقامة جمهورية إسلامية، والبعض الآخر تخوّف من إنحسار زعامته المتوارثة «في مواجهة أداء نيابي يقوم على مقومات مبدئية وعلمية ومنطقية، ويعتمد على قوامة المشروع، وتمييز الأداء، وكفاءة ونظافة الشخص»، ومنهم من كان يستفيد من الواقع الفاسد المهترئ، وآخرون يريدون المحافظة على بقاء التسلط الطائفي، يُضاف إلى هؤلاء أعداء الصحوة الإسلامية محلياً ودولياً، وغيرها من الأفخاخ التي تمكنت كتلة نواب الجماعة الإسلامية من تفكيكها والتخلص من شراكها.

فبتاريخ (23/ 11/ 1993م) نشرت وكالة الصحافة الفرنسية خبراً مفاده «أنَّ مخابرات الجيش كشفت عن خطة أعدتها الجماعة الإسلامية لتفجير منصة عيد الاستقلال وقتل من عليها من قيادات محلية وسلك دبلوماسي بمن فيهم الرؤوساء الثلاثة، وفي التاريخ ذاته اشتبك الجيش مع بعض المطلوبين في بلدة فنيدق في عكار واتُهمت الجماعة الإسلامية أنها وراء الحادث».

وفي ليل (23/ 6/ 1993م) وقع انفجار عند جسر البلمند المؤدي إلى جامعة البلمند قبيل مرور باص يقل 22 من رجال الدين المسيحيين متوجهين إلى دير البلمند لحضور مؤتمر الحوار الأرثوذكسي الكاثوليكي، فتمّ توجيه أصابع الاتهام فوراً إلى عناصر الجماعة الإسلامية، وقد ردّت كتلة نواب الجماعة على هذه الحملات والاتهامات في جلسة المجلس النيابي بتاريخ (12/ 7/ 1993م) حيث ألقى النائب فتحي يكن خطاباً فنّد فيه هذه المزاعم والافتراءات داعياً الحكومة والأجهزة المختصة لكشف مُروجيها ومما قاله: «دولة الرئيس. . . لقد وقعت علينا ظلامات كثيرة وتجنيات كثيرة في عهد الحكومة العتيدة، ودون أن يصدر بيان رسمي ينصف الأبرياء ويُعيد الحق

إلى نصابه... ولقد استغلت بعض وسائل الإعلام، والمصطادون بالماء العكر هذا الصمت من الدولة استغلالاً رخيصاً. نحن جماعة لها من العُمر أكثر من رُبع قرن، ويعرف القاسي والداني أنها ترفض الإرهاب واستعمال العنف إلا في مواجهة العدو الصهيوني، ولقد كان لها شرف بدء المقاومة وسقوط الشهداء قبل أن يبدأها أحد... نحن حركة تدعو إلى المحبة الصادقة... وهي تدعو إلى الحوار الإسلامي المسيحي الصادق وتنبذ التقاتل والتذابح كما تحرص على تمتين العيش المشترك لأن رسالة الإسلام كذلك... ليس في صُفوفنا قتلة، ولا مُرتزقة، ولا مجرمين...».

وبعد أن فنّد الاتهامات التي وُجِّهت إلى الجماعة الإسلامية قال متوجهاً إلى رئيس الحكومة: «تداركوا الموقف قبل فوات الأوان، وخُذوا على يد الظالم أياً كان»... وأعقب الجلسة والخطاب بمؤتمر صحفي أعرب فيه عن الارتياح الذي لمسه لدى السلطات الحكومية والعسكرية والأمنية لجهة تكذيب الشائعة (المؤامرة التي تناقلتها بعض وسائل الإعلام حول محاولة مزعومة لزجِّ اسم الجماعة فيها زوراً وبهتاناً في ذكرى الاستقلال) وهدّد باتخاذ إجراءات قانونية ضد مروّجي الشائعات وعمّم موقفه بفقرة تطعن بمصداقية وطنية كل من يعمل على إبقاء لبنان في دوامة الصراع والاقتتال والتفكك.

1 ـ الأداء النيابي عبر الإعلام:

تحدث الكتاب الأول عن التجربة النيابية لنواب الجماعة الإسلامية (1992-1996م) وركّز على الصفات المتوجِّبة بالنائب والمهام التي عليه ملاحقتها وقد ذيّله فتحي يكن بعدد من الوثائق. كما تم استعراض أهم المنجزات التي حصلت على يد نواب الجماعة مثل إقرار مرسوم يسمح

بإنشاء مصارف إسلامية على الأراضي اللبنانية، وهذا الأمر كان بحق في غاية الأهمية والتوفيق، لذلك فمنذ سنوات والمصارف الإسلامية تفتح لها فروعاً في لبنان، مما أضفى حركة إيجابية على اقتصاد المسلمين الذين لا يتعاملون مع النظام المصرفي الربوي.

أما الكتاب الثاني فخصّصه فتحي يكن للأداء النيابي عبر الإعلام، وهو بذلك كما في الكتاب الأول والثاني التزم قول الحقيقة وكان موضوعياً.

يقول في مقدمة الكتاب الثاني: «سأعرض لنماذج من الأداء النيابي الذي تناقلته وسائل الإعلام المختلفة» وأكمل حملته على المعارضين لمشاركة الإسلاميين في الحياة السياسية قائلاً: «إنَّ تخلّي الإسلاميين عن أخذ دورهم، وتحمل مسؤوليتهم، في مواقع القرار، يعني الإسهام في إبقاء هذه المواقع، مواقع غير إسلامية، ومعادية للمشروع الإسلامي، كما يعني إبقاء هذا المشروع على هامش الحياة، لا يتعدّى دوره إطار الموعظة والخطبة والمحاضرة وتأدية الشعائر»[1].

2 ـ دور الإعلام في تكوين الراعي العام:

في الفصل الأول ركّز فتحي يكن على مركزية الإعلام في الأداء الدعوي والسياسي والنيابي مبيناً أنه النافذة الأوسع التي يُمكن الإطلال منها على العالم والتأثير في شعوبه وجماهيره وصنع القرارات «والحقيقة أنه لا قيمة لفكر لا إعلام له، وبخاصة في عصر بات الإعلام يغطي الكرة الأرضية كلها، ويصل إلى كل بيت في كل أنحاء المعمورة».

---

(1) فتحي يكن، **أضواء على التجربة النيابية الإسلامية في لبنان**، الكتاب الثاني، الأداء النيابي عبر الإعلام، ط1، مؤسسة الرسالة، 1417هـ ـ 1996م ص 5 ـ 9.

لذلك لم يعد جائزاً إبقاءه هامشياً، أو مُهمَّشاً في الساحة الإسلامية، ثم عرّج على تجربة اليهود في السيطرة على الإعلام الذي حوّل صورتهم من الشخصية اليهودية الجشعة الماكرة الخبيثة الحاقدة كما صورتها رواية «تاجر البندقية» للشاعر الإنكليزي الشهير شكسبير، وبعد النجاح في غسل دماغ الرأي العالمي وخاصة الأمريكي منه والأوروبي، تحوّلت صُورتهم إلى «الذكي، والشجاع، العبقري، المثابر، المخترع، العالم، الطموح» وقد أورد فتحي يكن مقتطفات من مؤتمرات أقامتها الحركة الصهيونية. ففي عام 1869م عبّر الحاخام اليهودي راشورون في خطاب ألقاه في مدينة براغ عن شدة اهتمام اليهود بالإعلام قائلاً: «إذا كان الذهب هو قوتنا الأولى للسيطرة على العالم، فإنَّ الصحافة ينبغي أن تكون قوتنا الثانية». وفي مؤتمر بال السويسرية 1897م أعلن المجتمعون أن مُخططهم «لإقامة دولة إسرائيل لن يُكتب له النجاح إذا لم تتم السيطرة على وسائل الإعلام».

وهكذا فإنّ فتحي يكن وضع الإعلام في دائرة الضوء الأكثر خطورة، وهذا أمر لا يختلف معه فيه عاقل.

3 ـ عينات من الأراء النيابية عبر الإعلام:

يعرض فتحي يكن لما نشرته وسائل الإعلام من مقالات وتصاريح وبيانات نُجملها في ما يلي:

ـ ظاهرة الانهيار الأخلاقي:

في مقال نشرته جريدة اللواء[1] للنائب فتحي يكن ردّ فيه ظاهرة

---

(1) لقد تم اقتباس المقال من صورة عن جريدة اللواء ليس عليها تاريخ النشر.

الإنهيار الأخلاقي إلى مخططات إفساد معدّة ومدروسة «الهدف منها إضعاف وإسقاط مقومات النجاح لدى الأجيال، لإفساح المجال أمام المشروع الصهيوني، لاقتحام معاقلنا وتهديم حصوننا من الداخل» وربط بين هذه الظاهرة وتصاعد وتيرة التفاوض بين دول عربية وإسرائيل ومحاولة تسويق مشروع النظام الشرق أوسطي الجديد، ورداً من جانبه على هذه المؤامرة دعا كنائب في مجلس تشريعي يُراقب أعمال السلطة التنفيذية إلى وضع سياسات إعلامية هادفة وصارمة تحصّن الواقع الاجتماعي وتعمل على صياغة جيل صالح، كما يرى وجوب وضع سياسات تربوية وتعليمية تنقل الأجيال من حالات التلقي التجريدي للعلوم إلى حالة التلقي الموجه الهادف. وأنه مطلوب إلغاء كل القوانين التي تُروج للعهر والمجون والرذيلة بشتى أشكالها، ومطلوب كذلك استصدار قوانين صارمة لردع كل من يخالف بدءً بالمؤسسات الإعلامية الرسمية قبل الخاصة، وأنه مطلوب «أولاً وقبل كل شيء أن يُدرك الجميع أنَّ استرسال الإعلام والمؤسسات المعنية في هذا المنحى من شأنه أن يُدمر لبنان ـ إنساناً وبشراً ـ بعدما دمرته الأحداث مؤسساتٍ وحجراً»[1]. وفي تاريخ (4/ 1/ 1995م)، تحت عنوان: (برسم وزير الإعلام) أدلى فتحي يكن بالتصريح التالي: «الإعلام يلعب دوراً خطيراً في مجال الحياة الاجتماعية والاقتصادية وما لم تكن سياسة الإعلام موجهة توجيهاً سليماً وحضارياً فإنّ التخريب الرهيب سيأتي من هذه البوابة؛ لأنها ستكون بوابة عبور للهدم لا للبناء»[2].

---

(1) فتحي يكن، **أضواء على التجربة النيابية الإسلامية في لبنان**، الكتاب الثاني، مصدر سابق، ص 5 ـ 9.

(2) المصدر نفسه، ص31.

المبحث الرابع

الموالاة والمعارضة في المسؤولية سواء

بتاريخ (17/ 7/ 1995م) أدلى فتحي يكن بتصريح صحافي تساءل فيه عن السبب الذي من أجله يحجم رئيس المجلس النيابي ومعه المجلس عن تسديد أداء دور الأداء الحكومي، وأنه على الدولة بكامل سلطاتها العمل على إنقاذ الوطن. يقول يكن: «يجب أن يدرك الجميع أن لا أحد يمكنه أن يكون خارج دائرة المسؤولية، أو شامتاً بما يجري... فالشماتة السياسية تعني الشماتة بإنهيار هذا الوطن أرضاً وشعباً ومؤسسات».

وفي توصيف صحيح وسليم لدور المعارضة أو الموالاة يرى فتحي يكن أنه بدون إسهام الجميع في عملية معالجة المشكلات وإنقاذ البلاد «... لا تكون المعارضة مُعارضة من أجل لبنان، ولا تكون الموالاة موالاة من أجل لبنان»[1].

ومن موقع المعارضة، فإنَّ كتلة نواب الجماعة الإسلامية لم تطرح نظاماً سياسياً معيناً، إنّما كانت تعمل ضمن النظام الموجود، إلا أنَّ لها

---

(1) فتحي يكن، **أضواء على التجربة النيابية الإسلامية في لبنان**، الكتاب الثاني، مصدر سابق، ص45 ـ 46.

بعض الاقتراحات، كما أنّ فتحي يكن نفسه كان له وجهة نظر عرضها من خلال تصريحات متفرقة على فترات، على اعتبار انتهاء الدورة النيابية وفي فترة مناقشة انتخاب رئيس جديد بدلاً من الرئيس إلياس الهراوي أو التمديد له.

وفي (26/ 4/ 1995م) صدر عن كتلة نواب الجماعة الإسلامية بياناً بشأن تعديل المادة 49 من الدستور(*) جاء فيه: «قرّرت المطالبة بتعديل المادة 49 بمجملها. وذلك بشكل دائم، مما يُؤدي إلى استقرار التشريع» واقترحت:

«أولاً: تحديد ولاية رئيس الجمهورية بأربع سنوات قابلة للتجديد لدورة واحدة.

ثانياً: إلغاء كل القيود التي تمنع القضاة وموظفي الفئة الأولى من الترشيح لمنصب رئاسة الجمهورية»[1].

مع التمديد للرئيس الهراوي:

وفي (15/ 4/ 1995م) أصدر النائب فتحي يكن تصريحاً بيّن فيه رؤيته لما يجب أن يحصل في لبنان يمكن تلخيصه بما يلي:

1 ـ التمديد لولاية جديدة للرئيس إلياس الهراوي.

(*) المادة 49 (المعدلة بالقانون الدستوري الصادر في 8/ 5/ 1929م وبالقانون الدستوري الصادر في 21/ 1/ 1947):

يُنتخب رئيس الجمهورية بالاقتراع السري، بغالبية الثُلثين من مجلس النواب، في الدورة الأولى ويكتفي بالغالبية المُطلقة في دورات الاقتراع التي تلي، وتدوم الرئاسة ست سنوات، ولا تجوز إعادة انتخابه إلا بعد ست سنوات لانتهاء مدة ولايته...

(1) المصدر نفسه، الكتاب الثاني ص 61.

2 ـ تشكيل هيئة حوار وطني.

3 ـ قانون انتخابي جديد «. . . يحقق التمثيل العادل والمتوازن».

4 ـ إنشاء المجلس الاقتصادي الاجتماعي.

5 ـ الإصلاح الإداري وتطهير الإدارة من الفساد.

6 ـ وضع قانون الإثراء غير المشروع موضع التنفيذ.

7 ـ إعادة النظر في النظام الاقتصادي وتوزيع الثروة القومية توزيعاً عادلاً.

8 ـ تشجيع الإنتاج والحدّ من الاستهلاك.

9 ـ حماية التعليم الخاص ومنح الرخص بعدالة، وعدم إخضاعه لأيّ اعتبارات غير أكاديمية.

10 ـ تحقيق الانسجام بين الدين والدولة.

11 ـ اعتماد اللامركزية الإدارية الموسعة على مستوى الوحدات الصغرى.

12 ـ تنفيذ الانماء المتوازن.

13 ـ إجراء انتخابات بلدية.

14 ـ معالجة الأزمة المعيشية.

15 ـ دعم المقاومة في الجنوب على كافة الصُّعد وكذلك دعم الجنوبيين.

16 ـ الاستفادة من النظام الاقتصادي السوري وتطوير معاهدة الأخوة والتنسيق.

17 ـ العمل على تنفيذ القرار الدولي 425 كي تنسحب إسرائيل من الجنوب.

18 ـ التزام المسار السوري في عملية التفاوض مع العدو الصهيوني والحؤول دون نجاح مشروع النظام الشرق أوسطي وكل محاولات التطبيع مع الكيان الإسرائيلي.

19 ـ الخروج من المغالطة القائلة (بأن قوة لبنان من ضعفه) فلبنان قوي بمحيطه العربي والإسلامي وضعيف بانقطاعه عن هذا المحيط[1].

أما الهمّ الذي لم يكن يُفارق النائب فتحي يكن، فهو إلغاء الطائفية السياسية؛ لأنها «المدخل الوحيد للانتقال بلبنان من دولة المزرعة والفئوية والطائفية إلى الدولة العصرية، دولة العدالة الاجتماعية والمساواة والإنماء والإعمار المتوازنين»[2].

---

(1) فتحي يكن، **أضواء على التجربة النيابية الإسلامية في لبنان**، الكتاب الثاني، مصدر سابق، بتصرف: 71 ـ 74.

(2) المصدر نفسه، ص 76.

المبحث الخامس

وجهة نظر فتحي يكن في سلوك المؤسسات في لبنان أثناء الاستحقاقات

1 ـ في (28/ 3/ 1995م) أدلى رئيس كتلة نواب الجماعة الإسلامية النائب فتحي يكن بتصريح شخَّص فيه سوء الأداء على صعيد المؤسسات في لبنان عند اقتراب أي استحقاق، حيث تتعطل الحياة، ومن يدري كم تطول الأزمة؛ فقد جرت العادة في لبنان أنه حيال أي استحقاق من الاستحقاقات الداخلية تتوقف عجلة العمل الحكومي والوزاري والإداري، وتتحول مؤسسات الدولة ومشاريعها من حال الفعالية والتنفيذ الى تصريف الأعمال لا أكثر ولا أقل. . .

إنَّ خطورة هذه الظاهرة لا يتحملها بلد كلبنان دمرت الحرب الأهلية بنيته التحتية والفوقية. وأكثر من ذلك، فإنَّ الاستحقاقات لا تتوقف «حتى إنه لا يكاد يخرج من واحد منها حتى يواجه ما هو أدهى منه». وهذا يعني أن عجلة العمل والبناء والإعمار لا تكاد تتحرك حتى تتوقف. . . ثم تساءل: «. . . فهل يعني هذا أنَّ إعادة بناء البلد يرتبط بخلو الأجواء من الاستحقاقات؟ إنَّ هذا غير مُمكن ومستحيل؛ لأنَّ

مشكلات الحياة واستحقاقاتها كثيرة ومتوالدة حتى في الدول المستقرة فكيف في لبنان؟؟»[1].

لقد مضى على ما قاله النائب يكن عقداً ونصف وما زالت الاستحقاقات تتوالد، وما زالت عجلة الحياة شِبهَ متوقفة، ولا شيء يتغير، والحياة في تراجع، وإذا كانت مضارها في الظاهر تنعكس على الاقتصاد والعمران، فإنَّ أثرها أعمق في تدمير البنى الاجتماعية، ناهيك عن الأزمات النفسية التي ترافق اضطرابات كهذه.

وعلاوة على كل ما سبق فإنَّ النائب فتحي يكن، يربط بين الفوضى وفُقدان السيادة، وبالتالي فإنَّ البلد يصبح بحاجة إلى وصاية خارجية «إنَّ الظواهر المرضية التي أصابت لبنان والتي كشفت سوء نظامه الطائفي، وقصور أدائه السياسي... فرض حاجته إلى الوصاية، وإلى التسديد والترشيد» وعن كيفية الحصول على السيادة يقول: «إنَّ السيادة تُؤخذ ولا تُعطى، تؤخذ بالجدارة والأهلية، تؤخذ بالوعي وبُعد النظر، والجرأة والموضوعية، وتغليب المصلحة الوطنية على المصالح الطائفية والمذهبية والزعامية والشخصية»، وأنه عند حصول ذلك يُصبح رجال السياسة «جديرين بامتلاك ناصية القرار، وبأن يكونوا أسياد أنفسهم، وصانعي قراراتهم»[2].

إنَّ جُلّ ما سجله النائب فتحي يكن من مواقف كان يهدف إلى بناء الدولة، دولة المؤسسات، بعيداً عن أمزجة الأشخاص ومصالحهم، ففي تصريح له بتاريخ (20/ 4/ 1995م)، تساءل «إلى متى سيبقى لبنان (أسير)

---

(1) فتحي يكن، **أضواء على التجربة النيابية الإسلامية في لبنان**، الكتاب الثاني، ص 77 ـ 78.

(2) فتحي يكن، المصدر نفسه، ص 81 ـ 82.

الأهواء والمصالح، وضحية (الخطاب اللاسياسي) الذي يتحول أحياناً إلى (قنابل موقوتة) ويُشكل مناخاً كالمناخ الذي ساهم في تفجير الحرب الأهلية في السبعينيات؟ إلى متى يجب أن يسمح للشخص ـ كائناً من كان وما كان ـ أن يعبث بالمصلحة العامة، وأن تُفصّل على قياسه وحجمه الخاص كل القوانين والتشاريع والسياسات، وتخضع له كل الاعتبارات؟ إلى متى سيبقى (الاستثناء) أصلاً، و(الشذوذ) قاعدة، ويبقى هذا البلد أسير هذا الزعيم أو ذاك؟؟».

وهو بذلك يُشير إلى قانون الانتخاب، هذه المشكلة التي تُطل برأسها عند كل استحقاق انتخابي من يوم تمّ إعلان الجمهورية اللبنانية حتى اليوم، وكحل لهذه المسألة يقترح النائب فتحي يكن الدائرة الانتخابية الكبرى، عندها يعرف كل مرشح وزعيم حجمه الحقيقي[1]، وفي (3/ 10/ 1995م) طرح النِّسبية بدلاً من الدائرة الكبرى، التي لم يُبين ما إذا كان يعني بها لبنان دائرة واحدة، أم محافظات، إلا في هذا التصريح فقد رأى أن التوازن يجب أن يلحظ (النسبية) سواء على صعيد الدائرة الواحدة أم على صعيد المحافظة «حيث أنَّ التمثيل النسبي يُتيح للقوى المختلفة فرصة المشاركة في الحياة النيابية بحجم فاعليتها وحضورها الشعبي»[2].

2 ـ النائب فتحي يكن والطائفية السياسية:

من المعلوم أنَّ النائب فتحي يكن كعضو في المجلس النيابي اللبناني لدورة (1992 ـ 1996م) أو كمفكر إسلامي، وفي كل مواقفه،

---

(1) فتحي يكن، المصدر نفسه، ص 87 ـ 88.

(2) فتحي يكن، المصدر نفسه، ص 88 ـ 89.

تجده مثالياً في تفكيره، لا بل نُخبوياً، مع اطلاعه الكامل على الواقع، إلا أنه كان دائماً ينظر باتجاه تحقيق مجتمع صالح، وهذه هي مهمته وهكذا يجب أن يكون، إلا أنَّ فقه الواقع يقتضي من أي مُصلح أو مسؤول أن يصف الدواء المتناسب مع نوع المرض، إنَّ لبنان شأنه شأن كل دول العالم الثالث - وأكثر كونه مركز عمل مناسب لبث الفتن من خلاله إلى المُحيط - ليس في وارد أن يُصبح دولة قانونية ومبدئية، إنَّ الأنظمة المُطبّقة في بلدان ذات هيبة وسلطة قد تتهاوى، وبالتأكيد سيحصل ذلك، إذا ما أصبحت تلك الدول تحت سيطرة قوة أخرى تسيطر عليها، ونظام الطائفية السياسية الذي فُرض إبان تكوين الدستور عام 1926م، وإن كان عُرفياً، فقد قصد منه حماية الأقلية المسيحية وسط الكثرة المسلمة (لم يكن يومها سنة وشيعة)، وكان الناس حديثي العهد أو ما زالوا يتذكرون الحُكم العثماني، فإذا كان ذلك يومها، فاليوم تبدلت الأحوال وتغيرت موازين القوى، وأصبح القوي بالأمس بحاجة إلى حماية في الوقت الحاضر... وفي كل الأحوال سيبقى لبنان ساحة صراع وتناحر، وهذا جوٌّ في أضعف أحواله يُفسد العسل كما يفسده الخل. إنَّ الأجدى في لبنان هو طرح مسألة تحسين النظام الطائفي (حسب الطوائف الدينية) وهذا أقرب منالاً من إلغائه.

وبالعودة إلى النائب فتحي يكن والطائفية السياسية، ففي مقابلة له مع جريدة الديار اللبنانية بتاريخ (1/ 3/ 1995م) رأى أنَّ «الأسباب التي تُؤدي دائماً إلى قيام أزمات وحروب أهلية على الساحة اللبنانية، إنما تكمن في وجود امتيازات لطائفة معينة على حساب الطوائف اللبنانية الأخرى». وفي هذا السياق يقول: «وقد وجدنا أنَّ السبب المُباشر لعدم وجود الإنماء المتوازن والعدالة الاجتماعية على مستوى المواطنية

والمناطقية يعود بالفعل إلى تكريس هيمنة طائفة على طوائف أخرى، من هنا كان حرصنا على إلغاء الطائفية السياسية؛ لأننا نعتبرها المدخل إلى تحقيق السلم الأهلي في هذا البلد».

وعن تصوره للبنان، وما يُناسب واقعه التعددي، فالإسلام الذي ينطلق منه النائب فتحي يكن، أو الجماعة الإسلامية، يرفض إكراه الآخرين على أمر لا يريدونه؛ لذلك فإنه في ضوء هذه الاعتبارات يتطلع «إلى لبنان في المدى المنظور يقوم فيه نظام يُحقق العدالة الاجتماعية والإنماء والإعمار المتوازنين، فلا يكون هناك أبناء ستّ وأبناء جارية، ولا دولة للعائلات والعشائر والطائفيات، وإنما دولة للإنسان اللبناني كائناً ما كانت طائفته أو دينه».

ويمضي في رسم الصورة التي يريدها للبنان قائلاً: «نحن نتطلع إلى قيام حُكم يقوم على الجدارات والمؤهلات العلمية والخبراتية وليس على التصنيف الطائفي نهائياً. وطمعنا كذلك أن يكون إلغاء الطائفية السياسية من قمة الهرم، أي من الترويكا نفسها، أي ابتداء برئاسة الجمهورية مروراً برئاسة الحكومة وصولاً إلى المجلس النيابي».

ورداً على سؤال آخر مفاده هل أنَّ من يُطالب بنظام إسلامي يعني أنه يُؤسس لامتيازات أخرى، لطائفة أخرى؟ قال فتحي يكن: «تصورنا أنَّ إلغاء الطائفية السياسية سيلغي الامتيازات لأية طائفة من الطوائف وستكون الجدارة في الوظائف العامة والخاصة هي صاحبة الامتياز الأول والأخير». وعن تحول الامتيازات من فريق لآخر قال: «حرصُنا على إلغاء الطائفية السياسية ليس من موقع أن ننتزع الامتيازات من المارونية - السياسية لنجعلها في يد الإسلامية - السياسية، وإنّما فقط من موقع رفع

الغُبن عن الجميع وتحقيق العدالة للجميع على مستوى المواطنية والمناطقية».

والإلغاء الذي يريده إنما هو على المستوى السياسي وليس على طريق العلمنة التي يرفضها رفضاً مطلقاً[1].

وفي مكان آخر يرى النائب يكن أنَّ لبنان لم يدخل الفتنة من باب الدين، وإنما دخلها من باب الطائفية والمذهبية والفئوية[2].

رأيه في الاغتيالات السياسية والخطف:

في (23/ 6/ 1995م) سُئل النائب فتحي يكن عن موقفه من محاولة اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك فقال: «كنا قد رفضنا مبدأ الاغتيالات السياسية مراراً وتكراراً، ونحن اليوم نُدين بشدة محاولة الاغتيال هذه بالرغم من معارضتنا للسياسة المصرية منذ أن وقّع أنور السادات معاهدة الصلح مع الكيان الصهيوني».

وفي (18/ 6/ 1995م) أدلى بالتصريح التالي:

«في كل يوم تطلع علينا الأخبار عن حوادث تعرض للاغتيالات والقتل لأجانب، كان آخرها خطف الطائرة الفرنسية ثمَّ اختطاف أربع رُهبان فرنسيين وبلجيكيين في الجزائر.

لقد ردّ تواتر هذه الأحداث إلى أحد أمرين:

الأول: «إما وجود مُخطط مخابراتي مدروس للإساءة إلى الإسلام والمسلمين ووصفهم بالإرهابيين القتلة».

---

(1) فتحي يكن، المصدر نفسه، ص 93 ـ 97 بتصرف.
(2) فتحي يكن، المصدر نفسه، ص 105، تصريح بتاريخ 15/ 1/ 1995.

الثاني: «أو أنَّ ما يجري حقيقة، وهذا أقل ما يقال فيه أنه جهل بالإسلام وإساءة إليه لا تعدلها إساءة». ثم أكد أنَّ كتلة نواب الجماعة الإسلامية تستنكر هذه الحوادث وكل الحوادث المماثلة لها؛ لأنها لا تمت إلى الإسلام بصلة، وتوجه بالدعوة إلى القائمين عليها طالباً منهم «الكف عن هذه العبثية» وأنهم مُسيئون قطعاً إلى الإسلام وإن كان يحسبون أنهم يحسنون صنعاً[1].

لقد كان فتحي يكن يرفض العنف، أو الإساءة لأحد تحت ستار الدين، ففي (23/ 10/ 1995م)، عقب تفجير أحد المساجد في المملكة العربية السعودية قال: «من موقعنا الإسلامي والنيابي، نُدين بشدة كل أعمال العنف والإرهاب ـ ومن أيّ جهة كانت ـ سواء طالت هذه الأعمال: المساجد أو الكنائس أو المواطنين أو المؤسسات؛ لأنَّ هذه الأعمال ليس لها من تفسير في مجتمعنا إلا أنها تخريبية، تأباها طبائع الأديان كلها وبخاصة طبيعة الإسلام»[2].

إنَّ ما صرّح به النائب فتحي يكن ليس بحاجة إلى تأكيد، فإنّ تاريخ الجماعة الإسلامية عامة، وتاريخه هو بالذات خير شاهد، لذا فإنه لا حاجة للبحث عن مزيد من القول لنفي صفات مبتكرة يُقذف فيها كل مُسلم مُصلح يُريد الخير لبلاده وللناس وجميعاً، كما أنه لا مجال للشك بأن كل الحوادث التي يطلق عليها "الإرهاب" إنما هي من صنع من يُريد كيداً بالمسلمين وفي أسوأ الأحوال بفعل بعض الجهلة الذين تستثيرهم وسائل الإعلام والصور التي تُبث على شاشات الفضائيات. . .

---

(1) فتحي يكن، المصدر نفسه، بتصرف، ص 136 ـ 138.
(2) المصدر نفسه، ص 143.

المبحث السادس

النائب فتحي يكن والقضية الفلسطينية

إنَّ فتحي يكن، قبل أن يُصبح نائباً في البرلمان اللبناني، وعندما دخل المجلس، وحتى وفاته رحمه الله، كان ينظر إلى القضايا الكبرى على صعيد الأمة والعالم باهتمام كبير، لأنه شُمولي في تصوره واهتماماته، مثلاً في تصديره لكتابه «القضية الفلسطينية من منظور إسلامي»[*] يُخاطب جيل الحجارة الذي أعاد الكرامة وبعث الأمل في الأمة قائلاً:

إلى شباب الانتفاضة المباركة...

إلى كل رجل وامرأة وشيخ وطفل...

إلى كل من رمى حجراً في وجه يهودي...

إلى الأقصى السجين، والقدس المغتصبة والأرض المحتلة...

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا الكتاب عربون اعتزاز وحب ووفاء.

(*) فتحي يكن، **القضية الفلسطينية من منظور إسلامي**، ط أولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1412هـ ـ 1992م.

إنَّ هذا الإهداء بحدٍّ ذاته يرسم ملامح تفكير فتحي يكن تجاه قضية فلسطين.

إنَّ كل مسلم وكل مُحب للحرية واحترام حقوق الشعب، أياً كان دينه، هو حتماً مع قضية الشعب الفلسطيني ومع كل شعب اغتصبت أرضه، فكيف بإصلاحي إسلامي، ورائد من رواد العمل الإسلامي!!

لقد اختار فتحي يكن تعريفاً للقضية الفلسطينية اقتبسه من كتاب «تطور القضية الفلسطينية 1964 ـ 1967م» لزياد الصغير جاء فيه: «لقد كان مطلوباً أن يظل الشعب الفلسطيني محجوزاً في المخيمات حتى يتم ترويضه والإعداد لتصفية قضيته، وقد اتخذت محاولات التصفية شكلين أساسيين:

ـ **الشكل الأول**: مشروعات التوطين التي كانت تهدف إلى قيام الشعب الفلسطيني بتعمير بضعة مناطق قاحلة مُجدبة، مثل: صحراء سيناء، ووادي الأردن، حتى يتم قتل الكفاءات والخبرات التي اكتسبها، وعزله عن مشاركة القوى الفاعلة في المجتمع العربي في النضال من أجل التحرر والتقدم. . .».

ـ **الشكل الثاني**: هو تطوير جهاز تعليم وتدريب الأجيال الجديدة من الشعب الفلسطيني، بحيث يؤدي هذا التعليم إلى تخريج كوادر لا يجدون مجالاً للعمل في منطقة تجمع شعبهم، ويضطرون بالتالي للهجرة إلى المناطق النائية[1].

وإذا كان الكاتب زياد الصغير قد وُفِّق في جانب من التحليل الذي

---

(1) المصدر نفسه، ص 10، نقلاً عن ص 53 من كتاب زياد الصغير المذكور سابقاً.

تم اقتباسه، فكيف غاب عن إصلاحي مثل فتحي يكن أن العدو يستثمر أيضاً العمليات العسكرية مثل غض الطرف بطريقة أو بأخرى لقيام مجموعات مسلحة أو حركات نضالية مثل الانتفاضة وغيرها، ثم يعمل على حشرها في واقع معين فيجهضها، ومن عمل لآخر، يتم إيصال الشعب الفلسطيني وبقية المسلمين إلى اليأس من إمكانية تحرير فلسطين؟

كما اقتبس فتحي يكن عن مجلة (كيفونين) التي تصدرها المنظمة الصهيونية العالمية، في عددها الرابع والعشرين عام 1982م دراسة طويلة، اقتطف منها:

1 ـ «إن إنشاء دولة قبطية في مصر العليا، هو محرك التطور التاريخي الحتمي على المدى الطويل، وإن كانت تعوقه حالياً اتفاقات السلام».

و«إنَّ تقسيم لبنان إلى مقاطعات خمس، يُجسد سلفاً ما سيحدث في سائر العالم العربي، وتقطيع سوريا والعراق إلى مناطق على أسس دينية وعرقية يجب أن يكون على المدى الطويل هدفاً أولوياً لإسرائيل. حيث تكون أولى خُطوات تنفيذه العملية تدمير القدرات العسكرية لهذه الدول».

و«العراق الغني بالنفط وضحية صراعاته الداخلية يقع بدوره في نطاق المرمى الإسرائيلي».

«إنَّ البنية العِرقية لسوريا تُعرّضها للتفكك ما يؤدي إلى خلق ثلاث دول: واحدة شيعية على طول الخط الساحلي، وأُخريين سُنيتين في حلب ودمشق، إضافة إلى كيان دُرزي يُحتمل أن يقيم دولته على أراضي جولاننا...».

«بدورها الجزيرة العربية، مُكرسة بكليتها للتفتت، بسبب الضغوطات الداخلية. وهذه الحال تطال المملكة العربية السعودية وسائر دول التعاون الخليجي، لذا فإنَّ تصاعد الأزمات الداخلية وسقوط الأنظمة يندرجان في منطقة بنيتنا السياسية الحالية...».

وبعد هذا الاقتباس المُطول يتساءل فتحي يكن: «فهل سمع العرب والمسلمون ـ شعوباً وأنظمة وتنظيمات ـ هذا الكلام، ووعوه وفكروا فيه جيداً...؟؟»..

والسؤال الذي يطرحه أي مفكر اليوم بعد مرور عقدين على ظهور كتاب «القضية الفلسطينية من منظور إسلامي» هل يتّعظ الإصلاحيون المنشقون على أنفسهم أولاً ثم المجموعات المسلحة، رافعة رايات الجهاد ثانياً، والشعوب المسلمة ثالثاً مما حصل ويحصل بما كسبت أيديهم؟

إنَّ النظرة إلى مواطن الصراع في العالم الإسلامي، عربياً كان أم غير ذلك، تقول بأنَّ الناس يقتلون أنفسهم بأيديهم، ويقسمون أوطانهم بتناحرهم الداخلي وشعار كل مشارك: الله أكبر، حيّ على الجهاد والتحرير...؟؟

هذا هو الواقع المُر، وقلّما تجدُ من يتَّعظ ويعْفوا ويكُف...

موقف فتحي يكن من الصلح مع إسرائيل:

لا يرى الداعية فتحي يكن بديلاً عن التحرير الكامل لكل فلسطين، من البحر حتى النهر، والمدخل إلى ذلك أولاً التخلص من هيمنة الحركة الصهيونية، يقول في ذلك:

«يا حُكام العرب... يا أنظمة العرب... يا شُعوب العرب... أيها المسلمون في أنحاء المعمورة... إنَّ عليكم أن تدركوا أنّ القضية الفلسطينية حيال مشروعين وطريقين ومصيرين إثنين:

ـ فإما أن يُعتمد المشروع الإسلامي الجهادي الذي لا يرضى بغير تحرير كل شبر في فلسطين من رجس الاحتلال الصهيوني.

ـ وإما أن يمرّ المشروع الخياني الاستسلامي الذي يهدف إلى صهينة القضية الفلسطينية وبالتالي إلى صهينة العالم الإسلامي كله.

إنَّ هذا المشروع يهدف إلى تكريس قوامة بني صهيون على الأمة الإسلامية فكراً وثقافة وسياسة وإعلاماً واقتصاداً وإجتماعاً وعلى كل صعيد».

وانطلاقاً من ذلك، فإنَّ فتحي يكن يرى أنّ «القبول بقيام دولة فلسطينية على جزء من الأرض المحتلة خيانة عظمى، وقبولاً غير مباشر بالتنازل عن الجزء الآخر من فلسطين، وهو تنازل عن أرض إسلامية مُغتصبة، يعتبر الجهاد من أجل تحريرها واسترجاعها فرض على المسلمين أجمعين...».

ويرى في إعلان الدولة الفلسطينية على هذا النحو[1]، يعني: إغلاق باب الجهاد وإسقاط البندقية، وإجهاض المقاومة الفلسطينية.

كما يُشير إلى أنّ إعلان الدولة هو التفاف على الانتفاضة وإسقاط تباشير الأمل المنبعثة في الأمة، كما يعني طعن جيل الحجارة. وخلاصة القول: إنَّ إعلان الدولة الفلسطينية لا يعني أكثر من إضافة كيان جديد

(1) وفق اتفاقيات أوسلو: أي قيامها على جزء من الأرض التي احتلت عام 1967م.

للكيانات العربية العلمانية، وقد يكون ذلك تآمراً على الإسلام والمسلمين[1].

وعن الحُجة التي يتذرّع بها البعض (خُذْ وطالب) ومقولة (ما لا يُؤخذ كله لا يُترك جُله) يقول فتحي يكن:

«إنَّ هذه الذرائع والمقولات مرفوضة جُملة وتفصيلاً لأنّ الأمر يتعلق بحقوق مغتصبة، وحرمات مستباحة والحقوق والحرمات كل لا يتجزأ»[2].

«إنَّ قضية فلسطين هي قضية بلد إسلامي اغتصبه اليهود عبر مُؤامرات دُبرت بليل، وتواطأت فيها على المسلمين قوى الأرض قاطبة. هذا البلد المغتصب ليس بلداً عادياً وإنما هو الأرض التي بارك الله حولها...».

ـ إنَّها مهبط الأديان ومبعث الرسل...

ـ بيت المقدس أرض المحشر والمنشر...

ـ المسجد الأقصى أولى القبلتين ومسرى الرسول (ص) وثالثُ الحرمين.

إنَّ فلسطين «... ليست قضية أرض مُغتصبة وإنما هي قضية مقدسات مُدنسة وكرامات مداسة، لا يجوز معها التساهل والمساومة أو القبول بأرباع الحلول وأنصافها».

---

(1) فتحي يكن، **القضية الفلسطينية من منظور إسلامي**، ص 17 ـ 18.
(2) المصدر نفسه، ص 19.

ثم أعقب هذه المسلمات بمجموعة من الفتاوى الشرعية صدرت عبر عقود متلاحقة، ففي عام 1956م صدر عن لجنة الفتوى في الأزهر الشريف فتوى لا تُجيز الصلح مع المغتصب والإقرار بحق له في ما اغتصبه، وفي فتوى للسيد رشيد رضا عام 1935م يقول فيها: «. . . **إنَّ تمليك الحربي لدار الإسلام باطل وخيانة لله ولرسوله ولأمانة الإسلام. . .**»[1].

وقفة تأمل:

1 ـ إنَّ قادة الحركات الإصلاحية المُسلمة منذ أواسط القرن التاسع عشر للميلاد وحتى الوقت الحاضر، أي العقد الأول من القرن الواحد والعشرون، أي على مدى ما يزيد على 180 سنة، ينظرون بسطحية إلى الأمور، فهم يقرأون اللوحة المعروضة، وبالتأكيد ليسوا هم من رسمها أو لوّنها، بل هم يُلاحقون الأحداث، ومن شدّة شغفهم لرؤية بلادهم حُرة وأمتهم عزيزة، فإنّهم ينحازون لكل من يحمل هذه الراية أو يُمارس دوراً متشدداً في وجه حاكم أو مُحتل، إنه لا يخطر في بالهم أن الأمور قد تكون مُحضَّرة بفعل فاعل، وأن شُرفاء من أبناء الأمة قد يندفعون من خلال ثغرة لم يقوموا هم بثقبها، أو اغتنام فرصة لم يتخيلوا أنها فُتحت أمامهم لحين وستغلق في الوقت المناسب.

إنَّ النظرة السطحية والظاهرية في اتخاذ المواقف سلباً أو إيجاباً تسبّبت بتداعيات أقل ما يُقال عنها أنها ضيّعت قروناً من نضال الأمة، لا بل فإنّها تدفع بالناس إلى اليأس والإحباط، وفي كل مرة يقتنص المتربص بهم شراً الثمار ويُجيرها إلى صالحه.

---

(1) فتحي يكن، **القضية الفلسطينية من منظور إسلامي**، ص 43 ـ 46 بتصرف.

لو عدنا إلى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وأمعنا النظر في حركة قادة الإصلاح والجهاد والنضال والتحرير لوجدنا التالي:

ـ لم ينجح الإصلاحيون أمثال الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وشكيب إرسلان وغيرهم في فهم الحال الذي آلت إليه الدولة الإسلامية يومها، بغضِّ النظر عما إذا كانت عُثمانية أو غير ذلك، فقد خلفها الإنكليز والفرنسيون ثم امتد الأمر إلى من وراءهم، لذلك فبدلاً من تشخيص المرض ووضع الحلول التي تُعيد ترميم الجسم المهترئ في الدولة فإنهم ركزوا على السلطان بذاته دون الانتباه إلى عوامل الضعف والإنهيار، وبينهم من كان غير مُدرك للأمور نجده قد سار وراء حركة الإتحاد والترقي ليكتشف من بقي منهم حياً أنها من عمل اليهود والصهاينة وكل من يُبَيِّتْ عداء لهذه الأمة... ويُقفل منتدى الأحرار الذي وضعته بريطانيا بتصرف حملة مشاعل الإصلاح بعدما احتلت مصر، وصدقوا يومها أنهم في بلد حر وأخذوا يتجمعون من كل قطر كي يناضلوا ضد السلطان العثماني، وكان مصير من تبقى منهم السجن كما حصل للسيد رشيد رضا الذي اعتقله الفرنسيون بسبب حيازته أوراقاً في تفسير المنار، وأمضى شكيب إرسلان بقية عمره في المنفى، وحصل ما حصل لجزيرة العرب التي قاد فيها الشريف حسين، من مكة المكرمة، ثورة ضد العثمانيين، لقاء وعد بخلافة عربية من قبل بريطانيا... وتبدّد الحُلم...؟!

وتمضي رحلة النضال، وتخسر الأمة أفضل وأنبل شبابها، وتضيِّع كل ثرواتها وراء سراب خُلَّبي، بدءً من المقاومة ضد الهجرة اليهودية، منذ ما بعد الحرب العالمية الأولى مروراً بكل محطاتها إلى حركات الجهاد ضد الإتحاد السوفياتي، ومصير أفغانستان لا يحتاج لتوضيح،

وضاعت معها باكستان التي تتمزق أشلاء وجارتها الهند تعيش في رخاء وتقدم مُضطرد، إلى العراق. . . ولبنان، . . . وكل بقعة فيها مسلمون يحاولون النهوض. . . ؟!

وطالما نحن بصدد الحديث عن دور فتحي يكن المؤيد بلا تردد لكل حركة مُضادة للمحتل، فمن تأييده لثورة 1958م التي كانت من إفرازات حركة القومية العربية، إلى تأييده للمقاومة الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات، إلى تأييده حركات الجهاد في أفغانستان، ثم كل مقاومة نشطت في جنوب لبنان إلى حركة حماس في فلسطين، لدرجة كان يعتبر نفسه دائماً مع المعارضة، فإنه يكفي لأن نقرأ أحد بيانات جبهة العمل الإسلامي التي يترأسها والبيان ممهور بتوقيعه بتاريخ (10/ 1/ 2007م) وجاء فيه:

وجَّهَ رئيس جبهة العمل الإسلامي في لبنان الداعية الدكتور فتحي يكن نداءً حاراً ورسالة مفتوحة إلى كل من رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس ورئيس الحكومة الفلسطينية الحاج إسماعيل هنية دعاهم فيها إلى تقوى الله سُبحانه وتعالى وخشيته، والعمل بمرضاته وإصلاح ذات البين والعمل فوراً على وقف النزيف والإقتتال الداخلي وعدم السماح لأعداء الأمة اليهود والصهاينة المحتلين من إظهار الشماتة بنا ومن تمكينهم من التباهي في قتل شعبنا في الداخل الفلسطيني والتماهي في اعتداءاتهم الغاشمة الإجرامية دون حسيب أو رقيب، وشدّد الداعية يكن في ندائه ورسالته المفتوحة على حُرمة الدم الفلسطيني العربي المسلم، وحرمة الاقتتال بين أبناء القضية الواحدة، والصف الواحد، وعدم تضييع هذه القضية المُحقة، أو تمييعها في قتال الزواريب والأحياء الداخلية، واعتبار ذلك خطأً أحمر لا يجوز تجاوزه، أو الحيْد عنه

والتوجه نحو قتال العدو الصهيوني المشترك المحتل للأرض والمُنتهك للأعراض والكرامات، ورأى الداعية يكن أنه لا يجوز إطلاقاً التخلّي عن شبر واحد ولا عن حبّة تراب واحدة من فلسطين، أرض الإسراء والمعراج ومسرى رسول الله (ص)، وأنه لا يجوز أبداً تقديم التنازلات تلو التنازلات مع عدو ينكث العهود والمواثيق ولا يفهم إلا بلغة واحدة ألا وهي لغة الحديد والنار، وأنه لا يجوز أيضاً الاعتراف بشرعية هذا العدو على أرضنا المُغتصبة أو الاعتراف بحكومته الإرهابية، التي تصول وتجول، وتفتك بالشعب العربي الفلسطيني المُسلم، على مرأى ومسمع العالم أجمع، وختم الداعية يكن نداءه ورسالته بالتوجه إلى حركتي حماس وفتح والسلطة والحكومة الفلسطينية بأن يجلسوا بقلوب صافية ونوايا صادقة على طاولة الحوار والتشاور والنقاش وحسم الأمور العالقة والوصول إلى صيغ مقبولة من التفاهم والتوافق الضروريين، وأن يحدِّدوا أولويات الصراع الديني والحضاري، فالمعركة مع العدو الصهيوني المدعوم من الولايات المتحدة الأميركية، مازالت في بداياتها وهي بحاجة لرفد كل طاقات وقُدرات المُجاهدين والمناضلين ودماء الشهداء الذين بذلوا سابقاً ويبذلون اليوم الغالي والنفيس من أجل إعادة الحق إلى أهله، ومن أجل تحرير القدس الشريف والمسجد الأقصى المبارك، من براثن الاحتلال الصهيوني الحاقد وتطهير فلسطين كل فلسطين من نجسه ورجسه.

المبحث السابع

فتحي يكن بين المبدئية والواقع

إنَّ تبنِّي المبادئ العامة والمُسلّمات أمر سهل وبسيط، لكن التعامل مع الواقع تكمن فيه الكثير من المصاعب والمتاعب، أن يرفع المرء الشعارات الكبيرة، فهذه مسألة قلّما يختلف عليها اثنان، إلا أنه عند التعاطي مع جزئيات الأمور وتفاصيل القضايا هناك يكمن الشيطان كما يقال..؟!

وفتحي يكن شأنه شأن غيره من البشر، حتى إنَّ الفقهاء يضطرون لتغيير فتواهم تبعاً للظروف المحيطة.

انطلاقاً من ذلك نُريد أن نُضيء على جانب آخر من مواقف فتحي يكن، فعلى سبيل المثال وتحت عنوان: التخلي العربي عن نصف الأراضي الفلسطينية يقول: «بعد الكارثة التي انتهت باحتلال إسرائيل لأراضٍ فلسطينية وعربية جديدة أخذت القضية الفلسطينية تشهد مرحلة تآمرية تتمثل بالتفريط العربي بكل الأراضي الفلسطينية التي احتلتها إسرائيل ما بين عام 1948م وعام 1967م. وغدت القضية الفلسطينية قضية الضفة والقطاع وسيناء والجولان، ولم تعد

قضية حيفا ويافا وعكا وسائر المدن والقرى والأراضي الفلسطينية الأخرى المحتلة»[1].

وفي مكان آخر، عند حديثه عن اجتياح العراق للكويت وما أعقبه من حرب في الخليج التي انتهت بهزيمة العراق وانسحابه من الكويت (1991م) وتمزيق أوصاله تمهيداً للاحتلال النهائي عام 2003م يقول: «لا بدَّ من الاعتراف أولاً بأن أميركا وسائر الدول الأوروبية وحتى الاتحاد السوفياتي هي حليف حقيقي لإسرائيل وليس للعرب. . .»[2].

بينما هو في مكان آخر يرد أسباب انعقاد مؤتمر مدريد في (30/ 10/ 1991م) إلى:

1 ـ سيطرة الولايات المتحدة على العالم بعد تدمير القوات العراقية في حرب الخليج.

2 ـ ضعف الاتحاد السوفياتي وعجزه عن مواجهة النفوذ الأميركي في المنطقة، وتسليمه بنظام القُطبية الأحادية الذي رسخته حرب الخليج.

3 ـ تشرذم الدول العربية وضعفها وفُقدانها لقوة عسكرية ضخمة كانت تُزعج الكيان الصهيوني[3].

وفي أعقاب مؤتمر مدريد (30/ 10/ 1991م) رأى في النتائج:

---

(1) فتحي يكن، **القضية الفلسطينية من منظور إسلامي**، ص 127.

(2) المصدر نفسه، ص 131.

(3) المصدر نفسه، ص 220 ـ 221 (علماً أن أغلب الدول العربية حاربت إلى جانب قوات الحلفاء مع الولايات المتحدة الأميركية، كما أنّ احتلال العراق للكويت كان السبب المباشر لكل الخسائر والأضرار التي حصلت).

1 ـ التطبيع مع العدو الصهيوني وجعل احتلاله لفلسطين وما حولها مقبولاً.

2 ـ تحجيم القوى المعارضة للتسوية وإعاقتها عن أداء دورها في التصدي لإسرائيل.

3 ـ تحضير الأجواء لاستقبال مهاجرين سوفياتيين وبدعم دولي إلى الأرض المحتلة.

4 ـ محاولة إيقاف الانتفاضة.

5 ـ تخفيض أعداد الجيوش العربية وترسانات الأسلحة.

6 ـ إعطاء الفرصة لتغلغل الصهاينة في الدول العربية.

7 ـ تغيير المناهج التربوية ومن ضمنها حذف آيات من القرآن الكريم.

هذا من جهة، والتشخيص هنا جذري وصحيح ونحن نعيش في العام 2011م ندرك ما حصل بعد 1991م (مؤتمر مدريد)، إلا أنه من جهة أخرى قد راهن على المعارضة، هكذا دائماً كان يُؤيد المعارضة؛ لأنها مُعارضة، من هي هذه المعارضة، وما حقيقة موقف فتحي يكن منها عند النظر في بنيتها الفكرية والسياسية؟

يقول فتحي يكن: «ومع انعقاد مُؤتمر مدريد للسلام في الشرق الأوسط، بدأت الأطراف المعارضة، دولاً ومنظمات وأشخاصاً، بتجميع صفوفها، والبحث عن نسق سياسي متقارب، على الرغم من وجود تباين أيديولوجي واسع في ما بينها.

تضم قائمة المعارضين اتجاهات تمثل أقصى اليمين واليسار، بدءً من التيارات الإسلامية، مروراً بالتيارات الوطنية اليمينية، وانتهاء بالتيارات اليسارية الراديكالية، التي تضم الاتجاه القومي بشكل رئيسي.

ويرى بعض المراقبين أنَّ المؤتمر الذي شهدته طهران مؤخراً، مثَّل الفرصة الأبرز التي جمعت أطراف المعارضة، وأسمعت صوتها عربياً ودولياً. وأنه «على الصعيد العربي أبدى كل من السودان وليبيا والعراق معارضتهم للمؤتمر».

ثم أشار إلى أنَّ الدول الثلاث التي أشار إليها ليس لديها أي تأثير مباشر على الخط العام للسياسة العربية، علماً أن العراق (بقيادة صدام حسين) هو من جلب الدُّب إلى الكرم، ودمَّر بنية الجيش العراقي، وأتلف مُقدرات دول الخليج، وأفسح المجال للقواعد والجيوش الأجنبية، فأي معنى لمعارضته؟

كذلك أشار إلى قيام مظاهرات في السودان ومصر ومعارضة سِلمية في الأردن يقودها الإخوان المسلمون الذين ينشطون على خطين:

الأول: جبهة إسلامية تضم حزب التحرير والسَّلفيين والدعوة والتبليغ إلى جانب قوى إسلامية مستقلة تحت اسم: جبهة العمل الإسلامي.

والخط الثاني: تشكيل جبهة مشتركة من التيارات القومية واليسارية، وتضم أحزاب (البعث العربي الاشتراكي، القوميين الديمقراطيين التقدميين، الشعب الثوري الأردني، حركة التحرير الشعبية العربية، العربي الوحدوي الديمقراطي، وتنظيمات أخرى ومعظم هذه الأحزاب غير مُرخصة في الأردن).

والسؤال هل كان الداعية الإسلامي فتحي يكن مقتنعاً بجدوى هذه التجمعات؟ وما الفرق بينها وبين السلطات الحاكمة؟ ثم ماذا كان رأيه بها وبصحة أهدافها المُعلنة لجهة معارضة مؤتمر السلام؟ وما قيمة المعارضة لأجل المعارضة بدون خُطة بديلة؟

إنَّ عذر الداعية فتحي يكن أنه يحبُّ فلسطين محرَّرَة والأمة عزيزة، وحقوق الإنسان مُصانة، ولهذا فهو يُراهن على كل ظاهرة إيجابية ولو بإعلان الشعارات، إنه يحلم بولادة قوى جديدة تحقق آمال الأمة بالخلاص، إلا أنَّ الواقع ـ مع الأسف ـ مُخيب للآمال ومُبدد للأحلام. في (15/ 10/ 1993م) قال النائب فتحي يكن: «أمام هذا المسار السياسي الجنائزي للقضية الفلسطينية وأثناء انعقاد المجلس الأعلى اللبناني ـ السوري تنعقد آمال بولادة مشروع نهضوي يبدأ مع القطرين الشقيقين ليستقطب الطاقات والقوى الرافضة للصُّلح مع العدو، رسمية كانت أم شعبية للخروج من حالة إنعدام الوزن ومن حالة الانبطاح والإذعان للمشروع الأمريكي ـ الصهيوني». وأضاف: «لا بد من التسليم أولاً بأنَّ فلسطين ليست شأناً فلسطينيا قُطرياً، ولا يمكن مساومتها بتنفيذ القرار 425 أو إعادة هضبة الجولان. وأنّ القضية الفلسطينية قضية مركزية على مستوى العالمين العربي والإسلامي»[1].

وهذا هو الواقع، أما بخصوص مبدئية فتحي يكن فإنّه صرح في (16/ 8/ 1993م) لجريدة الديار اللبنانية قائلاً: «إنَّ جوهر القضية

---

(1) فتحي يكن، **أضواء على التجربة النيابية الإسلامية في لبنان**، الكتاب الثاني، ص 199 ـ 200.

الفلسطينية لا يُمكن أن تُعيده المفاوضات، وانتظار الإنصاف من الشريك الكامل المزعوم (الولايات المتحدة الأميركية)...»[1].

والسُّؤال: وماذا فعل المعارضون؟ وأي فرق بين المُوالاة وبعض المعارضة؟ حقيقة الأمر أنهم جميعاً ضمن حقل سيطرة أعداء الأمة، ومثلهم مثل مُختلف أجهزة السيارة، يتحرك بعضها عكس بعض. إلا أنَّ مجموعة الأداء تُؤدي إلى تسيير السيارة أو الآلة المُستعملة، إنَّ كل واحد موجود (على غير إرادة منه) في المكان الذي يُؤمِّن تحقيق الأهداف المرجوة منه بدقة متناهية...؟!

(1) المصدر نفسه، ص 213.

المبحث الثامن

محطات في فكر فتحي يكن

1 ـ الخطاب الديني المعاصر:

يرى فتحي يكن أنَّ الخطاب الإسلامي لا يُمكن أن يبقى جامداً في مكانه، بل من المُحتم عليه أن يتطور انسجاماً مع سُنة الله تعالى في التطور، والخطاب الإسلامي يجب أن يتطور في كل الاتجاهات: التربوية التعليمية، الروحية العلمية والاجتماعية والاقتصادية، لأنه لا يجوز لهذا الخطاب أن يتطور من جانب ويبقى قاصراً في جوانب أخرى.

لكنه يربط تطور الخطاب بتطور الخطيب وتطور الحركة في كل قطاعاتها وأدوارها، يقول الداعية يكن في ذلك:

إنَّ تطور الخطاب حتمية شرعية وضرورة دعوية، اختزلها رسول الله (ص) بقوله: «أُمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم» وقال أيضاً (ص): «خاطبوا الناس على قدر عقولهم».

من أجل ذلك لا بد من إعداد الخطيب المناسب الذي عليه أن يُلِمَّ بـ:

أ ـ «العلم الشرعي من قرآن وتفسير وحديث وفقه: لتتكوّن لديه من خلال ذلك صورة واضحة عن الإسلام عقيدة وشريعة، وهي القاعدة الثابتة التي بُني عليها الخطاب الإسلامي في جميع مجالاته، وهذا مناط قوله (ص): «من يرد الله به خيراً يُفقهه في الدين ويعلمه رشده».

ب ـ ورأس العِلم الذي يجب أن يتعلمه الخطيب هو: مخافة الله تعالى.

ج ـ مراعاة المكان الذي يُلقى فيه الخطاب: فليس كل خطاب يصلُح لأي مكان، فلكل مكان خصوصياته ومشكلاته وطبيعته، كما هي طبيعة الناس الذين يعيشون فيه، وباختصار لكل مقام مقال.

د ـ مراعاة الزمان: لأنّ الخطاب في زمان ما لا يصلح لكل زمان، فالزّمان يتغير ويتبدل ويتطور... ويجب أن نلاحظ هنا قاعدة «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان والمكان».

هـ ـ قراءة الظروف والأحداث والقضايا: لأنّ الخطاب يجب أن يلامس الظروف التي يعيشها الناس.

وأشار فتحي يكن إلى أنه مهما تطور الخطاب الإسلامي فإنَّ عليه أن لا يغفل الجوانب الثابتة في الإسلام.

2 ـ نظرة في الخطاب الإسلامي المعاصر:

من خلال المتابعة لفكر ومواقف فتحي يكن فقد سجّل النقاط التالية على واقع الخطاب الإسلامي:

1 ـ إنَّ الخطاب الإسلامي لم يتطور أكثر من 30٪.

2 ـ لا يعتمد العلمية والموضوعية والوثائقية التي تتطلبها طبيعة العصر.

3 ـ يقتصر على النقد ولا يطرح البديل.

4 ـ يغرق في جزئيات ومُفردات تُفقده أثره وواقعيته وشموله.

5 ـ في الغالب الخطاب الإسلامي هو نتيجة ردة فعل أو حسب رغبة مواقع القرار والمرجعيات الرسمية.

6 ـ لا يُراعي الأولويات.

7 ـ كثيراً ما ينحرف نحو التجريح الشَّخصي أو الفئوي والطائفي والمذهبي، ما يُضعف أثره ويقوي ضرره[1].

3 ـ ملاحظات فتحي يكن على خطاب الحركة الإسلامية:

في لقاء أجرته معه مجلة فلسطين المسلمة في شباط 1996م، لاحظ الداعية فتحي يكن أنَّ خطاب الحركة الإسلامي لا يُراعي الواقع المعيش، فهو ما زال خطاباً يُحاكي الخمسينيات والستينات، حتى التربية والمناهج لا تزال متخلفة عن محاكاة العصر وعن إيجاد الشخصية التي يمكن أن تقوم بالأداء الإسلامي في التسعينيات، يقصد القرن الماضي للميلاد.

وفي نظره لم تكن الحركة الإسلامية قد أعدّت خُطة مُسبقة لتطوير

---

(1) فتحي يكن، **أضواء على التجربة النيابية**، الكتاب الثالث، الأداء النيابي في الميزان، ص 196.

الخطاب ولم يكن من برنامجها، حتى الأداء السياسي والنيابي والنقابي، وبما أنّ لكل عصر عقله وظروفه، لذا يجب على الخطاب أن يتكيف مع المتغيرات والزمان والمكان، لكن مع المحافظة على الثوابت أنا لا أقول بتغيير القضايا التي فيها نص واضح، وإنّما القضايا الاجتهادية التي تتعلق بالأسلوب والنمط والوسيلة.

هناك الآن مُستجدات ينبغي أن تُسخَّر في خدمة المشروع الإسلامي. وعليه فإنّ الخطاب يجب أن يكون شمولياً، فيه قوة الإيمان مع التركيز على امتلاك قوة المال، وبالتالي يقوم بإعداد القوة، والقوة لها جوانب متعددة وليست عسكرية فقط.

إنَّ قصور الخطاب الإسلامي المعاصر مردّه إلى أنه «يمتد ورائياً ولا يمتد أمامياً، بعكس الأسلوب الغربي، الذي دائماً يُخطط في الخطاب للمستقبل مستفيداً من تجارب الماضي». يقول فتحي يكن في هذا الصدد: أنا لا أطالب بمقاطعة الماضي، وإنّما أن يكون خطابنا مستشرفاً وداعياً للمستقبل...

يجب أن يتقدم على الواقع، وهذا يعطي البرنامج الإسلامي إمكانيات الانفتاح على المسقبل ولا يدخل هذا في باب الرجم بالغيب وإنما قراءة الأحداث، من خلال أبجديات ومعادلات الحاضر وتجارب الماضي...».

وخلاصة القول: لقد كان فتحي يكن يُريد للعقل المسلم أن يكون منسجماً مع مهمته بحمل الإسلام، ومع المنهج الذي تجب مراعاته عند التبليغ كما هو عند اتخاذ المواقف، إنه لا يريد عقلاً مغيباً يجتر الماضي دون اهتمامه بالحاضر.

إنَّه مُوفق جداً، ومتقدم في هذا المضمار، وهو بذلك من الداعين إلى تكوين عقل سليم، تتمازج فيه العلوم الشرعية بفروعها وأصولها مع العلوم الكلامية، مضافاً إلى معرفة الواقع بكل حيثياته، ثم التوجه بعد ذلك لبناء صرح المستقبل، فحصيلة اليوم هي من فعل الأمس، وفعل اليوم هو ما سيُحصد في يوم غد.

فتحي يكن وموقفه من قضايا التربية والمرأة

لا نحتاج سؤال الداعية فتحي يكن عن رأيه في المرأة ودورها في المجتمع، لأنه ترجم رأيه بالفعل، فالدور الذي تقوم به زوجته السيدة الفاضلة المربية أ.د. منى حداد هو الجواب الشافي عن رأيه في المرأة ودورها في البيت والمجتمع.

فمنذ أوائل 1963م قامت زوجته بتأسيس جنة الأطفال التي ذاع صيتها، روضة ثم ابتدائية ثم متوسطة إلى أن أصبحت ثانوية الجنان في مدينة طرابلس.

وفي عام 1988م عندما تقطعت أوصال لبنان بسبب الحروب الداخلية، ولم يعد بإمكان الطلاب في الشمال أن ينتقلوا إلى بيروت، قامت الدكتورة منى حداد بافتتاح جامعة الجنان بتخصصات ضرورية وغير متوفرة في فروع الجامعة اللبنانية في الشمال، كما أنها تُلبي طموح الكثيرين ممّن يحبون تعليم أبنائهم في جامعة خاصة ونُخبوية، واليوم وبعد مرور أكثر من عقدين من الزمن والجامعة تتألق ودورها الذي ابتدأ شمالياً (أي في لبنان الشمالي) أصبح عالمياً، حتى إنها تخطت الزمن ووقفت جنباً إلى جنب مع كبرى الجامعات في لبنان والعالم، ولو

بكليات ما زالت تُعد على أصابع اليد. . . وهي تنتظر أن يفسح لها المجال للتوسع.

كما أنّ أبناء فتحي يكن يقومون بأدوار تعليمية وتربوية، حتى بات بالإمكان القول: إنَّ أسرة فتحي يكن أسرة تربوية بكل معنى الكلمة، وقد حصل أبناؤه على مستويات جامعية عالية.

هذا هو واقع أسرة فتحي يكن، أما رأيه في المرأة في الدائرة الكبرى، المشروع الإسلامي، فقد لخصه بإيجاز[1].

يقول: «والمشروع الإسلامي يجب أن يلحظ دوراً للمرأة في حدود ما يفرضه الشرع ويقتضيه العقل، سواء قَبِل الرجل ذلك أو رفضه. . .».

يجب أن تكون صياغة المرأة في إطار القاعدة النبوية التي قررت أن «إنّما النساء شقائق الرجال» (رواه أحمد والترمذي وأبو داود). وليس في إطار ما يشتهيه ويهواه الرجل، ومن خلال عُقد ونواقص قد تكون فيه. . .».

إنَّ «دور المرأة في الصدر الأول للإسلام كان دوراً متوازناً ومتوازياً لدور الرجل في إطار التكليف الشرعي. . . إقامة لأمر الله، وعملاً للإسلام، وأمراً بمعروف، ونهياً عن منكر، وجهاداً في سبيل الله، إلى آخر هذه المفردات. . .»، كل ذلك مصداقاً لقول الله (عزّ وجلّ)

---

(1) ابنته إيمان، جامعية وتعمل في مجال التربية والتعليم، الدكتورة عائشة تعمل أيضاً في مجال الإدارة في جامعة الجنان، جنان، جامعية وتعمل في التعليم، رابعة، جامعية وتعمل في الإعلام داخل الجامعة، ابنه سالم، جامعي، ويعمل مديراً لثانوية الجنان. . .

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

ومن خلال هذه الآية وغيرها، يتبين «مدى السعة في التكليف المشترك بين المرأة والرجل في مختلف الصعد. . .».

وللدفاع عن رأيه هذا يقتبس فتحي يكن قولاً للسيد محمد رشيد رضا يقول فيه: «أثبت الله للمؤمنات الولاية المطلقة على المؤمنين، فيدخل فيها ولاية الأخوّة والمودة والتعاون المالي والاجتماعي وولاية النُّصرة الحربية والسياسية».

ثم يخلص إلى القول: «من هنا كانت المرأة في الصدر الأول للإسلام: مُربية، وداعية، وفقيهة، ومجاهدة، وتاجرة، ضمن إطار ما أحلّ الله، وخارج إطار ما حرّمه عليها وعلى الرجل. . .».

(1) سورة التوبة: آية 71.

وأخيراً..

فتحي يكن واستشراف المستقبل

هموم داعية. . . عنوان اختاره العلامة محمد الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ لكتاب بثَّ فيه همومه ومعاناته في مجال الإصلاح والدعوة إلى الله عز وجل، ومما جاء فيه:

«قد أحزن عندما أبذل جهدي ثم لا أرى الثمرة المُرتقبة، ومع ما يُخامرني من ضيق فإنَّ ضميري يكون مستريحاً، وحسابي لنفسي لا يصحبه ندم أو خزي، وقد يجري على لساني قول القائل:

صحَّ مني العزمُ والدهرُ أبى   وحسبي ذلك تأساء وتعزية

والأمر على العكس تماماً عندما أُفرِّط فأجني الخسارة، وعندما أُسيء البذر والحرث فأجد الحصاد الرديء فلا مكان هنا لاعتذار، ولا تقبل المكابرة من مُكابر».

ثم يُوضح ما أراد أن يبث فيه من همومه وأشجانه بشأن ما يحصل في واقع المسلمين ومحاولات الإصلاح قائلاً: «ليس هناك جُهد إسلامي واضح لخدمة الرسالة الخاتمة وتبصرة الناس بما فيها من حق وخير، بل

الذي يقع داخل الأراضي الإسلامية يُثير الرّيب حول القيمة الإنسانية لرسالة الإسلام ومدى انتفاع أهل الأرض منها، وتلك مُصيبة طامة، أن يعمل الإنسان ضد نفسه وسُمعته!! وسواء درى أم لم يدرِ فتلك نتيجة تسودُ لها الوجوه!!»[1].

وفي كتابه «قطوفٌ شائكة في حقل التجارب الإسلامية»، يبثُّ فتحي يكن الهموم ذاتها، بعد أكثر من عقدين على ما كتبه محمد الغزالي، وإن كان بحرقة أشد، لعلّ الحال الذي آل إليه الواقع الإسلامي هو السبب في ذلك، يقول (رحمه الله تعالى): «وضمن هذه الدائرة بالذات أجدني مطمئناً لأن أقول بأننا لم نبلغ بعدُ مستوى النصر، وإنّ بيننا وبين هذا المستوى فواصل ومسافات وخبرات واختبارات... مطلوب منا تجاوزها وإجتيازها بنجاح وتفوق وجدارة وأهلية».

وبعد ذلك يعرضُ لعدة ظواهر وعلل تفتك بالجسم الإسلامي وتَعوقُه عن بلوغ أهدافه منها:

1 ـ ضعف المستوى الإيماني.

2 ـ تدنِّي مستوى التجرد والإخلاص.

3 ـ تفكك البنية الداخلية وعدم التماسك كما يجب: «أما الأُخوة الإسلامية، فهي كذلك اعتراها الوهن سواءٌ ضمن دائرة الشريحة الخاصة أو الساحة العامة».

وبذلك حلّت الكراهية محلّ المحبة، والخصام محلّ الوئام، والغِلظةُ محلَّ الرفق. والتفرد محلّ التعاون. وتفشي التناكف والتخادع

(1) محمد الغزالي، هموم داعية، ط2، بيروت، دار القلم، سنة 1987م، ص 3.

والتماكر والتلفيق والنميمة وكلها حالقة للدين، ويضيف: إنَّ «الأخوّة الإسلامية ليست كالعضوية الحزبية، والصداقة الشخصية، والرفقة المصلحية، الأخوّة أمانة ووفاء وصدق وصفاء، لا مُداهنة ورياء. . .

الأخوّة تعكس بدقة تقاسيم صورنا وأحوالنا، وتساعدنا على إصلاح ما فسد منّا وفينا. فإنْ كنا نحتاج في بيوتنا لأكثر من مرآة لترتيب جسمنا وإصلاح هندامنا، فكيف بما يصقل قلوبنا ويُجمِّل نفوسنا ويُصلح دنيانا وآخرتنا؟»[1].

إنها خلجات نفس عايشت حركة الإصلاح الإسلامي قرابة ستّة عقود من الزمن، مع كل ما شهدتها هذه الحقبة من تحولات جسام في حياة المسلمين عرباً كانوا أم أعاجم.

إنَّه تقييم من قيادي خبر الحالة كلها، لم يهدأ يوماً ولم يستكن، لقد نذر كل حياته متفرغاً، منذ أوائل الخمسينيات، في أعقاب نكبة فلسطين عام 1948م، وفي كل المراحل كان المُحرِّك والمتوثب، الناشط، يقول عنه أحد رفاق دربه محمد علي الضناوي: «فقد كان طموحاً دون شطط، مهتماً دون نسيان، مُربياً من طراز غير معهود، متفهماً لبعض مشاكل إخوانه راغباً في معالجتها، وقد تمكن (رحمه الله) بذلك أن يكون، في تلك الأيام المبكرة، رائداً لهم وأخاً. . .»[2].

إنَّ ما بثّه فتحي يكن من مخاوف واستشعار للمخاطر لا يمكن

---

(1) فتحي يكن، **قطوف شائكة في حقل التجارب الإسلامية**، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، ناشرون، سنة 1428هـ ـ 2007م، ص 24 ـ 26.

(2) محمد علي الضناوي، «**ذاكرة شباب**»، **مجلة الحصاد**، عدد خاص عن حياة الداعية فتحي يكن، العدد 19 تشرين الثاني 2009م.

تجاهله أو عدم أخذه على محمل الجِد وخطأ التشخيص، إنه ليس بمقدور أحد أن يصف أو يتوقع إلا من كان على درجة كبيرة من الخبرة والدراية، ومعاناة فتحي يكن (رحمه الله تعالى)، ميدانية، وخلاصة تجربة ثرية، لأنه كان دائماً في طليعة المشاركين والمُطلعين على بواطن الأمور وظواهرها. . .

إنَّ إحدى ميزات فتحي يكن تكمن في النظرة الثاقبة وبُعد النَّظر، أو بمعنى آخر استشراف واستشعار المستقبل والمخاطر في آن معاً، أذكر أنه في أوائل السبعينيات، خلال إحدى جلسات التعلم، أي قبل فتنة 1975م في لبنان قال: «إنَّ البلاد قادمةٌ على انفجار واندلاع حرب أهلية لا يعلم مداها إلا الله تعالى، فبادرته بالسؤال مُستفسراً: وهل يُعقل أن تندلع مثل هذه الحرب؟ أجاب: «وهل بعد كل هذا التسلح وإعداد المجموعات العسكرية (الميليشيات) إلا الحرب!؟ لقد كنا نظن أنَّ الشعب اللبناني لديه مناعة وثقافة ومتانة قوية في بنيته الداخلية والإجتماعية؛ تجعل تصور الحرب مستبعداً. لكن جاءت 13 نيسان 1975م (حادثة عين الرمانة) وحصل ما كان يتوقعه فتحي يكن، وما زالت التداعيات تتالى حتى يومنا هذا، والفتنة تفعل فعلها وإن تغيّر جلدها، ولبست لبوساً جديداً وتحت شعارات مختلفة. إلا أنها هي نفسها، آخذة في طريقها كالإعصار، كل المعاقل الإجتماعية والسياسية، حتى بات حُلم الأمل بخلاص قريب مجرد سراب يحسبه الظمآن ماء. . .؟!

والهموم عند فتحي يكن تتمحور في ثلاثة مواضيع أو عناوين:

1 ـ الدائرة الدولية.

2 ـ الدائرة الداخلية للدولة بكل مقوماتها.

3 ـ دائرة الساحة الإسلامية، وهي الأكثر آلاماً في نفسه، وقد أفرد لها مُجمل آناته وحسراته التي حملها معه إلى القبر (رحمه الله تعالى).

أولاً ـ في الدائرة الدولية الكبرى:

المكائد الصليبية ـ الصهيونية:

لقد تواطأت هذه القوى مُجتمعة، إضافة إلى غيرها من الفرق الباطنية والحركات السرية (الماسونية ـ الروتاري، الليونز) ثم الشيوعية مع مختلف الوسائل وتعدد الواجهات، وثم إسقاط الدولة العثمانية، واسْتُبيح العالم الإسلامي بعد ذلك. فكان من أخطر ما أسفرت عنه هذه المؤامرات اتفاقية (سايكس ـ بيكو) عام 1916م. وهي إتفاقية جاءت متممة للإتفاق الرئيسي الذي تمّ بين الدول الثلاث: (إنكلترا ـ فرنسا ـ روسيا) والتي قضت بتقسيم الدولة العثمانية الإسلامية وتوزيع (سوريا وفلسطين والعراق) في ما بينها. [مع الإشارة إلى أن روسيا عام 1916م كانت قيصرية][1].

ولقد أعقب تلك الاتفاقية وعد بلفور عام 1917م[2] وبعدها تتالت المكائد الصهيونية حتى وصلت أحوال فلسطين والبلدان العربية وغير العربية من ديار المسلمين إلى ما هي عليه الآن؟!

---

(1) فتحي يكن، **العالم الإسلامي والمكائد الدولية**، ط2، مؤسسة الرسالة، سنة 1983م، ص 52.

(2) المصدر نفسه: ص 54. نص الوعد: «إنَّ حكومة صاحب الجلالة البريطانية تنظر بعطف إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وسيبذل أقصى المحاولات لتسهيل تحقيق هذا الهدف، على أن يكون مفهوماً أنه لن يتم القيام بأي عمل من شأنه النيل من الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة حالياً في فلسطين، أو النيل من الحقوق والمركز السياسي اللذين يتمتع بهما اليهود في أي بلد آخر».

وأما بالنسبة للشيوعية، فقد خصّها بدراسة تفضح مكائدها ضدّ العالم الإسلامي والإسلام بالذات، ومما نقله من مخططات هذا المعسكر قولهم: «لقد أدركنا في الاتحاد السوفياتي منذ البدء خطورة بقاء الميراث الديني على حاله في المجتمعات السوفياتية، ولا زلنا نواجه اليوم تحديات خطيرة وخصوصاً في المناطق الإسلامية، لذا قرّر المؤتمر (الثاني والعشرين) تجديد العزم على قهر البعث الديني في المناطق الإسلامية».

ومن الطُرق التي تمّ التخطيط لها: عدم الاستهزاء من قصص الإنجيل والقرآن والكتب الدينية التعليمية، وإنّما علينا أن نعيد تفسير قصص الدين وسير رجاله ومواعظهم بقالب اشتراكي. . .؟!

فإذا قلنا مثلاً: «إنَّ يسوع ثائر يطلب الحق للفقراء»، فهذا تفسير اشتراكي، وبمثل هذا نقول عن مُحمّد وغيره، وفي عام واحد ما بين 1917 ـ 1918م «قدّرت المصادر الروسية نفسها عدد ضحايا الحكم السوفياتي من المسلمين بمليون مسلم»[1]. ولكن بدهاء من الشيوعيين فقد أوقعوا العالم الإسلامي في مصيدتهم تحت شعار «الصداقة».

إنَّ العالم الإسلامي الذي اكتوى بنار الاستعمار الغربي (الفرنسي والإنكليزي) ثم ظهور الولايات المتحدة الأميركية إلى جانب هذا الفريق، ردحاً طويلاً من الزمن، ونتيجة للتحضيرات النفسية التي قام بها الشيوعيون وسط الجماهير المسلمة، ومع وصول عدد من الإتجاهات اليسارية والاشتراكية إلى الحُكم في بعض الأقطار الإسلامية. . . بسبب

(1) المصدر نفسه، ص 87 ـ 88.

كل هذا وغيره وجد العالم الإسلامي نفسه منساقاً للتعاون مع المعسكر الشيوعي الذي بدأ يتناغم بشكل وبآخر مع القضايا والمشكلات المصيرية التي تسببها الإستعمار إبتداء في كثير من أقطاره، وبذلك أصبح الاتحاد السوفياتي والمنظومة الاشتراكية في نظر الكثيرين السّند الذي يُمكن أن يُعتمد عليه في الحالات الصعبة، وفي الحصول على العون الاقتصادي والعسكري وغيره. . .».

وأخيراً آل الأمر إلى إقامة معاهدات صداقة واتفاقات عسكرية مع مجموعة من الدولة الإسلامية، في الوقت الذي توجد فيه دول أخرى على علاقة مع المعسكري الغربي، وهذا ما جعل العالم الإسلامي يُصبح بؤر صراع، على مناطق النفوذ بين المعسكرين العظميين، وجعل شعوب هذا العالم تحترق في بؤر الصراع. . . وبوجه أخص ما تتعرض له القضية الفلسطينية[1].

هذا هو واقع العالم الإسلامي في الدائرة الدولية الكبرى، ومع أن ما ذكره فتحي يكن كُتب عام 1981م في الطبعة الأولى للكتاب، فالتداعيات مستمرة والجرح لا زال ينزف. . .!؟

وبعد سُقوط الاتحاد السوفياتي وظهور نظام دولي جديد، نشر فتحي يكن كتاباً جديداً ذكر فيه مُجمل توقعاته للمخاطر التي تُهدد العالم الإسلامي، خاصة وأن الولايات المتحدة التي انفردت بالقيادة الكونية، (نظام القُطب الواحد) بعد سقوط الثنائية، كانت ترصد أوضاع العالم الثالث، وبخاصة منطقة الشرق الأوسط.

---

(1) المصدر نفسه، ص 91 ـ 92

يقول فتحي يكن: «كانت واشنطن تفتش عن ذريعة لبدء تنفيذ مُخططها التّوسعي، الهادف إلى وضع اليد على آبار البترول وإلى ضرب وتصفية ما تُسميه حركات إرهابية، وإلى نشر القواعد الأميركية العسكرية في عدد من دول المنطقة، ولوضع نظام أمني يحفظ استقرار وأمن الدولة العِبرية بشكل جذري ونهائي»[1].

وقد اعتمد الداعية يكن كثيراً على كتاب: «اتجاهات التدخل الأميركي في الثمانينيات» لمؤلفه مايكل كلير.

إزاء هذه المستجدات نبَّه فتحي يكن إلى: «. . . من يُمارس العمل السياسي المحلي أو الإقليمي أو العالمي. ثم لا يلحظ المعادلات الدولية، ولا يقيم وزناً للعبة النظام العالمي، ولا يأخذ بالأسباب التي تتكافأ مع دولية اللعبة، وعالمية اللاعبين، يُصبح بقصد أو بدون قصد ورقة استهلاكية ضمن اللعبة وفي يد اللاعبين. . . ».

كما أشار إلى «أنَّ كثيراً من المبادرات والمشاريع العربية ـ الخفيفة وغير المدروسة ـ مشاريع استهلاكية لم يستفد منها العرب ولا المسلمون، وما استفادت منها العروبة ولا الإسلام، ناهيك عما تُسببه من فواجع ومصائب، ذلك أنها لم تفطن إلى حقيقة ما يجري، فغرقت وأغرقت، وتحطّمت وحطمت، وأساءت إلى الأمة أفراداً ومجموعات إساءات ذات بصمات سوداء ستظل إلى فترات طويلة عائقاً للعمل ومعوقاً للعاملين» ويعطي مثلاً على نتائج ما حصل «. . . وما حروب الأزقة، والمربعات الأمنية والميليشيات العسكرية في المدن والأحياء. . . إلا

---

(1) فتحي يكن، المتغيرات الدولية، والدور الإسلامي المطلوب، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، سنة 1413هـ ـ 1993م، ص 23.

ذرائع خنق ومحاصرة للساحة الإسلامية والقضايا العربية وهي بمثابة وقود جديد لعربة النظام الدولي. . .»[1].

توقّع مستقبلي:

نظراً لأهمية استشعار فتحي يكن للأحداث القادمة، أُثبت له هذا التوقع تاركاً للأجيال القادمة أو لقادمات الأيام كي تحكم عليه. يقول (رحمه الله تعالى): «إنَّ النظام العالمي الجديد سيشهد صراعاً بين عصرين إثنين لا ثالث لهما، العصر الصهيوني الأميركي، والعصر العربي الإسلامي. . . والصراع والتنافس بين العصرين هو صراع وتنافس حضاري وفكري وعقائدي إضافة إلى الجانب الاقتصادي. . .» ويضيف: «إنَّ العالم الإسلامي كيما يشكل نظامه العالمي لا بد وأن يبدأ بتشكيل نفسه حضارياً وفكرياً وعقائدياً وأمنياً وعسكرياً. . .»[2].

ثانياً ــ في الدائرة الداخلية اللبنانية:

الطائفية والمذهبية: خطَران يُهددان بنية المجتمع في لبنان

لا يرى فتحي يكن مبرراً للفتن والأحقاد الطائفية، على الأقل من وجهة نظر الشريعة الإسلامية، ويُورد أمثلة من التاريخ الإسلامي يُبيّن حقيقة موقف المسلمين الملتزمين بدينهم من غير المسلمين في المجتمع المسلم. يستشهد بما ورد عن الرسول (ص): «من آذى ذمياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله».

وعنه أيضاً (ص): «من قتل معاهداً لم يَرِحْ ريح الجنة وإنَّ ريحها

---

(1) المصدر نفسه، ص 15 ــ 16.

(2) المصدر نفسه، ص 37 ــ 38.

ليوجد من مسيرة أربعين عاماً»، وعنه أيضاً (ص): «من ظلم معاهداً أو انتقصه حقاً أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة». ولقد اقتبس (رحمه الله تعالى) ما فعله الشيخ ابن تيمية، عندما عمل على إطلاق الأسرى عند التتار، يقول فتحي يكن: «ومن سِجل المساواة الطائفية أن شيخ الإسلام ابن تيمية ذهب إلى قائد التتار بعد احتلالهم لبلاد الشام، وطلب منه اطلاق الأسرى، فأذن (قطلو شاه) بإطلاق أسرى المسلمين دون أهل الذمة. . . فما كان من ابن تيمية إلا أن قال: «لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسارى من اليهود والنصارى، فهم أهل ذمتنا، ولا ندع أسيراً من أهل الذمة ولا من أهل الملة» وأمام الإصرار تم إطلاق الأسرى جميعاً.

وأما في مجال العلاقة الإجتماعية فقد استشهد بما جاء في العقد الذي كتبه خالد بن الوليد لأهل الحيرة بالعراق من النصارى، كي يُبين مساحة التكافل التي يتساوى فيها المسلمون وغير المسلمين على أي أرض يسودها المسلمون: «أيّما شيخ عجز عن العمل أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر، وصار أهل دينه يصرفون عليه، طُرِحت جزيته وعِيلَ من بيت مال المسلمين». ثم يخلص فتحي يكن من ذلك ليقول: «والذين يتّهمون الإسلام وساحته ومشروعه بالإرهاب هم في الحقيقة الإرهابيون، إنهم مُسعِّرو الحروب ومُبيدو الشعوب، وآثارهم في العالم بادية. . .»[1]. وليته كان حياً ورأى ما فعله اليهود بسُفن الحرية وتقديم المساعدات للشعب الفلسطيني في 31/ 5/ 2010م.

---

(1) فتحي يكن، المتغيرات الدولية والدور الإسلامي المطلوب، ص 126 ـ 128، بتصرف.

أما المذهبية:

في عام 1993م قال فتحي يكن عن المشروع الإسلامي: «. . .عندما يكون المشروع ـ اسلامياً ـ بهذا الإطلاق يجب أن يكون فوق الاعتبارات المذهبية، بل يجب أن يتجاوز الاعتبارات المذهبية، فضلاً عن السعي لإيجاد حُلول ومخارج لها، كائناً ما كانت، مزمنة وممتدة عبر التاريخ. . .

إنّي لأعجبُ حين أرى المسلمين يبحثون عن قواسم مُشتركة بينهم وبين الخارجين عن ملَّتهم، ثم هم يضيقون ذرعاً بمن يختلفون معهم ـ مذهبياً ـ من المسلمين، أو ليس الأقربون أولى بالمعروف في ثوابت هذا الدين».

«وهل يعتبر المُصرّون على بقاء هذا الخلاف أمناء على هذا الدين غيارى على مصالح المسلمين، في حين يعتبر الساعون لوحدة المسلمين من غير ترخّص، المنادون المتداعون إلى حوار بين المذاهب من غير تنازل أو تعسف، أقل من أولئك غيرة وحرصاً على الإسلام؟»[1].

إلا أنَّ فتحي يكن لم يغفل المعوّقات التي تحول دون تمتين اللحمة بين المسلمين، وكي لا يتم تجاهل الخلاف المذهبي، أصولاً وأسباباً موضوعية (فقهية وتاريخية)؛ لأن القفز من فوقها والهروب منها لا يؤدي، إلا إلى مزيد من الاحتقان والتشنيج وصولاً إلى الإنفجار.

لذلك لا بد من العمل بجدّ للحؤول دون هذه المخاطر، وذلك عبر مقترحات قدمها في أحد مؤتمرات التقريب بين المذاهب في

---

(1) المصدر نفسه، ص 108.

طهران، ومما جاء في الورقة التي قدمها للمؤتمر ولخص فيها النقاط المطلوب مناقشتها وتقريب وجهات النظر حولها:

1 ـ إشكالية تحريف القرآن الكريم، وما يتصل بمصحف فاطمة (ع).

2 ـ مناقشة إشكالية الإمامة، واعتبارها منصباً إلهياً.

3 ـ مناقشة الخلافات الفقهية المُتعددة، كميراث البنت، ونكاح المتعة، وغيرها.

4 ـ مناقشة الخلافات التاريخية والتي من شأنها أن تُعيد بعث الأحقاد وتُثير المشاعر، وتولد الضغائن، وتدق طبول الثأر، إضافة إلى ما يتصل بذلك، كذلك سب بعض الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين).

5 ـ مناقشة إشكالية ممارسة «التقية» التي من شأنها هز الثقة بين الفريقين، والحُكم على كل تصرف أنه من قبيل ذلك ويقع في تلك الدائرة».

أما في المحور السياسي، فإنّ هناك مخاطر تتفاعل وخاصة ما يحصل على الساحة العراقية: «أقول وبصراحة متناهية إن الانقسام الإسلامي المذهبي الذي تشهده الساحة العراقية بالذات بما يتعلق بالتعامل مع المشروع الأميركي، من شأنه أن يُطلق شرارات لهب تطال الساحة الإسلامية في كل مكان وبخاصة لبنان».

أما المقاومة المقبولة عند فتحي يكن فهي تلك التي تتجسد في مشروع واحد «يجمع السُّنة بكل فئاتهم والشيعة على مختلف مرجعياتهم

وأطيافهم في مواجهة عدو مشترك، إنه التحالف الأميركي الصهيوني، الذي لا يجوز الاختلاف على هويته الشيطانية، وعلى التعامل معه على هذا الأساس»[1].

هكذا كان فتحي يكن (رحمه الله تعالى) يستشعر مخاوف انفجار مذهبي من غير المعروف إلى أي مدى ستصل شظاياه إذا حصل لا سمح الله؟!

ثالثاً: في الدائرة الإسلامية:

إن أكثر ما كان يُقلق الداعية فتحي يكن هو الساحة الإسلامية وما يتهدّدها من مخاطر، ومردُّ ذلك في نظره إلى عوامل هدم لخصها في الآتي:

1 ـ مفهوم الموالاة والمعارضة:[2]

يقول عن ذلك إنه: من المشاكل الطاغية فوق سطح العمل الإسلامي، فضلاً عن الساحة العامة، مشكلة (المعارضة والموالاة) فلا هي تمارس بحق من قبل القياديين، ولا هي كذلك من قِبَلِ الأفراد.

فالقياديون يعتبرون كل من خالفهم ـ ولو بالرأي ـ هداماً خارجاً على التنظيم، منحرفاً عن النهج المعتمد والطريق المستقيم، أما الأفراد فإنّهم ينظرون إلى القيادة نظرة أقرانٍ وأمثال، لا تَفضلهم في شيء، أليسوا جميعاً رجالاً، وسواسية كأسنان المشط الواحد؟

(1) فتحي يكن، **ليت قومي يعلمون**، ط1، دار المنى، سنة 2009، ص 200 ـ 202 بتصرف.

(2) فتحي يكن، **قطوف شائكة في حقل التجارب الإسلامية**، مصدر سابق، ص 33 ـ 34 بتصرف.

إنَّ هذه النظرة المتبادلة بين القيادة والأفراد تتسبب في إحداث أقبح الآثار وأبلغ الأضرار على كامل الساحة الإسلامية وتنظيماتها المختلفة «وبدل أن تُسخَّر الجهود في العمل والإنتاج، وتوحّد الصفوف لمواجهة التحديات والمؤامرات ـ وما أكثرها ـ تنشب الصراعات، وتُصفّى الحسابات بين أبناء الصف الواحد والمدرسة الواحدة، ويُصبح همُّ كل فريق التخلص من الفريق الآخر، ليتم تكريس المثل الشائع: (قُم لأجلس مكانك)». ثم يُشخِّص أخطر واقع يتهدّد مستقبل الساحة الإسلامية من خلال سوء الأداء في إيلاء الأمور إلى أصحابها، أي في عدم وضع الشخص المناسب في المكان المناسب له، «وفي هذا السياق يُكرّم الموالون ويقرَّبون، وإن لم يكونوا على فهم وولاء لشرع الله، كما يصل إلى مواقع التشريع والتنفيذ من ليسوا أهلاً للأمرين معاً، بينما يُحارب المُعارِضون والنَّاصحون ويُهمَّشون ويُبعدون».

ومن المخاطر التي تعوقُ مستقبل الساحة الإسلامية؛ لأنها مركّزة في البنية التربوية والتي تظهر منها الرغبة في الإستئثار بالمواقع "الأنا" خدمة للمصالح الخاصة التي تحول دون تحقيق المصلحة الإسلامية العليا، بدلاً من ذلك فالأمور تتجه إلى «دائرة الخلاف الشخصي الذي تفوح منه (الأنا) والمصالح الخاصة، فضلاً عن التزاحم والصراع على المواقع!!».

كما أنَّ أسباباً تنظيمية، «كعدم تحديد دور كل فريق وحقوقه وواجباته» مع أنها قد تكون موجودة، إلا أنها مكتوبة فقط على الورق ومُعطلة، غير ملحوظة في واقع العمل والممارسة، حيث إنَّ ظاهرة (إقرأ تفرح، جرّب تحزن) باتت واسعة الانتشار.

وخلاصة ذلك كلِّه أن «يُصبح كل طرف موالياً لنفسه معارضاً لغيره». . .

ومن المخاوف التي تحيط بالساحة الإسلامية: «مشكلة غلبة الهمّ السياسي على الهمّ الدّعوي».

وقد أعطى الداعية فتحي يكن أمثلة على بلدان لم يُسَمِّها، لكنه، (رحمه الله تعالى)، يُشير إلى أنَّ ذلك البلد فازت فيه الحركة الإسلامية بعدد من المقاعد في المجلس النيابي، وأنه ما كادوا يدخلون المجلس حتى «تعالت أصوات من داخلها، ومن قلب قواعدها مُنددة مستنكرة، بعضها يُنادي بوقف العمل السياسي والانسحاب من الميدان البرلماني، والبعض الآخر يُطالب بتحقيق التوازن بين الهمّ السياسي والهمّ الدعوي. . .».

ويرد فتحي يكن الأسباب إلى «الخطأ في ممارسة السياسة وليس إلى السياسة بذاتها» ومن الأسباب:

ـ قد يكون اقتحام الحياة السياسية قبل الأوان.

ـ قد يكون سوء اختيار الشخص المُناسب للمكان المناسب.

ـ قد يكون لعدم متابعة من اختارتهم الجماعة، وعدم قيامها بواجب دعمهم وإسنادهم، وتأمين المتطلبات اللازمة لهم.

ـ قد يكون بسبب عدم وجود مشروع سياسي واضح للعمل النيابي ويخلص إلى تداعيات هذا الإرباك يؤدي إلى تصور «وجود تناقض بين السياسة والدعوة»، وهذا معناه لوثة علمانية غير منظورة، وليست ببعيدة من حيث الأساس والنتيجة عن مقولة (فصل الدين عن الدولة).

إنَّ هذا الاستشعار من أشد المخاطر التي تتربّص بالساحة الإسلامية، بحيث يتسبب الفشل في أدائها السياسي إلى نُشوء توجه علماني يؤدي في نهاية المطاف إلى ما آلت إليه الأمور في أوروبا، حين فشل رجال الكنيسة وأدى ذلك إلى سيطرة العلمانية. إنّه استشراف خطير للغاية ويبدو أنَّ فتحي يكن كان محقاً في ذلك، وقادمات الأيام حُبلى والخوف من أن تُولد العلمانية كرد فعل على سوء أداء الإسلاميين.

يقول (رحمه الله تعالى): «فالمشكلة إذاً في السياسيين لا في السياسة، وفي إصلاحهم لا في إلغائها» وينبّه إلى أن «الخطأ التربوي والدعوي قد يكون أخطر بكثير من الخطأ السياسي، ومن خطورته أنه بعيد عن الأضواء والأنظار وقد لا يُكشف إلا بعد أن يكون قد أتى على البناء كله»[1].

إنَّ قاصمة الظهر هي أن في «غيبة أهل العقل يرتع أهل الجهل» «والساحة الإسلامية مُستباحة وليس لها خفير».

إنَّ ما يدفعه المسلمون من أثمان باهظة، لا ينجو من ذلك ظالم أو مظلوم، ولا عاقل أو جاهل، «ثمناً باهظاً من الأموال والأنفس والثمرات» ويُعطي فتحي يكن أمثلة على ذلك في الجزائر واليمن «تولى كِبْرها من لندن ما يُسمى (أبو حمزة المصري) وتحت عين السلطة البريطانية وسمعها وبصرها». وفي أفغانستان والشيشان... «وما يجري مثله في لبنان وفي الكثير من البلاد العربية والإسلامية».

ومما يتوقعه فتحي يكن أن يكون السَّبب الخفي وراء كل هذه

(1) فتحي يكن، **قطوف شائكة**، مصدر سابق، ص 47 ـ 50. بتصرف.

الظواهر هو الوصول إلى «وقف مسيرة الإسلام المستنيرة المظفرة الحضارية، التي أخذت تطل على العالم مُؤكدة بأنَّ المستقبل لهذا الدين»[1].

وفي النهاية فإنّ المخاطر التي وردت في ثنايا صفحات البحث يُمكن إجمالها في: «خلق حالة عداء مستفحل ومتفجر بين الحكومات وبين الشعوب، وبينها وبين الحركات الإسلامية مما يُؤدي إلى حروب استنزاف داخلية تطال الاثنين معاً وتضعفهما وتصرفهما عن التفكير والتحسب والإعداد لمواجهة أية مخاطر خارجية داهمة»[2]. جاء ذلك في معرض حديثه عن تداعيات أحداث 11 أيلول 2001م.

هذا غيض من فيض من استشراف فتحي يكن للمخاطر القادمة، وتلك هي هُموم داعية. . .

رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنانه إنَّه سميع مجيب.

---

(1) فتحي يكن، **قطوف شائكة**، مصدر سابق، ص 97 ـ 98 بتصرف.

(2) فتحي يكن، **الأولويات الحركية في أعقاب 11 أيلول**، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، ناشرون، سنة 1428هـ ـ 2007م، ص 23.

ملـحـق

حوار شامل ينشر لأول مرة مع الداعية فتحي يكن

أجرى الحوار الصحافي، فادي الغوش

■ **سؤال: كيف تعرّفت على الأجواء الحركية الإسلامية، وكيف كانت نظرة الناس إلى الشباب الحركي في تلك الفترة؟**

الجواب: بيئتي العائلية كانت مُتديّنة في الأساس، خصوصاً جدّتي لأبي التي تُوفي زوجها، وأصبح لديها فراغ عاطفي، وأنا وُلدت بعد وفاته بوقت قليل جداً. لقد احتضنتني فوجدت فيّ السلوى، وكانت مُتديّنة عن وعي، وتربيت في كنفها أكثر من والدتي. أما الوالد فكان انضباطياً، والآباء في تلك الفترة غير الآباء اليوم. فكانت هناك متابعة من حيث الرُّفقة والكتب والمطالعة والنوم والأكل، وهذا كله يُسجل على لوح في الحائط. البيئة ساعدت كثيراً على تكوين شخصيتي خصوصاً الجانب التنظيمي. وأنا أؤمن أنَّ الشخص الذي ليس لديه انضباط فوقْتُه مهدور ولا قيمة له. القيمة في الوقت الذي إن لم تقطعه قطعك.

أما دراستي الأولى فبدأت في المدارس الرسمية، وقد شهدتُ المجزرة التي ارتكبها الفرنسيون في عام 1938م حيث كان رَتْلٌ من

الدبابات الفرنسية في باب التبانة ثم في التَّل وقد سقط أثناء ذلك العشرات من الضحايا.

لم تعجب الوالد المدارس الرسمية، فنقلني إلى المدرسة الأمريكية في القُبة، حيث كانت الحركات القومية العربية والقومية السورية، ولم تكن توجد حركات إسلامية سوى بعض الجمعيات، كجمعية مكارم الأخلاق، إلى أن قادتني المُصادفة وأنا أصلي في بعض المساجد إلى التعرّف على كتاب لمحمد قطب عن طريق بعض الأصدقاء، وكان الكتاب بعنوان: «الإنسان بين المادية والإسلام». وهذا الصديق قال لي: «لماذا لا تزور جمعية مكارم الأخلاق حيث كان رئيس البعثة الأزهرية في لبنان صلاح الدين أبو علي الذي كان يُعطي دروساً يومية بعد صلاة العصر في مسجد المنصوري. وكان هناك الشيخ عبد الكريم عويضة وعبد الحميد الجاموس وكُلهم من كبار السن وأنا صغير السن، بدأت بقراءة الكتب وحضور نشاطات جمعية مكارم الأخلاق. وفي هذا الوقت نشأت في بيروت جماعة عُباد الرحمن سنة 1951م.

لقد كان رائد جماعة عُباد الرحمن شخص من بيروت، عاش في فلسطين فترة طويلة، وهو محمد عمر الداعوق، والد زوجة توفيق حوري، وقد تولّى منصب نائب رئيس الجماعة، وكان مهندساً ميكانيكياً وعبقرياً بالفعل. عندما وقعت نكبة فلسطين عام 1948م فكَّر في الذي حدث وبدأ عام 1952م يخطب في المساجد، وقد انخرط آنذاك العشرات في الجماعة. وفي عام 1954م كان هناك عشرة آلاف شخص مُنخرط في الجماعة التي اتخذت الطابع الكشفي والتدريب الرياضي شبه العسكري، وارتفع شأن الجماعة حتى سمعتُ بها وكُنت عضواً في جمعية مكارم

الأخلاق، فدعونا الداعوق إلى طرابلس لإلقاء محاضرة، وكانت المجموعة تضم عبد الرحمن القصاب ومحمد صالح موسى والشيخ سعيد شعبان الذي شجعناه على الدراسة في أزهر مصر، وكانت والدته مُتوفاة ووالده مصاب بالشلل.

كان الداعوق يتحدث بطريقة السهل الممتنع، وكان خفيف الظل وْرياضياً، وتوالت اللقاءات، وكان عقب المحاضرات يلتقي بالشباب في المسجد حيث يبثّ أفكاره، ونمت العلاقة بيننا وبين جماعة عُباد الرحمن إلى أن اقترح علينا الانضواء تحت راية جماعة عُباد الرحمن؛ لأنَّ جمعية المكارم جمعية خيرية، وهكذا تمت العلاقة وأدت إلى انتساب كل المجموعة إلى عُباد الرحمن.

إستأجرنا مركزاً في صف البلاط حيث كنا نقيم فيه نشاطاتنا، وهذا المركز الوحيد الذي بدأ فيه العمل الإسلامي الحركي عام 1954م، واستمر على هذا النحو، وكنا نُدعى إلى الاحتفالات في بيروت ومنطقة الأوزاعي وكانت يومها كلها أشجار وأحراج. محمد عمر الداعوق لم يتتلمذ على يد أحد، فالذي عنده يُعطيه ولا يملك فكراً سياسياً، وكان يركز في أحاديثه على المواطنية الصالحة.

في هذا الوقت، كانت الكتائب اللبنانية مُنتشرة، وخطر في باله أن يعقد لقاءً بينه وبين الشيخ بيار الجميل رئيس الكتائب، وعُقد لقاءٌ بين الطرفين (طرف مسلم وطرف مسيحي)، وأُبرم اتفاق حُسن الجوار بين الطرفين. ووقعوا على اتفاق بعدم العدوان، والتعاون على إصلاح أي شيء يقع بين الطائفتين (لمدة عشر سنوات). وهذه الاتفاقية كان لها بعض الانعكاسات السيئة لدى بعض المُتعصبين عند الطرفين، وأثارت

كثيراً من الاتهامات. ويومها قال الداعوق قولته المشهورة: «ستترحمون عليّ غداً بعد وفاتي» وقد ترحموا عليه فعلاً!؟

شهدت عُباد الرحمن الثورة المصرية ومجيء عبد الناصر وما تلا ذلك من أحداث، واتهام الإخوان المسلمين بمحاولة اغتيال عبد الناصر. وقد تأثرت جماعة عُباد الرحمن بعبد الناصر وكان الأستاذ توفيق حوري أكثر المتأثرين به، وقد وُضعت صورة عبد الناصر في مركز الجماعة. وطبعاً كان الشارع اللبناني يغلي بالناصرية. . . أنا كنت صريحاً مع نفسي ولست شخصانياً، وأنا أحمل فكراً مبدئياً، لذلك كانت هذه بداية المفاصلة. تحدثنا مع الداعوق أكثر من مرة في جلسات عدة، لكن يبدو أنه لم يتمكن من تصحيح المسيرة، وكان يترك المسألة لتوفيق حوري، لقد قُلنا له من يريد أن يمشي مع عبد الناصر، فليكن ذلك خارج جماعة عُباد الرحمن فلا ضير في ذلك، لكن أن تتحول الجماعة إلى اتجاه ناصري فهذا غير مقبول، وهو ما أدى إلى حصول انفصال بين طرابلس وبيروت. وتقدمنا لدى السلطات المختصة بعلم وخبر جديد، بإنشاء الجماعة الإسلامية، أما جماعة عُباد الرحمن فقد عملت على سحب الرخصة بالنسبة لمدينة طرابلس. وزير الداخلية آنذاك كان الراحل كمال جنبلاط، وكانت المرحلة صعبة عام 1965م، وقد أعطانا العِلم والخبر على مسؤوليته.

كانت لدى جنبلاط الشفافية ونمط من المسلكية والأخلاقية العالية، وقد اقترحنا عندما كنا في جماعة عُباد الرحمن أن تكون لجنة المراقبة على دور السينما برئاسته من المرجعيات الدينية ـ المسيحية والإسلامية ـ وتجتمع بشكل دوري، وكان مندوبنا يومذاك الدكتور زهير

العبيدي، حتى أذكر أن بعض الصحف رسمت كمال جنبلاط، وعلى رأسه عمامة وبيده سُبحة. وقد أصدر قراراً في ذلك الوقت بصفته وزيراً للداخلية بمنع (بُوب هوبْ) من دخول لبنان وكان متعاقداً مع كازينو لبنان. وعندما حصلت المُفاصلة (القطيعة) بيننا وبين عُباد الرحمن زرناه في المختارة. وأذكر أنه كان صائماً، وقُلنا له إننا تقدمنا بطلب حسب الأصول إلى وزارة الداخلية، وجاءنا الرَّد بأنَّ المتقدمين إلى هذه الجمعية هُم فلول من حزب التحرير والإخوان المسلمين، وكان الكتاب من أبشع ما يكون ولا يمتُّ إلى الحقيقة بصلة. وسلمناه نسخة من هذا الرد مع الطلب، فقال لنا موجهاً كلامه إلى العبيدي إنه عليه النزول إلى مكتبه في الوزارة ولا يصح إلا الصحيح. وكان اجتماعنا يوم أحد، ويوم الاثنين ذهب العبيدي إلى الوزارة، مرّ بالمدير العام، وقال له: «أريد مقابلة معالي الوزير»، فأجاب المدير العام: «إنَّ هذا الطلب مرفوض»، فقال له: «هناك موعد مع معالي الوزير»، فاتصلوا بالوزير ولم يخرج زهير العبيدي إلا والعِلم والخبر معه من وزير الداخلية كمال جنبلاط، وقد أطلق تهديده الموعود: إنه لا يستطيع أحد أن يقف في وجههكم وأنا موجود. وكمال جنبلاط لم يوقّع جزافاً بل اطَّلع على مبادئنا وماذا نُريد للمواطن الصالح من تربية على المبادئ ومكارم الأخلاق ووحدة الكلمة، وقال: «لا يصلح الأمر إلا بهذا».

في هذا الوقت، بين نهاية العلاقة مع جماعة عُباد الرحمن وبدايات التأسيس، وصل إلى الحُكم في سوريا أديب الشيشكلي، وقد تسلّم الحكم بصرامة، وكمّ الأفواه، ما أدى بالمعارضين إلى ترك سوريا، ومن بين هؤلاء الأستاذ مصطفى السباعي الذي كان المراقب العام للإخوان المسلمين في سوريا. وقد نُفي إلى لبنان، وبعد وصوله إلى لبنان ـ وهو

يحمل فكراً إسلامياً ـ كان أول ما اتصل به جماعة عُباد الرحمن، وقد حاول كثيراً تطوير الحركة، لكن كان هناك سقف مُعين يقف عنده التطوير، وعندما حدث الانفصال بقيت العلاقة قائمة.

كنا نُقيم مخيمات باستمرار، ونُنظم احتفالات في منطقتي عكار والضِّنية شمالي لبنان، وفي دير النورية في إقليم الخروب جنوبي بيروت، وفي جبل لبنان والبقاع، وكانت مخيمات دعوية تربوية. وبدأ الانتشار حيث كان المركز الرئيسي في طرابلس بعد أن انفصلت عن بيروت. فعُباد الرحمن في بيروت استقلوا في بيروت، وعُباد الرحمن في طرابلس تحولوا إلى الجماعة الإسلامية، فكان لا بد من تمدد العمل إلى كل مناطق لبنان انطلاقاً من طرابلس، وكانت هذه مهمة شاقة. وقد كان التركيز في بيروت إلى جانب المناطق الشمالية في الضنية وعكار والقلمون، لما لها من خصوصية ومرجعية، وفي الطريق الجديدة بصورة خاصة (جامع الإمام علي بن أبي طالب) القريب من منزل الشيخ حسن خالد الذي لا يبعد عنه سوى أمتار قليلة، وقد شاركَنا في احتفالاتنا ونشاطاتنا، ونحن نعتبره من مُؤسسي العمل الإسلامي في كل الفترات.

كان من الصعوبة أن ننشر أفكار حركة جديدة في أجواء المدينة، وبخاصة التي تأتي من خارج بيروت، لا سيما في الأجواء التي كانت تسود العاصمة آنذاك، حركات ناصرية وقومية... لدرجة أنّ صور عبد الناصر كانت موجودة في كل بيت من بيوتنا.

في بيروت مررنا بتحديات شديدة جداً من الذين شاركونا العمل الإسلامي (خصوصاً الطريق الجديدة)، لأنه ليس من السهل أن نُؤسس لعمل يعتبره أنصار عبد الناصر مشبوهاً، لأنهم كانوا يعتبروننا امتداداً

للإخوان المسلمين، علماً أنه لا يوجد أي رابط تنظيمي بيننا. وقد كُنت أنزل يومياً من طرابلس لإلقاء حديث بعد صلاة العصر في مسجد الإمام علي بن أبي طالب (ع)، وبعد ذلك استأجرنا منزلاً، مما أثار الوسط في الطريق الجديدة. وقد أصبح هناك إقبال ومواظبة على حضور الدرس الديني، وأذكر أن عبد المجيد منيمنة رئيس جمعية إحياء مدارس بيروت كان يظل إلى جانبي ويقول لي: «أنت دائماً إلى جانبي الذي يُصيبك يُصيبني». وفي يوم من الأيام بعد صلاة الفجر، وإذ بأحد قبضايات بيروت والطريق الجديدة، واسمه أبو راشد دوغان يقف في المسجد وفي عيونه الشر، وقال: «هنا بينكم في هذا المسجد عُملاء، وهؤلاء سينالون حسابهم، وأمس اجتمعت المقاومة الشعبية وأصدرت حكماً بالإعدام بحق هؤلاء؛ لأنهم حاولوا اغتيال عبد الناصر، وهؤلاء عملاء للإنكليز». وكان معي من المنطقة حوالي سبعة أشخاص ما دفعهم إلى الرد وتعالت الأصوات في المسجد...

وأحياناً كان الشيخ حسن خالد يصلي بالمسجد، ويومها لم يكن موجوداً، فسمعت صوتاً يقول: «سنحتكم إلى الشيخ حسن»، وذهبوا جميعاً ومعهم أبو راشد، ولم نعلم ما الذي حدث، وكنت خارجاً مع عبد المجيد منيمنة، وإذا بالأخير يقول لي: «إياك أن تنقطع عن إعطاء الدروس في المسجد»، وأنا حقيقة لا أريد أن أتوقف حتى لو قُطعت عنقي.

وعندما أتيت إلى المسجد في اليوم التالي قبل الموعد بنصف ساعة، فإذا بي أمام مجموعة من الشباب على باب المسجد، فناداني أحدهم قائلاً: «تفضل يا بيكْ»، وذهبنا إلى المقهى وأنا لا أعرف ما

القضية، فذهب معنا الأستاذ عبد المجيد والإخوة الذين كانوا معي، فقالوا: «أنت هنا بحمايتنا»، فقلت: «أنا بحماية رب العالمين»، قالوا: «إلى جانب رب العالمين، أنت هنا بحمايتنا، نحن سمعنا ما الذي حصل، وإنَّ كل الشباب هنا على استعداد أن يموتوا»، عندئذ أدركت أن هؤلاء عصابة أخرى غير العصابة الأولى.

المرء يكون دائماً أقوى في بلده أو منطقته، لذلك الحركة الإسلامية كان نشاطها قوياً، وقد انطلقت كالنار في الهشيم في طرابلس والشمال، وكنا نُعطي الدروس في المساجد يومياً، وقد عمّت النشاطات طرابلس، وانطلقنا إلى الضّنية وعكار والمناطق الأخرى. وكنتُ أقوم بجولات في عكار، وفي إحدى المرات زُرتُ 36 ضيعة في يوم واحد.

■ **سؤال: ما ارتباط الجماعة الإسلامية بحركة الإخوان المسلمين وسواها من حركات إسلامية شبيهة في العالم الإسلامي؟**

الجواب: الجماعة الإسلامية في لبنان قامت بشكل ذاتي تماماً، ولم تتأثر إلا بالأفكار العامة للحركات الإسلامية كلها، وخصوصاً الإخوان المسلمين. لكن منهجيتها ونظامها الداخلي وهيكليتها الإدارية أُقيمت بناءً للواقع اللبناني؛ لأنَّ لكل بلد واقعه الخاص، ولا يمكن أن تنقل تجربة أي تنظيم في بلد أحادي الانتماء إلى بلد متعدد الانتماءات. وهذا لم يحصل في لبنان، فالجماعة الإسلامية في باكستان أقدم منا، ونظامها الداخلي وشروط عضويتها قاسية جداً، ولا نستطيع أن نُطبقها نحن، لأن من يدخل الجماعة الإسلامية في باكستان يجب أن يكون حافظاً لنصف المصحف الشريف ودارساً لمقررات فقهية معينة، وهو على مستوى كبير من الالتزام الإسلامي، ونحن ليس عندنا هذا الأمر. أما بالنسبة إلينا، من يطبق فرائض الإسلام ويتمتع بمسلكية معينة وعنده

وعي وخُلُق إسلاميان، ويدفع الاشتراك المُحدد يُصبح عضواً في الجماعة. أما العضوية في الجماعة الإسلامية في باكستان فهي من أقسى وأشد العضويات في الحركات الإسلامية في العالم. فلهذا السبب، كان الذي يدخل في الجماعة الإسلامية على أيام الإمام المودودي في قوة من أمره. أما على عهد القاضي حسين أحمد، فقد بدأوا مرحلة جديدة، وهي الانتقال إلى الجماهيرية المفرطة بعد النخبوية المُفرطة. وهم اليوم يستوعبون مليوني عضو إلى صفوف الجماعة. ويقولون: «نحن نريد هؤلاء الأعضاء بلا شروط، ونريد أن نجرّب تجربتنا السابقة، ونحن عندنا عشرة آلاف رُكن، فهل يستطيع كل ركن أن يستوعب عدداً من الأعضاء الجُدد؟ ونحن سنرى على مدى خمس سنوات هل إنّ تجربتنا السابقة تستطيع أن تستوعب كل هؤلاء ضمن منهجية معينة؟ وسننتقل بهؤلاء مرحلياً من واقع إلى واقع آخر بغض النظر عن تاريخ هؤلاء. وإذا قبلوا العضوية فنحن نرحب بهم، ونبدأ معهم مرحلة جديدة. وقد قلت لهم: «إني أخشى من هذا الانتقال إذا لم يكن دون ضوابط، لأنّه مُخيف، وإني مع إمساك النخبة بهذا المد الجماهيري، وإلا يُنذر هذا بخطر واضح».

القاضي حسين أحمد شخصية جماهيرية، وليس مفكراً أو كاتباً، على عكس أبي الأعلى المودودي الذي كان يتمتع بالفلسفة والكتابة والتنظير، أما القاضي حسين فجاء ووجد كل شيء مكتوباً ولا يوجد أي نقص، فانطلق بهذا المشروع.

وبالنسبة لعلاقتنا وعلاقتي الخاصة بالساحات الإسلامية وبالشخصيات الإسلامية المختلفة، فقد تحملت المسؤولية صغيراً، فمنذ صغري وأنا على سفر دائم، حتى إني حضرت مؤتمراً في الضفة الغربية

قبل عام 1967م، وكان بعنوان الدفاع عن فلسطين والقدس. أُقيم المؤتمر في دمشق ثم انتقلت الأمانة العامة إلى القدس، وعلى رأسه الأستاذ كامل الشريف والدكتور محمد سعيد البوطي، وتكرّس في دمشق، وحضرَته شخصيات من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، من إيران وباكستان، وحضره رئيس الجمهورية السورية هاشم الأتاسي. ومن خلال تلك الأسفار، كنت أتعرف على الشخصيات، وبعد التعارف نُجري الدعوات، وقد تتوالد الدعوات واللقاءات من خلال هذه المؤتمرات.

وأستطيع أن أقول: إنَّ علاقاتي تكاد تغطي كل أقطار العالم الإسلامي، وكل الشخصيات الإسلامية دون استثناء، من ماليزيا إلى باكستان والهند وتركيا وإيران إلى الجاليات الإسلامية في بلاد الاغتراب في أوروبا وأمريكا، وقد أثبت ذلك في كتاب فقه السياحة.

أنا صريح جداً مع نفسي ومع الأفكار التي أحملها. وهذه السياسة تريحنا وتريح الآخرين، لهذا السبب لا يشعر أحد أني أطعنه في الظهر، من أقرب المقربين إلى أبعد الآخرين الذين هم في الطائفة السنية والذين هم في غيرها. إذا التزمنا بشيء مع أحد فهو التزام لا تراجع عنه، ولا أجيز لنفسي أي التفاف أو التعامل السياسي مع الآخرين، إن تعاملي مبدئي، وهذا أوجد ثقة كبيرة بفضل الله، وعليك سؤال الآخرين ومن غير الطوائف عنِّي. وأعطيك مثلاً النائب بطرس حرب الذي كان معنا في اللائحة الانتخابية في الشمال عام 1996م، وقد أقنعت به الآخرين إقليمياً، والمفروض أن يكون معنا ضمن هذا الإطار العروبي. لا يوجد عندي خطابان، إنَّ خطابي من الأدبيات الصريحة، وأتكلم بكل وضوح لكن بالكلمات اللائقة.

■ **سؤال: ما هي قصة خطفك من قبل السوريين؟**

الجواب: كان ذلك عام 1980م، فعندما وقعت الأحداث في سوريا بين الإخوان المسلمين والحكم السوري، شجبنا هذا الصراع، والحركة استُدرجتْ إلى القتال من حيث لا تدري. وأحداث كُلية المدفعية في حلب، يتضح الآن أن الذي كان وراءها واحد من اليهود من منطقة في محافظة حلب ليس فيها إلا يهود. كنت قد قابلت اللواء حسن خليل (الرئيس السابق لجهاز الاستخبارات العسكرية السورية)، وتحدثنا حول الموضوع، وقد تبين أنه قد استُدرج بعض الشباب، وافتعلوا حادثة كلية المدفعية وتوسعت الاعتداءات وقتلوا من قتلوا، وأصبح هناك انعدام وزن، وهذا لم يكن من تخطيط الحركة... وأنا قلت للسوريين: «اسْتُدرِجت الحركة كما استُدرج النظام، ونحن دخلنا على خط الوساطة خصوصاً بعد حادثة الخطف...».

أما الخطف فوقع بشكل مفاجئ، وكان عندنا في طرابلس أحداث أمنية وصراع بين حزب البعث العراقي وحزب البعث السوري، وكانت قوات سورية داخلة إلى طرابلس، فالتفت عليها قوات من البعث العراقي من الخلف، وحُوصر السوريون. نحن أخذنا على عاتقنا الأمر وأجرينا اتصالات لجلاء هذه القوة، مشينا بسياراتنا وكان الأخ عبد الفتاح زيادة هو المسؤول العسكري في الجماعة، ورفعنا رايات (المجاهدون) الجناح العسكري للجماعة الإسلامية، حتى خرجت القوة السورية إلى خارج طرابلس.

أما حادث خطفي فكان غير طبيعي، فقد كنت أستيقظ باكراً

وأذهب إلى مكتبي في ساحة الحرية قريباً من كلية التربية والتعليم. ويومها كانت زوجتي معي وابني الصغير. نزلت من السيارة واتجهت نحو المصعد، وإذ بقوة مرابطة بشكل كمين تهجم علينا. حاولت أن أقاوم ولكني حُملت وأُخذت إلى جهة مجهولة، حتى وجدت نفسي في سوريا. كان المسؤول عن مكافحة الإرهاب في القُطر السوري يومذاك اللواء مسعود أحمد، وأصبح صديقاً وعزيزاً على نفسي. نُقلت بعدها إلى سجن فلسطين، والاتهام كان: «إننا في لبنان نجنّد ونسلّح ونموّل الحركة التي تقوم بأعمال عسكرية في سوريا». وكان موقفنا عكس ذلك تماماً، وقد انكشف بعد ذلك من الذي وشى بي، وهو من منطقة البقاع وهو تاجر سلاح كبير، كان يُدخل السلاح إلى سوريا، وحتى يخرج من القضية ألصقها بنا. وبعد التحقيقات ورُدود الفعل في لبنان والعالم الإسلامي تبين كل شيء. وطبعاً انكشفت الأمور على حقيقتها، وعدنا بعد 14 يوماً. ودُعيت للالتقاء بالرئيس حافظ الأسد بعد الاعتقال بأسبوع، لكني كنت مدعواً لحضور مؤتمر بقَطر وهو المؤتمر الأول للسيرة والسنة النبوية، (وهو مؤتمر عالمي) فما كان مني إلا أن اعتذرت وأخبرتهم أنني بعد عودتي من المؤتمر أُلبِّي الدعوة. وبالفعل، ذهبت إلى دمشق وقابلت الرئيس حافظ الأسد.

■ **سؤال: كيف كانت علاقات الجماعة مع الجمعيات والحركات الإسلامية الأخرى؟**

الجواب: كنا نتعاون مع كافة الفصائل على الساحة الإسلامية وحركاتها وتنظيماتها وعلى المستوى المطلوب إسلامياً وكذلك الانفتاح على الآخر، ولم تشعر الجماعة الإسلامية في يوم من الأيام أنها تُزاحم

سواها، أو أن تقوم بإلغاء الآخرين، بل على العكس كان تعاملها تحت مظلة قوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[1].

الجماعة ترى أن مهمات العمل الإسلامي كبيرة، وتحتاج إلى الكثير من الطاقات والمؤسسات الإسلامية؛ لذلك فهي بحاجة إلى كل ما هو موجود، بل إلى المزيد عمّا هو موجود، شريطة التعاون بين أطراف الساحة الإسلامية... ما دفعنا إلى تشكيل صيغ من التنسيق والتعاون الجماعي مع كل التنظيمات والحركات الإسلامية بدأت في طرابلس واستمرّت بها كذلك في بيروت.

وكان في طرابلس ما سُمي بالمجمع الإسلامي الذي ضمَّ في حينه معظم الموجودين في تلك الفترة، ثم كان التجمع الإسلامي وبعدها جبهة الإنقاذ الإسلامية، ثم كانت صيغة الهيئات الإسلامية وهي التي استمرت فترة طويلة، وكانت حاضرة في كل الأحداث التي مرّت بطرابلس وانتهت بانتهائها. وبقي التنسيق بين كرّ وفرّ بشكل متوتر، لكن لم ينقطع يوماً هذا التنسيق والتعاون في الساحة الإسلامية وخاصة في الانتخابات النيابية التي جرت عام 1992م. فقبل أن تقدّم الجماعة مُرشحيها تشاورت مع أطراف الساحة، ونتيجة موافقة الأطراف الإسلامية على هؤلاء تم إعلان أسماء المرشحين، وهذا ما أعطى الزخم وأدى إلى نجاح المرشحين.

أما الحركات الصوفية فهم فريقان، فمنها من لديه كثير من البدع، فكان تعاملنا معها تعامل الناصح لها والمسدّد لمسارها على اعتبار أنَّ البدع ليست من الإسلام في شيء. وهناك طُرق صوفية لم نجد غضاضة في التعامل معها، بل على العكس ليست لديها بدع، وإنما عنايتها

(1) سورة المائدة: الآية 2.

بالنفس البشرية وتزكيتها، ولم يكن لديها أي مشروع اجتماعي أو سياسي، فكنا نعتبر أن هذا المنحى تحتاجه الساحة الإسلامية بشكل كبير؛ لأنّ الجانب التربوي الرباني نحن بأمس الحاجة إليه، وهو الذي يصنع الشخصيات الإسلامية ويربطها برباط الله (عزّ وجلّ)، فكان الإقبال على هذه الطريقة وخصوصاً الطريقة النقشبندية التي تكاد تخلو من أي بدعة تقريباً، حتى في أفكارها وحلقات الذكر لديها، بخلاف حركات صوفية أخرى، لذلك كان التعامل مع مشايخها تعاملاً وطيداً.

وهناك حزب التحرير الذي نشأ في خمسينيات القرن الماضي في القدس على يد الشيخ تقي الدين النبهاني، ويقال إنه كان عضواً في حركة الإخوان المسلمين ثم انشق عنها بدعوى أن الحركة استنفدت أغراضها ولم تحقق أهدافها. وحُجته في ذلك أنَّ الرسول (ص) حقق أغراضه في 13 سنة، لذلك اعتبروا أن هذه المرحلة ينبغي أن تكون كافية لتحقيق الأهداف الحركية. ولهذا السبب مُنع من إعطاء الترخيص القانوني للعمل.

ويأخذ الحزب على حركة الإخوان الاهتمام المُبالغ بالتربية، ويعتبرها من المشغلات عن تحقيق الأهداف. بينما الحركة تعتبر خلاف هذا التوجه يتناقض مع الإسلام قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾[1]. فالتزكية لا بد منها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2]. أما نحن فنعتبر التربية أساساً لإحداث التغيير الإسلامي. ثم إنَّ للحزب نظرات فقهية، وهو يتبنّى أحكاماً شرعية في كل قضية حتى بات لديه ما يعتبر دائرة معارف من الفتاوى التي اعتمدها في هذه القضايا، وكأنه بذلك يمسخ الفقه الإسلامي الواسع ويحجر عليه في إطار

(1) سورة البقرة: الآية 129.

(2) سورة الرعد: الآية 15.

من المفاهيم الحركية بحيث ضيّق واسعاً. ولديه كذلك سياسة تقضي بطلب النصرة لتحقيق الانقلاب الإسلامي، وهذه ترسم علامة استفهام كبيرة لأنها دون ضوابط أو شروط.

وهناك أمر آخر، فقد مضى على تأسيس حزب التحرير أكثر من أربعين سنة، ولم يُحقق أهدافه، وهو بذلك قد سقط، لأنه لم يحقق أهدافه تماماً كما حكم مُؤسسه على حركة الإخوان لأنها لم تحقق أهدافها، وهذا ينطبق عليه الآن فهو ليس له أثر في الحياة الحاضرة. فهو حزب غير مرخص وممنوع وملاحق، فمنذ تأسيسه وحتى هذه اللحظة غير مرخص وأعضاؤه ملاحقون من السلطات والأنظمة، ومعظمهم من جنسية أردنية وأصول فلسطينية، لكن لديه في تركيا مساحة أوسع لاعتبارات لا نعرفها لغاية الآن؟!

لقد جاء الشيخ النبهاني إلى طرابلس فترة من الزمن، وقد ناقشته كثيراً. والدكتور عبد العزيز الخياط وزير الأوقاف السابق ترك الحزب وانتقده، وكذلك المرحوم الشهيد عبد العزيز البدري الذي قضى في سجن صدام حسين بسبب بعض كتاباته منها الرد على الاشتراكية. والحزب مشهود له بالجدلية على قاعدة خالف تُعرف. وكذلك كل بيانات الحزب تقوم على انتقاد الحكام والأنظمة؛ لأنه يرى أن تغيير الواقع، إنما يأتي بتغيير الحاكم، «كما يُولّى عليكم تكونوا»، لا من قاعدة «كما تكونوا يُولّى عليكم». فهذا الخطاب لم يُفسح له بالمجال لتبليغ دعوته، لأن بياناته في غاية العنف والفظاظة.

إنَّ كثيراً من الظواهر التي برزت على الساحة الإسلامية أثّرت وطعنت وشوّهت ويُوضع عليها علامة استفهام، على اعتبار أنّ كل هؤلاء خرجوا من رداء وعباءة الحركة الإسلامية كذلك، مع أن الحركة الإسلامية

منها براء. وحركة الأحباش كما حزب التحرير لم يكن لديهم أي مشاركة أو مساهمة في مواجهة المشروع الصهيوني لا خارج فلسطين ولا داخلها، في حين أن حركة المقاومة الإسلامية (حماس) مثلاً هي امتداد لحركة الإخوان المسلمين؛ لكنها في الآونة الأخيرة وعندما فُوجئوا بهذا الاتهام بدأوا يُزينون عناوين كتبهم وبياناتهم بالدعوة إلى المواجهة ونقد المشروع الصهيوني. ولكن فعلياً وعملياً لم يسهموا في أي شيء.

■ **سؤال: خلال المسيرة الطويلة للجماعة الإسلامية تعرّضت لانشقاقات كثيرة؟**

الجواب: لا انشقاقات في الجماعة الإسلامية، بالمعنى الذي يحدث في التنظيمات الأخرى، إنما الذي حدث هو التالي:

يُمكن أن يُفصل أي إنسان أو يتم طرده وإبعاده من الجماعة فيذهب ويؤسس تنظيماً آخر، لكن لم يحدث أنَّ مجموعة انشقت عن الجماعة.

أما الشيخ سعيد شعبان زعيم حركة التوحيد فلم يُشكّل أي حركة انقلابية، إنّما كان عنده بعض الآراء والمفاهيم المُعينة، وكان يتحمل مسؤولية مركز طرابلس في الجماعة، بداية سبعينيات القرن الماضي، وكان يعتقد أنه يُمكن الاستفادة من الفلسطينيين خصوصاً في المخيمات، وتعبئتهم، وأسلمة(*) بعض الحركات الإسلامية كحركة لبنان العربي وإشهار إسلام بعض المسيحين كالمفكر الفلسطيني منير شفيق، بالإضافة إلى وجود تنظيمات إسلامية كالشباب الإسلامي والشيخ فواز حسين آغا. هؤلاء اجتمعوا وأوجدوا هذا الإطار للعمل مع الفلسطينيين. وطبعاً المخيمات الفلسطينية هي التي أعطت هذا الزخم، وأصبح هناك قناعة

(*) أسلمة: إعلان إسلامهم.

بأن يكون لحركة التوحيد في الساحة الإسلامية توجه جهادي أولاً، ولم تكن الحركة انشقاقاً عن الجماعة الإسلامية، إنما هي تشكيل جديد بكل عناصره بقيادة الشيخ سعيد شعبان، لكن الجماعة بقيت متماسكة، وتعاونت مع الشيخ سعيد ونسقت معه. الشيخ لم يُفصل من الجماعة، لكنه لم يكن عضواً ملتزماً فيها؛ لذلك فقد خرج وأنشأ التنظيم، وهي لم تتخذ في حقه أي إجراء، لأنها تدرك أنّ الشيخ سعيد على صدقية وإخلاص في العمل، ولم يُسبب لها مشكلات أو تحدث باسمها. إنما أنشأ تنظيماً جديداً والجماعة بعد ذلك كانت مرافقة له ومتابعة لخطواته. والجماعة لم تترك الشيخ سعيد طيلة حياته نهائياً، حتى أُنشئ ما سُمي الهيئات الإسلامية، حتى لا تبقى حركة التوحيد وحيدة. من جهة أخرى، كانت حركة التوحيد تتمنى أن تنخرط الجماعة الإسلامية فيها حتى تكون هناك حركة واحدة، فقد كنا قريبين من الشيخ سعيد وكنا نعرف من هو.

ولو أنَّ الجماعة كانت موافقة على مسارات حركة التوحيد لأصبحت داخلها. لكن الجماعة كانت تُوافق على أشياء وتعارض أخرى بقوة. والجماعة لعبت دور صمّام الأمان على الساحة الإسلامية، ومن أجل ذلك، كان المهندس عبد الله بابتي منتدباً من الجماعة لمعالجة هذه الأمور كمسؤول سياسي.

أما جبهة الإنقاذ الإسلامية، فقد نشأت بقرار من الجماعة لتكون واجهة العمل الخيري الاجتماعي، وأسندت مسؤوليتها إلى المحامي محمد علي الضناوي، واستوعبت الكثير من العاملين في تلك الفترة، واعتُبر عملها عملاً جهادياً. وفي فترة من الزمن، كانت الخشية من أن يتحول عملها إلى رقم جديد على الساحة الإسلامية، أي أن تصبح

تنظيماً جديداً وفي هذا مضرة. ونتيجة مناقشات كثيرة حصلت مع الجبهة تمّ اتخاذ قرار بانفصال الجبهة عن الجماعة، على أن يبقى المحامي الضناوي على رأسها، إنّما لا علاقة للجماعة بها، وهي غير ممثلة فيها.

ومنذ ذلك التاريخ، أصبحت الجبهة رقماً جديداً كسائر الجمعيات، وانتهجت العمل الخيري والاستشفائي، بإنشاء بعض المستوصفات والمستشفيات، وهي تُعنى بالأيتام وأُسر الشهداء.

■ **سؤال: وُجود جماعات إسلامية تحمل اسم الجماعة الإسلامية، ألا يدلُّ ذلك على تشابه في الأيديولوجيا والأساليب؟**

الجواب: لم يكن بالفعل أي تخوف من الجماعة الإسلامية في لبنان قبل نشوء جماعات بالتسمية نفسها في الدول العربية والإسلامية، وبصورة خاصة في مصر والجزائر. وكان ثمة تخوف من حركة الإخوان المسلمين لفترة من الزمن، وإن كان هذا قد ذهب اليوم بعدما قامت حركات الغلو والتطرف. لكن عندما قامت هذه الحركات باسم الجماعات الإسلامية ظنَّ الكثيرون من خلال مقالات صحفية أن هناك تنظيماً عالمياً وتنسيقاً بين الجماعات الإسلامية التي تحمل الإسم نفسه. وظنَّ البعض أن من يحمل هذا الاسم يلتقي مع غيره، وأن أصحاب هذه الأسماء يلتقون على مشروع واحد، مع أن العكس هو الصحيح، فهم لا يلتقون على أي مشروع من هذه المشاريع، بل إنَّ الجماعة الإسلامية في لبنان انتقدت الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر، وكان موقفها رافضاً لعمل الجماعة الإسلامية في مصر وكذلك تنظيم الجهاد، وما أشبه ذلك. ولم تكن هنالك أدنى علاقة مع هذه التنظيمات التي تحمل اسم الجماعة الإسلامية ما عدا الجماعة الإسلامية في باكستان، وهذه الجماعة معروفة بأصالتها وبفكرها المعتدل وعدم تطرفها.

■ **سؤال: الحركة الإسلامية في لبنان والعالم الإسلامي قامت على أيدي أشخاص لا يملكون التخصص الشرعي، بمعنى أنهم لم يكونوا علماء بالمعنى الاصطلاحي الدقيق، كيف تُفسر هذه الظاهرة وكيف تعاملت الجماعة مع العلماء التقليديين؟**

الجواب: لا نستطيع القول إنَّ الحركة قامت بعيداً عن العلماء وأهل الاختصاص الشرعي، بل إنَّ معظم الحركات وبصورة خاصة الإخوان المسلمون جمعت في قيادتها الكثير من المتخصصين وخريجي الجامعات، سواء من الأزهر الشريف أو كليات الشريعة في العالم العربي والإسلامي، إنَّما السؤال الذي يُطرح بالفعل في ما يتعلق بمؤسس الحركة الإسلامية، أو مؤسسي الحركات الإسلامية تقريباً. لا شك أنَّ معظم الذين أسسوا الحركات الإسلامية وفي مقدمتهم الإمام حسن البنا، لم يكونوا متخصصين في العلوم الشرعية. فالشهيد حسن البنا لم يكن سوى خرّيج دار العلوم، بالإضافة لمعرفته بالعلوم الشرعية. وهنا لا بد من وقفة، فإنَّ علماء الشريعة قبل قيام ما نُسميه بالنهضة الإسلامية، كانوا لا يتجاوزون بالفعل دائرة اختصاصهم. كانوا تقليديين في طرحهم للإسلام، ولم تكن لديهم مشاريع نهضوية في إعادة الأمة إلى خلافتها الأولى بعد النكبة التي أصيبت بها من جراء الانقلاب الأتاتوركي على الخلافة العثمانية. وإنما كانوا يقدّمون الإسلام تقديماً تقليدياً لا أكثر، عدا بعض محطات مرّت قبل قيام الإمام حسن البنا بحركته. وأهم تلك المحطات، محطة الإمام محمد عبده وجمال الدين الأفغاني ومحمد رشيد رضا والكواكبي في سوريا. لا شكَّ أنَّ هؤلاء كانوا مختلفين عن غيرهم، وأسسوا مدارس حركية، إنما لم تكن لديها قابلية الاستمرار، لهذا السبب توقفت عند حدّها ولم تؤسس مدرسة كالتي أنشأها حسن

البنا (الإخوان المسلمون). أعتقد أن المؤسس لو كان شيخاً لما أعطت حركته هذا الزخم وهذا البُعد. وهو من موقعه يُؤكد أن الذي يعمل للإسلام ليس شرطاً فيه أن يكون شيخاً أو مُعمماً أو أزهرياً أو حتى متخرجاً من الكليات الشرعية. يكفي أن يكون عالماً أو مطلعاً على شريعة الله، ولو لم يكن لديه شهادات في الشريعة، وهذا ما فتح الباب أمام حملة الاختصاصات المتعددة من شرائح المجتمع المدني من مهندسين وأطباء ومدرسين أن يدخلوا في هذا الإطار بغير حرج.

■ **سؤال: برزت صحوة إسلامية متنامية بين سبعينيات القرن الماضي وثمانينياته حين احتلت الحركات الإسلامية مواقع متقدمة في السلطة أو المعارضة، فمنها من خاض الانتخابات وفاز بقدر كبير من المقاعد أو بعدد محدود ومنها من امتشق السلاح وخاض المعارضة المسلحة، حتى شهدنا انحساراً لهذه الحركات في نهاية القرن العشرين وصولاً إلى تفجيرات 11 أيلول (سبتمبر) 2001م. كيف تقرأ هذا المسار؟ وهل كانت الحركات الإسلامية مُؤهلة عموماً للأدوار التي تصدرت لها؟**

الجواب: إن ما شهدناه من صحوة أو ما أسماه البعض صعود الإسلام، ناتج عن سقوط الاتحاد السوفياتي السابق، ما ترك فراغاً في الساحات العربية الإسلامية.

وغياب الأنظمة والحركات اليسارية دفع القوى الإسلامية بشكل مفاجئ إلى ملء الفراغ، ومن غير سابق إعداد، سواء على مستوى الكوادر (الإطارات) أو الأفكار أو الخطط أو التنظيمات أو السياسات. وكان الفراغ المذكور أكبر من قدراتها، فكيف الحال وهي لم تحضّر نفسها له؟

لهذا السبب فإنَّ المد التصاعدي لما أسميناه صحوة إسلامية شغل الساحة ليس بشكل عمودي، بل بشكل أفقي وطابعه الشعار دون المحتوى، وراح هذا الصعود يتنامى ويكبر بالكمّ دون النوع حتى بلوغ الحد الأقصى، من خلال التقدم للانتخابات النيابية والبلدية ومراكز القرار المختلفة في معظم البلدان وأبرز مثال على ذلك الجزائر.

أنا لا أسميها صحوة؛ لأنها لو كانت كذلك لما وصلت إلى هذه الانتكاسة التي عاشتها في أعقاب الظهور والتمدد.

ومن مظاهر الانتكاس والارتكاس أنَّ هذه الساحات الإسلامية كانت تعدّ نفسها وبشكل غير مباشر لأن تتولّى الحُكم دون وجود مشروع إسلامي مُسبق. ففي بعض البلدان حققت الحركة انتصاراً في الانتخابات الاختيارية والبلدية، وظنت أن نجاحها هذا يؤهلها للنجاح في الانتخابات النيابية، أو يُوصلها بعد ذلك إلى قمة الهرم وإلى الحكم كما جرى في الجزائر تماماً.

لقد بدأت الانتكاسات لأنَّ ردود الأفعال على هذا التمدُّد غير الطبيعي للحركة الإسلامية أعاق وصولها غير الطبيعي كذلك إلى مواقع القرار. فهي لم تتهيأ له في الأساس، والساحة الإسلامية بكل شرائحها لم يكن لديها مشروع سياسي واضح المعالم فضلاً عن أسلمة الحكم.

ولو وصلت أي حركة إسلامية إلى الحُكم لوجدت نفسها أمام مشكلات وتداعيات خلّفها الحُكم السابق، وهي إلى جانب ذلك لا تمتلك الوسائل ولا المشاريع ولا الحلول، وبالتالي فالإسلام كان سيصاب في مقتل، حين يقال إنَّ الإسلاميين وصلوا إلى الحكم ولم يستطيعوا فعل أي شيء.

ولو استعرضنا الأمثلة والنماذج فلن تعوزنا الأدلة، ففي إيران التي استلمت الحركة الإسلامية فيها زمام الأمور من ألفها إلى يائها، ما استطاع المشروع الإسلامي فبها أن يُقدم حلولاً للمجتمع. والصراع قائم بين مُحافظين وإصلاحيين. وقد حضرتُ مؤتمراً في طهران بعنوان «إطلالة على مكتسبات الثورة الإيرانية بعدما تحولت إلى حكومة». وخلال انعقاد جلسات المؤتمر دخل إلى القاعة أحمد الخميني نجل الإمام الراحل آية الله الخميني وطلب الكلام، فسمح له بالكلام خمس دقائق، لكنه تكلم ساعة طارحاً في البداية سؤالاً وهو: «بعد مرور عشر سنوات على ثورتنا الإسلامية ماذا حققنا للمجتمع الإيراني؟ هل استطعنا أن نقدّم حلولاً لمشكلة الزواج والجنس المعقدة؟ هل استطعنا أن نؤمّن للشباب حياة الاستقرار وهو الآن لا يستطيع الزواج بسبب الضائقة الاقتصادية، علماً أن إيران دولة غنية وليست فقيرة؟ لقد طرح مجموعة من المشكلات التي تواجه الثورة والحكم دون أن تجد لها حلولاً. وإني أعتقد أن هناك تعثرات كثيرة ما استطاع المشروع الإسلامي الإيراني أن يقدّم حلولاً لها؟!

وأعتقد كذلك أنَّ الحركة الإسلامية في السودان فشلت في أن تجسّد مشروعها الإسلامي، بل إنَّ وصولها إلى الحكم دفعها إلى الخلافات والانشقاقات الداخلية وبين طرفي القيادة السياسية الواحدة، أي بين الذين هم في الحكم وبين المُؤسسين. وفي أفغانستان تمكنت الحركة الإسلامية من أن تحرر أرضها من الروس، لكن بدأ الصراع على مواقع الحكم بعد ذلك مباشرة ما أدى إلى سقوط التجربة الإسلامية.

وليس من المعيب أن ترتكب الحركة الإسلامية الأخطاء، لكنه من المعيب أن لا تُراجع تجربتها وتضع الأصبع على المشكلات والعلل حتى لا تستمر على المنوال ذاته.

وليس للفشل سبب واحد، فلم تكن المناهج التربوية في المستوى التي تُعِد الكوادر. كانت تُعدّهم قبل سقوط الاتحاد السوفياتي فقط لمواجهة الفكر الإلحادي المنتشر في واقعنا، ولمواجهة المفاسد والمنكرات، وليس للوصول إلى الحُكم، يعني تصنع الإنسان الطيب الخيّر الخلوق الذي يُمكن أن يناقش الشيوعي فيقنعه، بينما المناهج التي تُربِّي الشخصية الإسلامية فلم تكن بمستوى إيجاد الإنسان القادر على أن يُواجه مشكلات الحكم ومتطلباته فضلاً عن الوصول إليه بكل تداعياته. وهذا الأمر تعمق كثيراً عندما وجدت الكوادر نفسها أمام مهمة ملء الفراغ بعد سقوط العقائديات السائدة، ونظراً لغياب قيادات الحركة الوطنية واليسارية أيضاً. وجدنا أنفسنا أمام مسؤوليات ضخمة، فهل استُدرجنا لهذا الأمر استدراجاً؟ وهذا نوع قد يكون من التفخيخ أو التصفية أو القتل.

■ **سؤال: كنتم تنظّرون في كتابات عدة للفرد المسلم المؤهل لاستلام هذه الأمور، فأين كانت الحركة الإسلامية على مدى سبعين عاماً من انهيار الدولة العثمانية؟ هل فشل هذا البناء؟ كما أن أدبياتكم في تلك الفترة كانت تؤكد أنَّ الشيوعية إلى زوال وصدقت رؤية الحركة الإسلامية، ألم تكونوا قد وضعتم في حساباتكم أنه سيأتي اليوم الذي تشغلون فيه الفراغ بعد انهيار تلك الأنظمة؟**

الجواب: لا أقول فشل البناء، إنَّما البناء مستمر التطور وفق متطلبات العصر، يعني البناء يكون ناجحاً إلى زمن معين، وبعد ذلك لن يكون ناجحاً؛ لأنه لم يأخذ بسنّة التطور. هذا المشروع أو المخطط قد يكون ناجحاً مائة بالمائة في خمسينيات القرن الماضي، وعندما تأتي مرحلة ما بعد الخمسينيات ولم يتطور المشروع ويتراكم الفشل، تكبر المسؤولية، بمعنى أننا نُواجه العصر بمشروع قديم وهكذا.

أما أدبياتنا فكانت وصفية لإزالة الواقع القائم، وليس التحضير لواقع جديد تتسلمه الحركة. وهناك فارق كبير بين إزالة ما هو موجود وبناء ما ينبغي أن يكون، لكن لم تكن هناك أدبيات تحضّر أفراد الحركة لمرحلة الكيان الإسلامي وكيفية بنائه، إنما لإزالة المُنكر الموجود.

الحكم هو عبارة عن جهاز ومُؤسسة تتولى أمر الحياة كلها، والحركة عندما لا تمتلك رؤى واضحة وتجهز أنظمة وقوانين مرعية الإجراء لكل جانب من هذه الجوانب، فلا شك أنها ستفشل. والعموميات لا يمكن أن تنجح في إقامة دولة، إنما التحضير لكل الأنظمة الاقتصادية والقضائية والإدارية والمصرفية على ضوء الشريعة. ولا بد من دستور إسلامي.

■ **سؤال: ما هي العوائق التي وقفت أمام نجاح التجربة الإسلامية في السودان؟**

الجواب: لا شك في أنَّ التجربة في السودان نجحت، وأوصلت الحركة إلى الحُكم، إنّما ممارسة الحكم كانت باعتقادي خاطئة. هي أقامت الحكم وأتت برئيس جمهورية هو عمر حسن البشير؛ لكنها تابعت الحكم وكأنه قسم من أقسام الحركة، وهي تُملي على الحُكم ما تمليه على قسم من أقسامها، وتُملي على رئيس الجمهورية ما تُمليه على أي مسؤول من مسؤولي أقسامها، وهذه هي المشكلة الرئيسية، ومن هنا بدأت الأزمة أو القضية، وظهر تساؤل أين موقع القرار لدى رئيس الجمهورية أو الأمين العام؟ للحركة أم للدولة؟

رئيس الجمهورية رأى أنَّ الشعب أعطاه البيعة، والحركة تفرض عليه ما لا يراه، وبهذه الطريقة هو ينكث البيعة. ومن هنا كانت بداية

الخلاف، ونحن دخلنا على هذا الخط طويلاً من أجل التقريب بين وجهات النظر، وقد ذهبت أكثر من مرة إلى السودان ولم تنجح المحاولات.

أما الدكتور حسن الترابي، فكان يرى أنَّ الحركة يجب أن تبقى مُمسكة بالأمور حتى لا ينحرف الحكم. إنّما الخطأ الذي وقع هو أنَّ الترابي اجتهد. ولو بقي كولي فقيه لما كانت مشكلة، إنما ارتأى أن يكون على رأس الجهاز التشريعي للدولة، أي رئيساً للبرلمان. ولو اكتفى بموقع الخامنئي في إيران مثلاً، لكان استطاع أن يُرشد الحكم. لكن اختار أن يكون رئيس البرلمان وصار جزءً من الدولة، ويريد أن يُملي عليها، وأصبح هناك صراع لمراكز القوى بين الحركة، وبين قبولها أن تكون جزءً من الدولة أو مؤسسة من مؤسساتها، وبين رئيس الجمهورية الذي أخذ البيعة من الجماهير، وهنا بدأ الصراع.

لم يكن للترابي طموح في الوصول إلى رئاسة الجمهورية، ولو كان الأمر صحيحاً لسعى إليه من بداية الطريق، ونحن قُلنا له لو بقيت في الموقع الإرشادي لكُنت على العكس في موقع الاحترام.

نحن نعتبر أنَّ المشروع الإسلامي في السودان أصابته النكسة بسبب هذا البلاء. والنكسة الثانية وقد تكون أشدّ، وهي مفاوضات الترابي مع زعيم التمرد الجنوبي جون قرنق، وكان السودان في صراع معه. وكان في خطة الترابي العودة إلى الحُكم، وعقد اتفاقاً مع قرنق دون علم السلطة، وهذا كان قاصمة الظهر بالنسبة للترابي. لقد أورثت الحكم هذا الصراع ودفعته إليه، كيف تُوقع اتفاقاً مع قرنق وتعود إلى الحُكم. الصراع مع قرنق في فترة كان جهاداً في سبيل الله واليوم لم يعد جهاداً؟!

إنَّ المشروع الإسلامي في السودان مرّ بأزمة ضخمة جداً، إلا أن يُعيد دراسة التجربة ويبدأ تجربة جديدة، لأنه لا الدولة على ما يُرام ولا الحركة كذلك. أما الإخوان المسلمون في السودان فظلوا محافظين على اسمهم وعلى مراكزهم، وهم أقرب إلى البشير والحُكم.

■ سؤال: أحداث 11 أيلول (سبتمبر) كانت منعطفاً لما يسمى بالتيار الجهادي. فقبل عقد من الزمان كان التوجه لضرب الأنظمة نفسها (مصر والجزائر) وكانت هناك عمليات كرّ وفر، لكن بعد الهدنة التي أعلنت في البلدين، بدا أن تحولاً استراتيجياً يظهر ويتمثل بضرب أمريكا نفسها التي هي الداعم الرئيسي لهذه الأنظمة، فكيف تُفسر هذا التحول، وهل هو تحول نوعي أم ماذا؟

الجواب: عندما فشل كثير من الحركات الإسلامية في أن يقدم نموذجاً إسلامياً في أي بلد من البلدان، تشكلت تيارات أخرى تظن أن سبب هذا الفشل يعود إلى البُعد عن استخدام القوة من طرف هذه الحركات، وبسبب عدم إعلان العمل الجهادي كسبيل وحيد لبلوغ المرامي والأهداف الإسلامية. وخلال انتشار هذه الحركات قُوبلت بمواقف قمعية كثيرة من قبل السلطات في أكثر من بلد عربي، ما أدى إلى تشكيل هذا النمط من العمل الإسلامي الذي يستخدم القوة، أولاً بصرف النظر عن نتائج استخدام القوة وكيف ستكون النتيجة سلبية أو إيجابية. إنما يعتبر التيار المذكور أنَّ القوة هي السبيل الوحيد لتحقيق التغيير الإسلامي، فكانت تجربة 11 أيلول (سبتمبر) كظاهرة تمرد على التقليدية الإسلامية التي تريد أن تصحّح الأوضاع سياسياً أو فقهياً أو نظرياً. والظاهرة الجديدة تريد أن تصحّح الأوضاع ميدانياً وليس من خلال مراكز السلطة ومراكز التشريع والمشاركة بالحكم، وإنما الانقلاب على الواقع وهدمه.

وظهور تيارات العنف داخل الحركة الإسلامية كان قبل 11 أيلول (سبتمبر) 2001م، بل هي قديمة، وقد نشأت أيام حُكم جمال عبد الناصر حيث أغارت عناصر منها على مخافر أمنية وتشكلت حركات مثل (التكفير والهجرة) وما أشبه ذلك، وهذا سبق أحداث الولايات المتحدة بعشرات السنين. تلك الظواهر كانت بدايات أدت بعد ذلك إلى تشكيل ظاهرة كبيرة.

وحسبما أعتقد، فإنَّ مردّ ظاهرة العُنف يعود إلى الإحباط الذي أصيب به أفراد وقوى داخل الساحة الإسلامية، ما أدى إلى نوع من الارتجال في العمل والاعتماد على هواية المغامرة في مواجهة التحديات القائمة.

هو أشبه ما يكون بالانتحار ولا أقول الاستشهاد، فعندما يصل المرء إلى درجة من القنوط ويقوم بعمل ما قاتلاً أو مقتولاً، فهو يعبِّر من خلاله عن سخطه على الحركة التي كان ينتمي إليها سابقاً وعلى تقليدية العمل الإسلامي، وعلى النظام الذي يُواجه الحركة.

وأنا أسمع كثيراً هذا السؤال: «إلى متى؟»

نحن كحركة إسلامية نصل إلى درجة معينة من العمل فتأتي الأنظمة وتضعنا في السجون. ثم نخرج ونبدأ من الصفر ونُعيد ترتيب أوضاعنا من جديد. فإلى متى؟».

وخلال هذه التجارب والمحن لم يجد البعض من جيل الحركة الإسلامية أمامه سوى أن يواجه النظام قبل أن يواجهه ولو بحركة انتحارية. يريدون أن يجربوا نصيبهم في هذا المجال، وطبعاً فإنَّ الحركات الإسلامية الكبرى لم تكن لتجاري هؤلاء في آرائهم بحال من

الأحوال، وهي تعتبر أنَّ هذه ليست سوى ظواهر مرضية لأناس ليس لديهم القدرة على الصبر حتى ينضج المشروع الإسلامي ويصل إلى مستوى من القدرة على التغيير الإسلامي الطبيعي.

لهذا السبب فإنَّ كثيراً من الحركات الإسلامية اتهمت هؤلاء بالرعونة والارتجال والتسرع، وقد حصل هذا حتى أيام الإمام الشهيد حسن البنا (هو يُسميهم المتعجلين).

ففي المؤتمر الخامس لحركة الإخوان المسلمين نادى هؤلاء قائلاً: «إنِّي أخاطب المتحمسين منكم الذين لا يستطيعون الصبر معنا. ليجربوا حظهم لكن ليس على حسابنا وليس على حساب حركتنا، فإن نجحوا فنحن معهم، وإن فشلوا فحسابهم على أنفسهم في ذلك، على اعتبار أنّ حركة الإخوان كانت تَعتبر (وما زالت كذلك) أنَّ مشروع التغيير الإسلامي السليم والصحيح، إنما يقتضي أن يكون المشروع نفسه ناضجاً في كل آفاقه ومراحله وصولاً إلى الحكم، ولا تُجيز الحركة القفز إلى الحكم مباشرة دون إعداد مُسبق.

■ **سؤال: ما حقيقة النظام الخاص الذي اتُهم به الإخوان المسلمون؟ وما دوره في تلك الحقبة المبكرة من العمل الحركي في مصر؟**

الجواب: التنظيم الخاص الذي ظهر من رحم حركة الإخوان المسلمين لم يكن تنظيماً أفرزته الحركة، إنما شُكّل هذا النظام العسكري للحركة في أعقاب المواجهة التي اندلعت ضد الاحتلال البريطاني في قاعدة قناة السويس وخلال الحرب في فلسطين عام 1948م.

لقد أنشأت حركة الإخوان المسلمين كتائب عبر قسم يُسمى قسم الكتائب، وكانت مهمته إعداد الشباب على جبهتين: الأولى الدفاع عن

فلسطين، والجبهة الثانية وهي داخلية، والهدف كان تحرير الأراضي المصرية من الاحتلال البريطاني وبخاصة في قاعدة قناة السويس. ومن خلال هذين التشكيلين بدأت نواة العمل العسكري للحركة. وعندما انتهت المعركة في فلسطين، وخرج البريطانيون من قناة السويس، استمر هذا التشكيل قائماً وكان عبئاً على الحركة.

وجد النظام الخاص أنه يمتلك مخزوناً من الشباب، والشباب كما نعرف في معظم البلدان يميلون إلى القوة واستخدامها؛ لذلك وجد التنظيم أنه يمتلك قوة داخل الحركة وكوادرها، وهذا أدى إلى صراع بين الجناح العسكري والجناح الآخر الشرعي، وهي القيادة المدنية الطبيعية للحركة. فكان الجناح العسكري ـ أي النظام الخاص ـ يقول إنَّ القيادة بيده، وهو الذي يفعل ما يريد، وأن القيادة المدنية تخطب وتحاضر وتنظّر، أما التغيير الميداني فيعود إليه، وكان هذا بداية الصراع بين المنحى العسكري للعمل الإسلامي والمنحى الآخر الطبيعي الإعدادي التربوي للحركة، ووصل حدّ ممارسة بعض التعديات على بعض القيادات والمرافق الأمنية.

وفي أعقاب حدوث كثير من المشكلات، اضطرت الحركة إلى أن تتبرأ من هذا التنظيم، وقررت حلّ كل ما يتصل من أقسام بمثل هذا الموضوع، وأدى خروج هذا النسيج من جسم الحركة إلى نشوء نسيج آخر منفصل عن الحركة، بدأ يكبر ويتسع ويأخذ أشكالاً مختلفة مما نراه بعد ذلك في مصر والمسمَّى بالحركة الجهادية، وتنظيم الجهاد الذي يتزعمه الشيخ عمر عبد الرحمن، وتنظيم التكفير والهجرة، والحركات القُطبية الأخرى نسبة لفكر سيد قطب.

■ **سؤال: هل يندرج سيد قُطب ضمن المفهوم العام للإخوان المسلمين أم يعتبر فكره خروجاً عن هذا المنهج، علماً أن عبد الله عزام يقول في أحد كتبه: إنَّ سيد قطب كُلِّف من قبل المرشد العام بتشكيل تنظيم خاص؟**

جواب: حسب معرفتي، لم يكلّف سيد قطب بتشكيل تنظيم خاص من الأساس، إنّما سيد قطب، تشكّلت لديه حالة معينة، أبرزها من خلال كتبه خصوصاً «معالم في الطريق» وعبر تفسيره لبعض آيات القرآن الكريم. ومعظم هذه المؤلفات كُتبت في السجن، أي أثناء المحنة والقسوة والضغط النفسي. ومما نشره وحمله على غير محمله كثير من الناس، وأُسيء فهمه.

إليك مثلاً، إنَّ سيد قطب في كتابه «معالم في الطريق» يدعو إلى العُزلة الشعورية عن المجتمع الذي يُسميه مجتمعاً جاهلياً. وقد فسّرها البعض على أنها عُزلة مكانية بمعنى أن ينعزل الناس ويتركوا مجتمعاتهم ويقيمون في مجتمعات أخرى ويحضّرون أنفسهم لضرب هذا المجتمع الذي يُسمونه جاهلياً، لكني لم أفهم من خلال ما كتب أنه يُريد ذلك. إنّما العزلة الشعورية بمعنى أن يبقى الإنسان في مجتمعه، لكن هذا الإنسان الذي يريد أن يغير المجتمع لا يجوز أن يحمل أحاسيس ومشاعر هذا المجتمع، وينبغي أن يكون في عُزلة شعورية وفكرية وأدبية، لأن أدبياته تختلف عن هذا المجتمع حتى يستطيع أن يغيّر فيه، لا أن يترك المجتمع إلى مواقع أخرى كما فعلت مثلاً حركة التكفير والهجرة التي راحت تقيم لها مجتمعات دون أن تصلح مجتمعات المسلمين. بل كانت تكفّر المسلمين ووزراء الأوقاف والأئمة لمجرد أنهم موظفون لدى

الدولة. وهذا شيء خطير جداً أي الحُكم على هؤلاء بالكفر، وقد أدى هذا التفسير إلى قتل وزير الأوقاف المصري السابق الشيخ الذهبي.

لقد حُمّل فكر سيد قطب على غير محمله، وصُوّر على غير صورته. استُغل فكره بعد استشهاده ليكون قاعدة إرتكازية عقدية تقريباً أو فلسفية لهذه الحركات، وهو ليس كذلك!

بالنسبة لي، كتبتُ الكثير مما أقوله الآن، وهنالك عشرات الكتابات والدراسات حول هذا الموضوع كتبها رفاق له قياديون في مصر وفي غيرها، كما كتب العكس آخرون، وهناك العشرات الذين بيّنوا ما أشرحه من أنَّ سيد قطب لم يكفّر المجتمع، ولم يدعُ إلى الخروج من المجتمع والانقضاض عليه بعد ذلك، لأنه يعتبر المجتمع مجتمعه، ويريد إصلاحه لا هدمه.

■ **سؤال: ما الفارق بين فكر أبي الأعلى المودودي وفكر سيد قطب؟**

جواب: حسب اعتقادي، هناك فارق بين الشخصين يبدو من خلال الفكر والحركة. المودودي مُتشدد إنما بجانب الالتزام الشرعي وهو على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. ودون شك، عبر كتابه «الانقلاب الإسلامي» يرى أنه لا يمكن أن يحدث الانقلاب إلا إذا كان الشعب كله ملتزماً بالإسلام، حتى عامل التنظيفات، لأنه إذا لم يكن مسلماً فإنه يسيء إلى الإسلام. والانقلاب من أسفل إلى أعلى.

أما سيّد قُطب، فالانقلاب عنده من أعلى إلى أسفل. والطليعة المُؤمنة يجب أن تكون موجودة، وتالياً ليس ضرورياً أن يكون كل الشعب مسلماً حتى يحصل التغيير الإسلامي. وبمجرد أن تكون الطليعة

وتتأمن المكتسبات ومُعطيات التغيير، المفروض أن يحدث هذا التغيير مباشرة.

■ **سؤال: هل الجماعة الإسلامية في باكستان جزء من التنظيم الدولي للإخوان المسلمين؟**

جواب: الإخوان المسلمون تنظيم ضمن دائرة الدول العربية فقط. ولدى الجماعة الإسلامية في باكستان صيغة قائمة بذاتها في شبه القارة الهندية، وكذلك حزب السلامة ثم الرفاه ثم الفضيلة في تركيا.

وهذا الاستقلال كامل حتى حركياً وبحكم علاقاتي وكتبي المترجمة إلى تلك اللغات، ناقشنا هذا الموضوع.

مدرسة نجم الدين أربكان في تركيا يغلب عليها الجانب السياسي وليس الدعوة والحركة، بمعنى أنه عندما يكون أربكان في الحُكم، تكون الحركة موجودة، وعندما يغيب أربكان عن الحكم تغيب الحركة، لماذا؟ لأنها لا تملك مشروعاً دعوياً وحركياً قائماً، لكنّ الإخوان المسلمين سواء كانوا في الحُكم أم خارجه، عندهم مشروعهم، أي السياسة والنيابة هما جزء من مشروعهم وليس المشروع كله.

إنَّ الجماهيرية هي وليدة منهجية الإخوان أكثر منها منهجية الجماعة في باكستان. الإخوان يعيشون أزمات العالم الإسلامي، في فلسطين والجزائر وكشمير وغيرها. وعندما تشكلت حركة الإخوان أنشأت أقساماً من بينها قسم يُعنى بشؤون العالم الإسلامي كله.

أما التأثر والتأثير بين الإخوان والجماعات الأخرى، فخلال الفترات المتعاقبة وحسبما أتاحت الظروف، كان هناك نوع من التلاقي

ومناقشة الأفكار بين بعضها البعض. الحركة الإسلامية أي حركة الإخوان كانت حريصة جداً على أن تلقّح الحركات الإسلامية الأخرى بفكرها، مثلاً المدرسة التركية لأنها تراها جانحة جداً نحو السياسة، وهذا سيبقى في تركيا، لأنه ثمة أفرقاء أساسيون لا يريدون السياسة، وهذا موجود لأنه يُوجد صوفيون وسلفيون، وهم يهمهم الالتزام الإسلامي فقط. الإخوان كانوا حريصين على الحركة التركية، لأنَّ الدور التركي إذا كان قوياً أساساً فله دور غير الدور الباكستاني.

■ **سؤال: ثمة مصطلح غربي للحركات الإسلامية هو الإسلام السياسي فكيف تراه؟**

جواب: أعتقد أنَّ الوصف الغربي غير دقيق، والمفروض علمياً أن تصنف الحركات بين حركات سياسية فقط وبين حركات تربوية ولا تعمل بالسياسة وبين حركات دعوية لا تعمل بالحركة أو بالسياسة كجماعة التبليغ التي هي حركة دعوية فقط، وبين حركة كلية وهي حركة الإخوان المسلمين لأنها حركة متكاملة. الحركة السلفية مثلاً لها اهتمامات بالجانب العقائدي وهدفها تنقية العقيدة من البدع والممارسات الخاطئة، وحركة الإخوان، وإنْ كانت تهتم بهذا الجانب إلا أنه لا يطغى على تصرفها، وهو رافد من روافد كثيرة. مثلاً الإخوان المسلمون في الأردن قرروا في دورة انتخابية عدم خوض الانتخابات، وفي دورة لاحقة خاضوا الانتخابات، إنّما ضمن إطار ترشيح أعضاء من الصف الثاني، ورأوا أن لا يشغلوا الصف الأول بالنيابة لأنهم يريدونه في أمور أخرى. وحركة الإخوان تعتبر كل هذه الأعمال روافد، لهذا السبب يقول الإمام الشهيد حسن البنا: «إنَّ السياسة جزء منا والتربية جزء منا. نحن حزب سياسي ونحن حركة صوفية ونحن تجمع سلفي ونحن تيار رياضي. . .».

أما الدكتور حسن الترابي فهو مُؤمن بالعمل السياسي الواسع أكثر من عمله الحركي المرحلي أو النخبوي. ولهذا السبب كان الترابي يطرح على الحركة إنشاء جبهات عامة مع قوى أخرى مختلطة، وأن لا داعي لأن نأخذ الملتزمين فقط.

■ **سؤال: يقول الباحث الفرنسي جيل كيبل: إنَّ انشقاق الحركة الإسلامية بين مُعتدلين ومُتطرفين هو الذي أضعفها، وهو الذي أدى إلى انحسارها. لماذا لم تستطع الحركة الإسلامية الأم استيعاب هؤلاء؟**

جواب: أعتقد أنَّ هناك تقصيراً كبيراً في ترك المجال للوصول إلى مثل هذه الحالة والوضع. وهناك سبب وجيه وهو أن الحركة بسبب هذه الرعونات والظواهر، دخلت في سلسلة من المحن مما غيّب القيادات وأبعدها عن القيام بدورها، وقد دخلت السجن لسنوات طويلة. والشق الآخر لم تتمكن الحركات الإسلامية أن تطوّر نفسها بالمدى المطلوب منها مع تطور العصر. وكان التطور بطيئاً جداً لا يتناسب مع التطورات العالمية فضلاً عن الاستفادة من تقنيات العصر المختلفة، ما أدى إلى اتساع الساحة أفقياً من غير تركيز ومن دون مرجعية ضابطة للاتساع وترشيده.

ولا شك أنَّ الصحوة الإسلامية لها مدى عالمي، لكن ليست هناك أي مرجعية تمسك بها وترشدها، أي أصبحت حالة إسلامية عالمية لا ترعاها أي مرجعية عالمية واحدة. فالحالة غلبت التنظيم وشبّت عن إطاره بالفعل.

هذه الحالة تقف وراء ما حدث في 11 أيلول (سبتمبر) وحتى الآن، ما يعني أنه لم يعد هناك ضابط للحالة الإسلامية، فثمة شرائح

مختلفة، وكل شريحة تمتلك أن تجتهد وأن تُقرر وأن تنفّذ من غير أن تعود إلى أي مرجعية من المرجعيات. وهي أحياناً تفسّر الشرع بحسب ما تراه هي، ولا تسمح لنفسها باستشارة من هو أعلى منها، ما كشف عن ظاهرة معينة وهي: «نحن رجال وهم رجال»، «ولماذا أسأل غيري؟»، وهذا نوع من العُجب ملأ الساحة الإسلامية بعيداً عن ضوابط التربية، لذلك نقول: «رحم الله امرءً عرف حدّه فوقف عنده». أصبح الصغير يتطاول على الكبير والجاهل على العالم وضاعت المسؤوليات، ما أدى إلى ظهور عشرات التيارات في مدينة واحدة، ويتوالد من التيار الواحد العشرات، ثم بعد ذلك يورّط الساحة الإسلامية كلها بما يقوم به من أعمال. مثلاً في الجزائر، كانت بداية هذه الظاهرة في الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وبعد ذلك لم تبقَ هذه الظاهرة محصورة في جبهة الإنقاذ بل تعدتها إلى الجماعة الإسلامية المُسلحة، والكتائب التي كانت تُسمى بأسماء قياداتها، أو بأسماء معينة، وهدفها الحضُّ على القتل والتدمير، وهذا ليس من الإسلام في شيء. تصوّر أنّ في الفترة التي كانت فيه القوات الأمريكية والبريطانية تغزو العراق، والقتال دائر بين قوات احتلال وشعب يدافع عن نفسه، هنالك من كان يقوم بمجازر في العراق بين المواطنين. وأعتقد أن مردّ ذلك إلى عدم وجود ضابط من مرجعية إسلامية عالمية توقف هذه الأعمال غير الإسلامية عند حدّها وترفع الغطاء بجرأة.

وللأسف الشديد، وصلنا إلى مرحلة ليست فيها حسابات شرعية، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1]. إنّما هناك

(1) سورة الشورى: الآية 10.

حسابات سياسية تسخّر بعض الفتاوى لها. والعالم لا يقول الكلمة التي ينبغي أن يقولها إما خوفاً من أن يُتهم بالجبن أو أنه مداهن للسلطة، أو العكس من هذا مباشرة، فتغيب عند ذلك المرجعية الزاجرة القادرة على أن ترفع الغطاء الشرعي عن الذين يقومون بمثل هذه الأعمال باسم الإسلام، والإسلام منهم براء. ونهاية القول إن الساحة الإسلامية سائبة.

■ **سؤال: في أفغانستان، كانت الحركات الإسلامية شريكة الولايات المتحدة في مواجهة الاحتلال السوفياتي، ما كان موقف الإخوان المسلمين من جهود عبد الله عزام؟ لماذا شجّعوا الجهاد في أفغانستان وهناك قضية مركزية في فلسطين؟**

جواب: انتقال الشهيد عبد الله عزام من الأردن إلى أفغانستان لم يكن قراراً تنظيمياً من الحركة التي ينتمي إليها، وإنّما هو نوع من الاجتهاد اعتبر فيه أنَّ المحضن الأفغاني يُمكن أن يشكّل قاعدة جهادية تستفيد منها الحركة في كل مكان حتى في فلسطين، وإذا لم يخرج المسلمون إلى هذا المحضن كموقع تدريبي لا يمكن أن ينجحوا في إعلان الجهاد في يوم من الأيام، فاعتبر أنَّ هذه المرحلة إعدادية، وقد كتب هذا في كثير من كتبه، ولم تُشاركه الحركة في أفكاره مائة بالمائة.

لقد حضرتُ الكثير من اللقاءات والنقاشات معه، وكان يُقال له: «أنت تركت الأقرب إلى الأبعد، وتركت الموقع الذي نعتبر فيه أنَّ القضية الفلسطينية قضية مركزية، وهي قطعة من بلاد الشام كلها، والمشروع الإسرائيلي إذا نُفذ عبر إسرائيل الكبرى فقد التهم العالم الإسلامي، ولم يعد هناك أفغانستان ولا غيرها. إنَّ العمل المركزي يجب أن يكون هنا». أكرر هذا الكلام لأقول نحن لم نكن نُجاريه في كل

ما يفعل دون أن نرسم علامة استفهام على تحركه. الرجل من الأفاضل، وإن شاء الله يُكتب شهيداً عند الله (عزّ وجلّ)، إنّما الحركة لم تكن موافقة على ما كان يقوم به، بل قدمت له الكثير من النصائح. وهو كانت له قناعة في أن يبدأ الجهاد والإعداد من هناك، وهذا هو قراره بالنتيجة، ولو كان القرار بيد الحركة لأوفدت قياداتها، أو انتقلت هي إلى هناك.

■ **سؤال: خلال فترة الاحتلال الإسرائيلي للبنان عام 1982م لم تكن الجماعة الإسلامية تحبّذ المواجهة العسكرية، إنما قرار المواجهة كان فردياً ثم عادت الجماعة إلى هذا الخيار، كيف تُفسّر ذلك؟**

الجواب: مجموعات المقاومة لم تتحرك إلا بعد قرار الجماعة التاريخي نهائياً. أي فريق وعلى رأسه الأخ الشهيد جمال حبال (رحمه الله) وإخوته لم يتحركوا إلا عندما اتخذ القرار بإنجاز العمل بشكل تنظيمي ومربوط بقيادة الجماعة بشكل مباشر، وقد أدى هذا الفصيل دوره حتى أتى أُكله ودفع بالعدو الصهيوني إلى الانسحاب من الجنوب إلى الشريط الحدودي المحتل.

وطبعاً تراجع العمل الدعوي بشكل عام في لبنان ، بسبب ما تشهده الساحة اللبنانية من تعدديات حركية، ومن انقسامات ونزاعات بين التنظيمات والجماعات الاسلامية، مما أهدر الطاقات وأضاع الأوقات .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أنَّ اقتحام الحركة الاسلامية للميدان السياسي، والنيابي منه بشكل خاص، أسهم الى حدٍّ كبير في إذكاء هذه الصراعات، وأشغل الجميع بالسياسة والنيابة عن الدعوة، فانحسر نشاطها وتراجع دورها في كل القطاعات، وبخاصة القطاع النسائي.

وفي ما يتعلق بالإخفاقات التي مُني بها الإسلاميون في الانتخابات النيابية، فلديّ وجهة نظر كنت بينتها وكتبت عنها مراراً، وإليك ما جاء في أحدها، وكان بعنوان:

«مشكلة غلبة الهمّ السياسي على الهمّ الدّعوي».

أذكر أنني دُعيتُ للمشاركة في معالجة مشكلة عنوانها «غلبة الهم السياسي على الهم الدعوي» وذلك في بلد عربي خاضت الحركة الإسلامية فيه غمار السياسة، واحتلت عدداً من المقاعد في المجلس النيابي. ولم تكد هذه الحركة تصل إلى البرلمان حتى تعالت أصوات من داخلها، ومن قلب قواعدها مندّدة مستنكرة، بعضها يُنادي بوقف العمل السياسي والانسحاب من الميدان البرلماني، والبعض الآخر يُطالب بتحقيق التوازن بين الهم السياسي والهم الدعوي، وهكذا.

فكّرت ملياً في هذه القضية، في ضوء مفاهيمنا الشرعية للسياسة، كما في ضوء تصوراتنا الحركية لها، وخرجت بالنتيجة إلى ثابتة شرعية وحركية تؤكد أن لا تناقض في الأساس بين السياسة وبين الدعوة.

ولقد تأكد لي أنَّ الأسباب التي أحدثت هذه الإشكالية تعود إلى الخطأ في ممارسة السياسة وليس إلى السياسة بذاتها. وقد تكون بسبب اقتحام الحياة السياسية قبل الأوان، وقد تكون بسبب سوء اختيار الشخص المناسب للمكان المناسب، وقد تكون بسبب عدم متابعة الجماعة لمن اختارتهم، وعدم قيامها بواجب دعمهم وإسنادهم، وتأمين المتطلبات اللازمة لهم، وقد تكون بسبب عدم وجود مشروع سياسي واضح للعمل النيابي، وعدم تبيان الضوابط الشرعية الواجب التزامها من قبلهم، إلى غير ذلك من أسباب.

فالسياسة، رعاية شُؤون الأمة من كل جوانبها وعلى كل صعيد، وهي مركب من مراكب الدعوة إن سُخّرت لذلك، وهي منبر متقدم وفاعل من منابرها إن وظّفت توظيفاً صحيحاً.

إنَّ الإعلام والسياسة الإعلامية، هي من صُلب عمل السياسيين والبرلمانيين والوزراء، وهي مدخل من مداخل الدعوة لا يُضاهى. والقيام بمهمة تسديد السياسات الإعلامية، وتنظيف وترشيد البرامج من كُبرى المهمات التي تدفع المفاسد وتجلب المنافع.

ثم إنَّ السياسات التربوية والتعليمية التي تعتمد في بناء الأجيال، هي من صُلب مسؤولية السياسيين والنواب، وهي من أوسع الأبواب والمسالك التي يمكن أن يُستفاد منها في إصلاح المناهج وبناء الأبناء على القيم والفضائل والأخلاق. وهل هذا يتناقض مع أهداف الحركة الإسلامية؟

إنَّ مجرد التصوّر بوجود تناقض بين السياسة والدعوة هو رأي علماني غير منظور، وليست ببعيدة من حيث الأساس والنتيجة عن مقولة «فصل الدين عن الدولة».

إنَّ السلف الصالح، كانوا دعاة في مواقفهم المختلفة، فهم في القضاء، وأجهزة الدولة، وبيت مال المسلمين، والتجارة، والجهاد، والمساجد، والمدارس وغيرها يُمارسون دورهم الدعوي الذي لا ينفصل عن أي دور آخر أو يتعطل بسببه.

إنَّه ليس في الإسلام طبقة خاصة لذلك، كما هو الحال في الإكليروس لدى النصارى. فالمشكلة إذاً ليست في السياسة بل في الذين يُمارسونها، بعيداً عن الضوابط الشرعية المقررة، والمصالح الإسلامية

المعتبرة، فيُجهضون بذلك الدور الدعوي في العمل السياسي، ويقدمون للناس نماذج مشوّهة عن الإسلام.

فالمواقع السياسية ليست مطلوبة لذاتها، ومكاسبها وأضواءها، وما يُمكن أن تسخّره من مصالح مادية ومعنوية لأصحابها. ولا يجوز أن تُمارَس بدون ضوابط شرعية ولا تميز ولا خصوصية. وأن تصبح مصدر خلاف ونزاع بين اللاهثين وراءها من أبناء الصف الواحد، أو تتحول إلى غاية لا وسيلة، وتنقلب نقمة لا نعمة.

ونتيجة لذلك، بات العمل السياسي نفسه سبّة لدى فريق كبير من العاملين، من غير تفريق بين المبدأ والممارسة. وبات يُحكم عليه من هذا الجانب وهذه الزاوية، وهذا خطأ كبير وشر مستطير؟ لأنه مدخل شيطاني يشطر الصف الواحد إلى شطرين، ويجعل الجبهة جبهتين، مع كل ما ينشأ عن ذلك ويترتب عليه من علل ومفاسد وأخطار.

فالمشكلة إذاً في السياسيين لا في السياسة، وفي إصلاحهم لا في إلغائها، ومثيل ذلك يُمكن أن يقع في التربية والدعوة حين يُسيء المربون والدعاة ولا يحسنون، وحين يهدمون ولا يبنون، بل إنَّ الخطأ التربوي والدعوي قد يكون أخطر بكثير من الخطأ السياسي، ومن خطورته أنه بعيد عن الأضواء والأنظار وقد لا يُكشف إلا بعد أن يكون قد أتى على البناء كله.

والعلاج الصحيح والدواء الناجع إنّما يكون بالعودة إلى الأصول والثوابت والمبادئ، والنزول عند الأحكام الشرعية وقواعد هذا الدين، في نطاق التربية والدعوة كما في نطاق السياسة.

إنَّ وسائل العصر المختلفة ـ والتي يقع جُلها إن لم يكن كلها، في

أيدي المؤسسات الرسمية التشريعية والتنفيذية ـ لتفرض على الساحة الإسلامية العمل والتحضير والتخطيط للإمساك بهذا الجانب وتسخيره في إعزاز دين الله وإعزاز شرعه، وهذا من صُلب العمل الدعوي الفاعل، وصدق القائل: «إنَّ الله يزع بالسطان ما لا يزع بالقرآن».

المجالس النيابية مواقع اختصاص :

ولما كانت كل تلك المواقع مواقع اختصاص، فإنه يتعين على الساحة الإسلامية أن تختار لها أكفّاءها، والجديرين بها، والقادرين على النجاح في مهمتهم تلك، وفق المواصفات القرآنية التي وردت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾[1].

فمن يصلح للعمل التعليمي والتربوي قد لا يكون صالحاً للعمل النقابي أو البلدي، ومن يصلح للجانب التجاري والصناعي، قد لا يصلح للجانب النيابي، ومن يصلح للتشريع قد لا يصلح للتنفيذ. فلا بد من وضع الأمور في مواضعها حتى لا يختل كل شيء.

المواقع تكليف لا تشريف، وهذه المواقع هي مواقع مسؤولية وتكليف، والفائزون بها يجب أن يكونوا مُؤتمنين على تأدية دورهم على أكمل وجه خدمة للمشروع الإسلامي، وليكونوا أنموذجاً عملياً لمبادئ الإسلام، وترجمة للخطاب الإسلامي.

ولا يجوز بحال أن تُصبح هذه المواقع محلَّ تطلع الأشخاص، وأهدافاً يسعى إليها البعض لتحقيق أغراضهم وخدمة مصالحهم باسم الإسلام أو على حساب المشروع الإسلامي.

---

(1) سورة القصص: الآية 26.

وحين يحدث هذا تكون الخسارة فادحة:

فهي من جانب، تفتح باباً لا يُغلق للاهثين وراء المكاسب الدنيوية وما أكثرهم إذ النفس أمارة بالسوء، فتتحول الوسائل إلى غايات، ويصبح الصراع على بلوغها متصدراً كل الحسابات والخطوات.

وهي من جانب آخر، تتسبّب بإفراغ هذه المواقع من مضمونها وفاعليتها الإسلامية العامة والتنظيمية.

طالب الولاية لا يُولَّى:

هذه القاعدة النبوية من شأنها لو أمكن الالتزام والتقيد بها أن تحول دون تسلق البعض جدار الدعوة والإسلام، وباسم الإسلام لتحقيق الأغراض والمصالح الشخصية. التزاماً بالنهج النبوي الحاسم الذي أشار إليه رسول الله (ص) بقوله: «إنا والله لا نُولِّي هذا العمل أحداً سأله، أو أحداً حرص عليه»، فطالب الولاية يجب أن لا يُولّى.

إنَّ الموصولة أفئدتهم والمتطلعة قلوبهم إلى خدمة هذا الدين، والبذل له دون الأخذ منه، وخدمته دون استخدامه، يتهيبون عادة من مواقع المسؤولية ويهربون منها مع جدارتهم بها، مصداقاً لقوله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1].

إنَّ هؤلاء يجب أن يُحملوا حملاً، ويُدفَعوا دفعاً لتولي تلك المواقع، لأنهم قطعاً لن يخونوا الله والرسول والذين آمنوا.

---

(1) سورة الأحزاب: الآية 72.

إنَّ هؤلاء يجب أن يطلبوها، فضلاً عن أن يتسابقوا إليها، لأنهم يدركون أنّها أمانة وأنها يوم القيامة خزيٌ وندامة، وإلى صميم هذا المعنى كانت إشارة رسول الله (ص) في ما رواه أبو ذر (رض) قال: قلت يا رسول الله: ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبي ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحق وأدى الذي عليه فيها» (رواه مسلم).

إنَّ التهيّب من الإمارة هو موجب الترشيح للإمارة، وهو الذي جعل الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول: «ليت أم عمر لم تلد عمر»، ويقول: «ليتني كنت نَسياً مَنْسياً».

وصدق رسول الله (ص) حيث يقول: «إنَّ الله سائل كل راع عما استرعاه حفظه أم ضيّعه».

يجب أن يكون معلوماً أنَّ من طَلَبَ الإمارة وُكِّل إليها، ومن زهد فيها أُعين عليها، وصدق الذي لا ينطق عن الهوى حيث يقول: «إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة» (رواه البخاري).

لو أنَّ الأخ المناسب احتل المكان المناسب لحلّ الكثير من المشكلات، ولأدى كلٌّ دوره بنجاح واتقان، ولدبّت الحياة في مواقع الدعوة كلها.

إنَّ من مشكلاتنا الكبرى أن تمسك مجموعة من الإخوة بمفاصل العمل، وتقوم باسناد المهام لمن تراه مناسباً من غير معايير أو مواصفات، وبدون سابق تأهيل وتدريب، إما لعدم قناعة هؤلاء بجدوى التأهيل المسبق، أو تبعاً لحسابات خاصة.

إنَّ عدم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب مدعاة للفشل والإحباط والخسارة، مصداقاً لقوله (ص) «إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة».

يبدأ التجديد الذي أشرت إليه من الساعة التي يكون فيها صاحب القرار مُحباً للتجديد مُدركاً لقيمته مُشجعاً له وحافزاً عليه. وإنَّ إصلاح القاعدة يبدأ بالإصلاح القيادي، وهو مناط قوله (ص): «صنفان من أمتي إذا صلُحا صلُح الناس، وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والامراء».

إنَّ الذين لم يأخذوا حظهم من قواعد التنظيم وأصول التطوير لا يُتنظر منهم تحقيق ذلك، لأن فاقد الشيء لا يُعطيه.

إنَّ القيادة تلعب دوراً كبيراً وأساسياً في عملية تحضير قيادات جديدة وضخ دماء جديدة إن هي أرادت ذلك. وتبدأ الخُطوة هذه من خلال حرص القيادة على النوع لا الكم، وعلى الاهتمام بأهل الجدارة وإن أدى إلى أن يحلّوا محلها، ولنا في رسول الله (ص) أسوة حسنة، حين كان يدعو الله في مكة ويقول: «اللهم أعز الاسلام بأحد العُمرين»، والإثنان من أهل الجدارة وأصحاب الكفاءة، وانضمامهما إلى مسيرة الاسلام من شأنه أن يقويها ويدعمها وينصرها.

لدينا تقصير كبير قد يصل إلى درجة المأساة في ما يتعلق بالاستفادة من العلوم المختلفة كعلم الإدارة، والمشكلة لا تكمن في أن الحركة فقيرة في هذا الجانب؛ لأنها تضم الكثير من أهل الكفاءات وأصحاب الشهادات العليا في هذا الاختصاص، وإن بدأ هذا الأمر يتراجع وأصحاب الكفاءات يختفون عن مسرح الدعوة . إنما تكمن المشكلة فيمن لا يقدّرون هذا الجانب، وبالتالي فهم يعملون على

تهميش أهل الاختصاص، ولا يُسندون لهم دوراً أو يُكلفونهم بمهمة، إلى أن يفرغ صبر هؤلاء ويُولون الدبر مفتشين عن مجال آخر يعملون فيه، ويُمكن أن يخسروا أنفسهم فضلاً عن خسارة الحركة لهم.

حاجتنا إلى فرسان ليل لا تحتاج إلى ظنٍّ مِنِّي أو من سواي، ففروسية الليل هي مصنع فرسان النهار ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾[1].

وحركتنا ودعوتنا تأسست على ذلك، ونمت بذلك، وقامت وامتدت بفضل ذلك ـ فقيام الليل هو المنهج التدريبي الذي يصقل النفوس ويهذبها، ويملأ القلوب ويشحنها، ويشدّ العزائم ويحفزها ـ وهو قبل أي منهج تدريبي آخر ولا بديل عنه بغيره أبداً.

أقول بصراحة إنَّ معظم أمراضنا النفسية، وانحرافاتنا الأخلاقية، وتداعياتنا الحركية ومشكلاتنا الداخلية، وتنافر علاقاتنا الأخوية، إنَّما يعود إلى تعطل هذا المحضن، وبخاصة وأن هذا الزمن يشهد استهلاكاً إيمانياً مريعاً عبر تحديات برامج الفضائيات، ومواقع الإنترنت، مما يفرض إحياء (ناشئة الليل) لتمدَّ نفوسنا بمزيد من الإنتاج الإيماني والطاقات العُلوية. وإلا فالإفلاس وخسارة النفس والدين والعياذ بالله تعالى. أرجو أن نكون جميعاً من المعنيين بقوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[2] وقوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[3].

حالة التململ التي ذكرت هي نتيجة عوامل متعددة وليست نتيجة

---

(1) سورة المزمل: الآية 6.

(2) سورة الذاريات: الآية 171.

(3) سورة السجدة: الآية 16.

عامل واحد، ولا شك أنَّ الشكل التنظيمي والهيكلية الإدارية وطرائق عملها وأساليب تشكليها، وحدود صلاحياتها تلعب دوراً كبيراً في ما آلت إليه الأوضاع الحركية.

والمطلوب اليوم إعادة النظر في كل شيء، في ضوء الثوابت الأصلية التي قامت الحركة على أساسها، ثم في ضوء الظروف والمستويات والتحديات التي تُواجه الإسلام والمسلمين والإسلاميين في كل مكان، وإنَّ الله لهادٍ الذين آمنوا إلى صراط مستقيم.

إنّي أعوذ بالله تعالى من أن أزكي نفسي ، فإن كان ثمة نجاح فبتوفيق الله تعالى ، وإن كان غير ذلك فمن شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

كان العمل الاسلامي في لبنان حتى العام 1992م على قدر ملحوظ من النجاح ، يشهد به القاصي والداني ، والحمد لله رب العالمين.

والذي حصل عام 1992م هو فوز عدد من مُرشحي الحركة الاسلامية في الانتخابات النيابية، وكُنت واحداً منهم من غير رغبة مني في خوض الانتخابات النيابية أساساً. كان ظاهر الأمر انتصاراً سياسياً، وكان يُمكن أن يتحول الى انتصار حقيقي للحركة، وإلى تفعيل لدورها الدعوي والإصلاحي على الساحة اللبنانية، إنَّما الذي حصل كان خلاف ذلك تماماً:

لم تكن الممارسة النيابية بالمستوى المطلوب، ولم يكن لها من رعاية واحتضان وترشيد. وقد سجّلت تلك المرحلة تراجعاً في الأداء التربوي والدعوي وتعاظماً للهمّ السياسي. وانقسمت القواعد حيال ذلك بين كافر بالمشاركة النيابية، وبين مُبارك ومُؤيد لها، وبين طامع في أن

يناله نصيب منها! ومن هنا أخذت التداعيات بالظهور والنمو في مختلف الجوانب.

إن كنت تقصد بالوضع الحالي في لبنان الوضع العام، فهو غير مُريح لأحد من اللبنانيين، ولا تزال الأرضية اللبنانية مزروعة بالألغام القابلة للإنفجار في أية لحظة.

الوضع الاجتماعي إلى مزيد من التفلت الأخلاقي والقيمي، والوضع الاقتصادي يكاد يسحق معظم الطبقات الشعبية، ويصل بلبنان إلى شفير الإفلاس.

الوضع السياسي يُشبه إلى حدٍّ كبير ما كان عليه قبيل الحرب اللبنانية.

ظاهرة العولمة تكاد تطغى على كل جانب من الحياة اللبنانية، وفي مقدمتها بدعة الخصخصة.

أما إنْ كان القصد من السؤال الساحة الإسلامية، فلا أخال الوضع مُرضياً بالرّغم من تعدد التنظيمات وكثرة النشاطات، إضافة إلى تكاثر المؤسسات الإسلامية التربوية والخيرية والإعلامية وغيرها. أنا أطمع بقيام تعاون كامل بين التنظيمات الإسلامية، كما أطمع بمستوى من الإتقان أفضل في مجالات العمل الاسلامي المختلفة. وكل ذلك يحتاج إلى تجديد وتطوير، ولست مبالغاً إذا قُلت: إنَّ تقدم العمل الإسلامي في لبنان ينعكس تقدماً له في كل مكان بإذن الله تعالى، وهنالك اليوم الكثير من المساعي والمبادرات الإيجابية التي تصب في هذا الاتجاه.

■ سؤال: كثر الكلام في الآونة الأخيرة عن المشروع الإسلامي، أين أصبح وهل هو موجود أم غير موجود، وهل هو متكافئ مع مُستجدات العصر ومُتغيرات الظروف أم لا؟ وهل هو قطري أم عالمي، وهل هو فئوي أم أنه عام يشمل الساحة الإسلامية كله؟

وهل هناك اختلاف في تحديد معناه وتبيان المراد منه كذلك؟

الجواب: سأحاول هنا أن أعرض لهذه النقاط والتساؤلات المتعلقة بالمشروع الإسلامي بإيجاز لا يعوزه الوضوح بعون الله تعالى.

ماذا نعني بالمشروع الاسلامي؟

المشروع الإسلامي يعني: النظرية التي تبين مقاصد الإسلام ومنهجه في الحياة، والخطة التي يتحقق من خلالها التغيير الإسلامي، مضافاً اليها المنهجية المعتمدة في عملية التغيير، إلى جانب الآلية المطلوبة لتحقيق كل ذلك.

من هنا كان لا بد لصياغة المشروع الإسلامي من وجود العناصر التالية:

* تبيان مقاصد الإسلام ومنهجه في الحياة.
* تبيان خصائص المشروع الإسلامي.
* تبيان المنهجية المعتمدة لإحداث التغيير الإسلامي.
* تبيان العقبات التي تواجه المشروع الإسلامي.
* تبيان خطة وآلية التغيير الإسلامي.

وفي هذه الدراسة سأتناول بعون الله تعالى كل نقطة من هذه النقاط، لتكتمل في النهاية وتتضح معالم المشروع الإسلامي الذي نريد.

[1] النظريـة :

بحسب سُلم الأولويات، لا بد من البدء بالنظرية التي يقوم عليها المشروع الإسلامي، قبل الخوض بالمفردات والتفاصيل الأخرى.

فالنظرية هي بمثابة فلسفة المشروع ، أوالمحتوى العقائدي [الأيديولوجي] للمشروع، والضابط لجوانبه الأخرى. ومن الخطورة بمكان تناول الجوانب الأخرى ـ كالمنهجية والخطة والوسائل والآلية ـ قبل الفروغ من تحديد النظرية .

إنَّ نظرية المشروع الإسلامي هي خلاصة تصور الإسلام للكون والإنسان والحياة. وتقوم هذه النظرية على عقيدة الإيمان بالله تعالى، والإيمان بكتبه ورسله، وأفراده سبحانه وتعالى في الربوبية والعبودية والحاكمية، كما تقوم على عقيدة الإيمان بالبعث وقانون الثواب والعقاب. .

ففي الجانب العبادي تهدف [النظرية] إلى عبادة الناس لله تعالى في شُؤون دنياهم وأُخراهم. وأنه لا انفصال أو انفصام بين الدين والدنيا، كما هو شأن الفلسفة العلمانية، ومقولة فصل الدين عن الدولة مرفوضة ومردودة في الإسلام، حيث أنه دين ودولة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾(1) .

وفي الجانب التشريعي توجب [النظرية] الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية والتزام قضائها وأحكامها مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ

(1) سورة الأنعام: الآيتان 162 ـ 163.

وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1]. والشريعة الإسلامية فيها من خصائص الشمول والتجديد والسعة والعالمية والمرونة ما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان .

وفي الجانب السلوكي تُحتّم [النظرية] سلوك طريق الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجذير مكارم الأخلاق في حياة الفرد والأسرة والمجتمع والدولة؛ وهي ترفض [الميكيافيلية] التي تقوم على تبرير الوسيلة ولو كانت ذميمة طالما أنها لغاية كريمة. فالإسلام يحرص على طهارة الوسيلة حرصه على طهارة الغاية؟ وقاعدة الإسلام في ذلك «أنَّ الله لم يجعل شفاءنا في ما حرّم علينا، كما لم يجعل استقامتنا في ما نهانا عنه».

وزُبدة القول في النَّظرية التي يقوم عليها المشروع الإسلامي أنها مُحكمة المبادئ، وسطية الخُطى، ثابتة المعايير، مُتوازنة المقادير ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

[2] الخصائص:

ينفرد المشروع الإسلامي بخصائص لا شبيه لها ولا مثيل بين سائر المشاريع الأخرى؛ وسر هذه العظمة في المشروع الاسلامي أنه أحد تجليات الإسلام ـ ذلك الدِّين القيم ـ الذي ارتضاه الله تعالى للناس كافة وللبشرية جمعاء على اختلاف الأزمنة والأمكنة. فهو الملائم لاحتياجات الفطرة ومتطلبات الخلقة التي فطر الله الناس عليها: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[3].

---

(1) سورة الأحزاب: الآية 36.

(2) سورة الروم: الآية 30.

(3) سورة الملك: الآية 16.

إنَّ خصائص المشروع الإسلامي جعلته وتجعله دائم التجدد والتألق، لا يعتريه القدم، ولا تنال منه الفتن والمحن، بل إنَّ التحديات تزيده قوة ومضاء.

وحسبي في هذه العجالة أن أستعرض بعض هذه الخصائص التي تُؤهله لقيادة ركب البشرية، وزعامة نظام عالمي تسوده العدالة والمساواة والحرية.

ربانية المشروع الإسلامي:

المشروع الإسلامي مشروع رباني لم يُخالطه إسفاف بشري أو انحراف وضعي. وما الشقاء الذي تعيشه البشرية اليوم، والتخبط الذي تعاني منه المجتمعات والدول والأمم على امتداد العالم، إلا نتيجة قوامة المشاريع والنُّظم والقوانين الوضعية القاصرة عن تحقيق السعادة والاستقرار والأمان للإنسان، وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[1] أي من أعرض عن منهج الله الذي ارتضى لعباده فلن ينعم بالهناء بل ستكون حياته شقاء في شقاء.

عالمية المشروع الاسلامي:

والمشروع الإسلامي مشروع عالمي، مع استيعابه للاعتبارات والخصوصيات القُطرية والاقليمية، وقدرته على تقديم الحلول المناسبة لها، وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[2].

---

(1) سورة طه: الآية 124.

(2) سورة سبأ: الآية 28.

فإذا كان الإسلام قد كرّس عالمية الدعوة والخطاب والتشريع يوم لم تكن في العالم وسائل اتصال وأدوات انتقال، فكيف بهذا العصر الذي يشهد ثورة غير محدودة في عالم الإنترنت والفضائيات، حيث باتت المعلومة تعم الدنيا كلها بلمح البصر!

وإذا كانت العولمة تعمل على تطويع العالم وتطبيعه قسراً، فإنَّ من حق المسلمين أن يلتقوا على مشروع عالمي لا إكراه فيه لأحد على اعتناقه واعتماده لأنه ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾[1].

إنسانية المشروع الاسلامي:

والمشروع الإسلامي مشروع إنساني لا مكان فيه لتعصب وعصبية، فإنسانيته فوق كل الاعتبارات الطائفية والمذهبية والقبلية والقومية، وصدق رسول الله (ص) حيث يقول: «أيها الناس، إنّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعاظمها بالآباء، كلكم لآدم وآدم من تراب» وفي موضع أخر يقول (ص): «ليس منّا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية، دعوها فإنها منتنة».

بل إنَّ إنسانية المشروع الإسلامي بلغت شأناً لا يُرقى إليه حين ساوت في العطاء الرعائي بين عموم الناس، على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وإثنياتهم، من خلال قوله (ص): «الخلق كلهم عيال الله، أحبهم إليه أنفعهم لعياله». وحين سجل الخطاب القرآني سبقاً في الانفتاح على الآخر، تعارفاً وحواراً وتعاوناً، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

---

(1) سورة البقرة: الآية 256.

﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

مرونة المشروع الاسلامي:

ومرونة المشروع الإسلامي تمنحه القدرة على استيعاب مشاكل الحياة المتجددة والمتنوعة. فهي فتحت باب الاجتهاد لاستنباط الأحكام الشرعية في ما لا نص فيه، وفق قواعد القياس والمصالح المرسلة والاستحسان وغيرها.

إنه بسبب هذه المرونة في التشريع الإسلامي، شكلت حركة الفقه والفتوى ـ على مدار التاريخ ـ مخزوناً غير مسبوق، وتراثاً قلَّ نظيره في العالم؛ حيث بات لكل قضية كبيرة ومفردة صغيرة دراسات مؤصلة ومفصلة.

شمولية المشروع الاسلامي:

وإذا كانت مشاريع الآخرين ـ ليبرالية كانت أم راديكالية ـ قد استهلكها النظر والاهتمام في جانب أو جانبين من جوانب حياة الإنسان، كالجانب الاقتصادي على سبيل المثال، فإنَّ المشروع الإسلامي يقوم على سدّ متطلبات الحياة الإنسانية كلها وبدون استثناء، ولكن وفق السُّنن المعتبرة والفقهيات المقدرة، كفقه الواقع، وفقه الأولويات، وفقه الموازنات، وفقه المصالح، وغيرها من الضوابط التي لا تستقيم الحياة وترشد بدونها، يقول تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾[2].

---

(1) سورة الحجرات: الآية 13.

(2) سورة البقرة: الآية 138.

[3] المنهجية:

لا بد للمشروع الإسلامي من منهجية يختارها ويعتمدها لتحقيق غاياته وبلوغ أهدافه، خصوصاً وأنَّ ساحة العمل الإسلامي تغص بالكثير من المنهجيات التي يتوالد بعضها من بعض، ويتناقض بعضها مع بعض، ويختلف بعضها عن بعض.

منهجيات شتَّى:

فمن منهجية تعطل الأخذ بالأسباب، وتنتظر الخوارق والمعجزات، كظهور المهدي(عج)، أو نزول عيسى (ع).

إلى منهجية تعكف على جانب من جوانب المنهج الإسلامي لا تكاد ترى سواه، كالجانب التربوي والروحي على سبيل المثال.

إلى منهجية مشدودة باتجاه القوة العسكرية لا ترى من دونها ما تحتسبه وتهتم به وتفكر فيه؟

إلى منهجية مُستغرقة بالفكر مهووسة به، تظن أنه السبيل الوحيد للتغير الإسلامي.

إلى منهجية مُهتمّة بالسياسة مُولعة بها، ويُمكن أن تمارسها بعيداً عن أية ضوابط شرعية.

يُضاف إلى ذلك ظهور مدارس على أعلى درجات من التخلف الفكري، وأخرى على أشد حالات التطرف الحركي.

في ضوء هذا الخليط الهائل من المنهجيات، يتعين وضع منهجية للمشروع الإسلامي، مُستمدة من معالم وقسمات المنهجية النبوية الأولى، ومستندة إلى مبادئ الإسلام وقواعد الشرع وأحكام الشريعة.

إنَّني لا أبالغ حين أقول بأنَّ العمل الإسلامي يجري في كثير من الأحيان وفق الأمزجة، وفي أحسن حال، وفق ما لدى العاملين من ملكات فكرية وفقهية، قد تكون كلها بعيدة عن الضوابط الشرعية، ومن هنا يبدأ التعثر والإخفاق والفشل.

المنهجية الأمثل:

وبين يدي دراستنا وتقويمنا، وبالتالي توصيفنا لمنهجية المشروع الإسلامي، واختيارنا الاستنسابي للأمثل والأكمل من كل تلكم المنهجيات، وجب وضع قواعد ومعايير يكون الاحتكام إليها والنزول عندها باديء ذي بدء. من ذلك على سبيل المثال:

* الاحتكام إلى السُّنن الإلهية في كل مجالات العمل، كسُنة التغيير في عملية الإصلاح، والمحددة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾[1].

* الاحتكام إلى سُنة التدافع في عملية الصراع مع أهل الباطل وأعداء الإسلام، والمبينة في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

* الاحتكام إلى سُنة التمكين في بلوغ مواقع الحُكم والقرار والإمساك بالسلطات، والمبينة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ

---

(1) سورة الرعد: الآية 11.

(2) سورة الحج: الآية 40.

﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[1] وكذلك في قوله عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾[2].

* الاحتكام إلى الفقهيات الشرعية في كل حركة التكوين والتبليغ والتنفيذ، كفقه الواقع، وفقه الأولويات، وفقه الموازنات وفقه الدعوة، وفقه الحسبة، وفقه الخطاب، وغيرها. . .

ومن خلال كل هذه الاعتبارات ستتشكل لدينا وبصورة تلقائية وطبيعية الملامح الأساسية لمنهجية المشروع الإسلامي.

[4] المحاور الأساسية:

للمشروع الإسلامي محاور أساسية لا بد من تحديدها واستعراضها، لما تشكله من أهمية في مسارات العمل وسياساته ومراحله فضلاً عن مستقبله ومصيره؛ والمطلوب من المشروع الإسلامي أن يحسم الموقف من هذه المحار لأنها تشكل بؤرة جدل وخلاف بين العاملين في الحقل الإسلامي.

وسنتناول هنا وباختصار شديد أ برز هذه المحاور:

المشروع الإسلامي والحكم: إنَّ من الأهداف الرئيسية للمشروع الإسلامي إقامة حُكم الله في الأرض، واستئناف الحياة الإسلامية، من خلال تطبيق شرع الله.

---

(1) سورة الحج: الآية 41.
(2) سورة النور: الآية 55.

فالإسلام يعتبر أنَّ التشريع حق الله وحده، ولا يقبل أن تكون الحاكمية لغير الله، في أي شأن من شؤون الحياة، تنفيذاً لأمره تعالى في العديد من الآيات القرآنية.

والمشروع الإسلامي يعتبر السعي لإقامة الحُكم الإسلامي فرض عين، لا يسقط إلا بإقامته، لما يترتب على ذلك من تعطيل لشرع الله، ورضوخ حتمي للقوانين الوضعية وللحكم بغير ما أنزل الله، وهو كفران مبين تؤكده الآيات الكريمة: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ وفي آية أخرى: ﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ وفي أخرى ﴿ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[1].

لقد كانت المؤامرة الكبرى على الأمة الإسلامية في القرن الماضي، عندما تمكن الأعداء من إسقاط الخلافة العثمانية وإلغائها، والتي كانت السبب الرئيس لكل التداعيات التي شهدها المسلمون منذ ذلك الحين وحتى اليوم، منها: نشوء الكيان الصهيوني في فلسطين، واحتلال البلاد الإسلامية وتمزق العالم الإسلامي إلى دويلات وفق معاهدة (سايكس بيكو)، والاحتكام إلى القوانين الوضعية وتعطل فريضة الجهاد في سبيل الله، إلى ما لا نهاية له من انتكاسات على كل صعيد.

المشروع الإسلامي والوحدة:

إنَّ من أولويات أهداف المشروع الإسلامي إقامة الوحدة بين الإسلاميين فضلا عن عموم المسلمين. فالذين يتذرعون من العلماء بالآية الكريمة: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ

(1) سورة المائدة: الآيات 44 ـ 45 ـ 47.

﴿وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾[1] متجاوزين الاستثناء البيّن في الآية المذكورة. إنّ هؤلاء موكول أمرهم الى الله بما اجتهدوا فيه ووصلوا إليه، ولكن موقفهم هذا لا يلزم المشروع الإسلامي في شيء.

إنَّ وحدة العمل الإسلامي، كما وحدة المسلمين، مبدأ من مبادئ الإسلام وفريضة شرعية لا يجوز تجاوزها والإقلال من شأنها وأهميتها، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة المتعددة تقطع بفرضية هذه الوحدة.

ثم إنَّ ضراوة التحدي والحرب المعلنة على الإسلام والمسلمين، والتي تقوم بها أحلاف وجبهات عالمية، على مستوى القارات الخمس، وخاصة بعد الحادي عشر من أيلول تُحتم قيام تلكم الوحدة.

يُضاف إلى كل ذلك، أنَّ الدور الكبير المُكلف به المسلمون، يحتم الخروج من الدوائر الفئوية والمحلية والقطرية إلى رحاب وحدة متماسكة مُتراصة، تذوب فيها الأنانيات، وتنعدم فيها التعدديات، وتختفي الصراعات، وينزل فيها الجميع عند أمر الله وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾[2] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ * وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[3].

والمشروع الإسلامي يجب أن يلحظ الوحدة في دائرتيها الاثنتين:

---

(1) سورة هود: الآيتان 118 ـ 119.

(2) سورة الأنفال: الآية 15.

(3) سورة الأنفال: الآيتان 45 ـ 46.

العربية والإسلامية، حيث لاتناقض بينها ولا تضاد، ما دام الإسلام يُشكل المضمون العقائدي لكليهما، أما فشل التجارب الوحدوية السابقة فإنما يعود إلى اختفاء العنصر الجامع والوشيجة الأساسية الموحدة والمتمثلة بالأخوة الإسلامية، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

المشروع الإسلامي والمرأة:

والمشروع الإسلامي يجب أن يلحظ دور المرأة في الأسرة والمجتمع والدولة والأمة وكل جوانب الحياة، وخاصة وأن هنالك خلافاً فقهياً بين الإسلاميين حول هذا الموضوع.

إنَّ من المفاهيم الشائعة في الساحة الإسلامية، أن التكاليف الشرعية المتعلقة بالقطاع العام، تلزم الرجل ولا تلزم المرأة، وخاصة تلك المتصلة ببناء الحياة ومعترك الصراع، بصرف النظر عن الخصوصيات الشرعية المتعلقة بكل منهما والتي لا يستطيع أن ينكرها أحد.

يجب أن يكون من المسلَّمات، أنَّ الإسلام يُخاطب المرأة كما يخاطب الرجل سواء بسواء، في كل ما يتصل بدورهما ومسؤوليتهما العامة، والآيات القرآنية في ذلك واضحة وجلية، من ذلك:

قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

---

(1) سورة الأنفال: الآية 63.

(2) سورة النحل: الآية 97.

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

ثم إنَّ الضوابط الشرعية التي تصون المجتمع تكاد تكون واحدة بالنسبة للرجل والمرأة، كغض البصر، وحفظ الفرج، وعدم جواز الخلوة، وغيرها.

ومن الأدلة العملية القاطعة في هذا النطاق، أنَّ المرأة في العهد النبوي الأول وعهود التابعين ومن تبعهم بإحسان، شاركت وأسهمت في الأعمال الدعوية والتربوية والإغاثية والتجارية والسياسية والجهادية والخيرية وغيرها. [راجع كتابنا نحو صحوة اسلامية في مستوى العصر].

المشروع الإسلامي وحقوق الإنسان:

والمشروع الإسلامي يقف عند حقوق الإنسان وقفة نوعية لا تماثلها وقفة [شرعة حقوق الانسان] أو أية شرعة أخرى؛ فالإسلام بين ابتداءً: الحقوق المتوجبة لكل إنسان، ثم حضَّ على حفظها وصيانتها، قبل أربعة عشر قرناً من قيام المنظمات الدولية؟

ففي دستور الله الخالد قوله تعالى في تكريم الإنسان وتمييزه عن سائر المخلوقات: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[2].

---

(1) سورة التوبة: الآية 71.

(2) سورة الإسراء: الآية 70.

إنَّ هذا التكريم الرباني يُشكل قاعدة لكل مفردة من مفردات التكريم الأخرى، وأرضية لكل قانون وشرعة من شأنهما حفظ كرامة الإنسان ابتداءً، ومن ثم ضمان حقوقه.

وفي سياق الموقف الإسلامي المُتميز من حقوق الانسان، يُطالعنا البيان التاريخي الخالد الذي أعلنه رسول الله (ص) في حجة الوداع، حيث قال: «إنَّ الله حرم عليكم دماءكم، وأعراضكم، وأموالكم» (رواه البخاري).

فحق الحرية مصون صيانة حقيقية لا وهمية، ابتداءً من حرية الإنسان في التفكير والاختيار والاعتقاد، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾[1] وقوله: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[2].

وتطالعنا من التطبيقات العملية الميدانية الصرخة المدوية التي أعلنها الفاروق عمر بن الخطاب: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا» وقيمة هذا الخطاب أنه صدر عن الخليفة، رأس السلطة وقمة الهرم.

وحق المساواة، من الحقوق المقدسة في الإسلام، لم يعرف التاريخ لها مثيلا من قبل، ولن يُعرف لها شبيهاً من بعد. إنها ليست كأكذوبة الشيوعية يوم أعلنت إلغاء الطبقات، ولا كأكذوبة المساواة الأميركية التي عرّى حقيقتها التمييز العنصري داخل المجتمع الاميركي وعلى امتداد العالم.

إنَّ المساواة في المشروع الإسلامي لها عُمق عقيدي وأصول

---

(1) سورة البقرة: الآية 256.

(2) سورة يونس: الآية 99.

شرعية، من هذه الأعماق والأصول قوله (ص): «يا أيها الناس، إنَّ ربكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى. . . إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم».

ومما حفل به المشروع الإسلامي من حقوق للإنسان، ويصعب حصره وإحصاؤه: حق التعبير، وحق النقد والاعتراض، وحق التملك، وحق عدالة الأجور، وحق التعليم، وحق الطبابة، وحق الجوار، وحق الدفاع عن النفس، وحق حيازة الضرورات الثلاث (الماء والكلأ والنار) كما ورد في الحديث النبوي، إلى ما لا نهاية.

المشروع الإسلامي والقضية الفلسطينية:

تُشكل القضية الفلسطينية بالنسبة للمشروع الإسلامي جوهر الصراع العقيدي بين الخير والشر، فيما تعتبر القضية المركزية الرئيسية للأمة الإسلامية في تصديها للأمة الملعونة.

وفلسطين يتجاذبها اليوم مشروعان إثنان لا ثالث لهما:

مشروع صهيوني عُنصري يهدف إلى تغيير هويتها، وفق المعادلة الهرتزلية التي تنص على (أنَّ فلسطين أرض بلا شعب، واليهود شعب بلا أرض) فهي بذلك حق لليهود دون غيرهم.

ومشروع إسلامي إنساني يهدف إلى تحريرها بالكامل من الاحتلال الصهيوني الغاشم، وإقامة حكم يعيش فيه الجميع بأمان وسلام، طوائفهم ومقدساتهم، على نحو ما عاشته الأرض المباركة ونعمت به، منذ الفتح الإسلامي على عهد الفاروق عمر بن الخطاب (رض)، وحتى الاحتلال الإسرائيلي المشؤوم لها.

والمشروع الإسلامي في ضوء ذلك، يرفض كل الحلول التي تكرس الاعتراف بالدولة العِبرية، أو بالتنازل عن أية مساحة من الأراضي الفلسطينية.

والمشروع الإسلامي يعتبر التطبيع استراتيجية اختراق صهيوني لكيان الأمة، ولمبادئها ومرتكزات وجودها، ومدخلا لتغيير شخصيتها وهويتها، وهو أخطر من كل الاتفاقات والمعاهدات الجانبية على خطورتها.

فالخطر الصهيوني من خلال التطبيع، يتجاوز كل المخاطر الأخرى، العسكرية والأمنية والاقتصادية، التي تُحيط بفلسطين وبالأمة الإسلامية في كل مكان. فهو الخطر الذي بمقدوره أن يدمر مُقومات وخصوصيات العالم الاسلامي، أفراداً ومجتمعات ومؤسسات من الداخل، ويُصيبها في الصميم.

[5] التعددية وغير المسلمين في المشروع الاسلامي:

من الشبهات والإشكالات التي تطرح في مواجهة المشروع الإسلامي قول البعض، أنَّ الإسلام لا يقبل التعددية، ولا يسمح للآخر بممارسة أي دور في الحياة السياسية والتشريعية، إلى حدٍّ خنق حرية التعبير...

والمطلوب من المشروع الإسلامي أن يُقدم صور واضحة حول هذه الإشكالات المطروحة، موثّقة بأدلة شرعية، تبيّن ما لغير المسلمين وما عليهم في المجتمع الاسلامي.

الإسلام والآخر:

إنَّ وظيفة الإسلام الأساسية هي دعوة الناس إلى الإسلام، واستيعابهم في حركته ومشروعه ومسيرته، والخطاب القرآني لرسول الله (ص)، جاء بالصيغة التكليفية عبر العديد من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾[1].

أما دليل الاهتمام بالآخر فيزخر به كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) من زوايا وأوجه مختلفة، فمن الأدلة القرآنية على الاهتمام بالآخر الحضّ على أن تكون الدعوة بالحكمة وبالتي هي أحسن، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[2]. ولقد بلغ حرص الإسلام على الآخر، لدرجة نهيه عن مجادلة حتى غير المسلمين إلا بالتي هي أحسن، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3] بل إنَّ السياق القرآني الذي جاء به التكليف الرباني لموسى عليه السلام في مخاطبة فرعون، وهو الذي قال لقومه أنا ربكم الأعلى، ليعتمد أسلوباً يتجلى فيه منتهى الحرص على حُسن مخاطبة هذا الطاغية ومحاولة استيعابه، فقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[4].

أما شعور البعض بصعوبة قبول الآخر، فيعود من وجهة نظري إلى التربية المفرطة في الانغلاق التنظيمي، والتي تستصعب قبول الآخر

(1) سورة المائدة: الآية 67.
(2) سورة النحل: الآية 125.
(3) سورة العنكبوت: الآية 46.
(4) سورة طه: الآية 44.

الإسلامي، فكيف بالعلماني والنصراني وسواه؟ بل إنَّ هذه التربية تدفع أحيانا إلى اعتبار من يترك التنظيم، لسبب أو لآخر، عدواً تجب مقاطعته ومحاربته.

إنَّ قبول الآخر واستيعابه يجب أن ينطلق من قاعدة حُب الخير للآخرين والحرص الصادق على هدايتهم واستنقاذهم من ضلالاتهم، ومن القناعة الصادقة بشرعية هذا الأمر ووجوبه، ومن خلال تأصيله وتجذيره في المشروع الإسلامي وفق العناوين العريضة التالية:

- إنَّ الإسلام يعترف بوجود الأضداد من خلال قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[1].

- وهو يدعو الأضداد إلى التلاقي والتعارف، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2].

- والإسلام يدعو الكل للتعاون على الخير، من خلال قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[3].

- والإسلام ينهى عن اعتماد سياسة القمع والإكراه مع الآخر، من خلال قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾[4] وهذا منتهى الانفتاح على الآخر والاعتراف به.

---

(1) سورة هود: الآية 118.

(2) سورة الحجرات: الآية 13.

(3) سورة المائدة: الآية 2.

(4) سورة البقرة: الآية 256.

- والإسلام يُحذر من الإساءة إلى الآخر ولو كان مشركاً او علمانياً، أو غير ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1].

- والإسلام يدعو إلى البحث عن القواسم المشتركة في دعوة الآخرين، حرصاً على استجابتهم واستيعابهم فيقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2].

- والإسلام يدعو إلى التعاون والتضامن مع الآخر كائناً من كان، لدرء المفاسد وجلب المصالح، كرفع الظلم، وتعزيز الحرية والعدالة والمساواة، وصون حقوق الإنسان. ومن أجل ذلك قال رسول الله (ص): «لقد حضرت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً، ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دُعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت».

- ومن دلائل حرص الإسلام على الآخر، دعوته وحضه على الاستفادة مما عنده من خير وما لديه من حكمة، حيث يقول الرسول (ص): «خُذوا الحكمة من أي وعاء خرجت» و«الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها» و«اقبلوا الحق ممن جاء به من صغير أو كبير ولو كان بغيضاً بعيداً، وأرددوا الباطل على من جاء به من قريب أو بعيد ولو كان حبيباً نسيباً».

والحقيقة أنَّ المسلمين عموماً والإسلاميين خصوصاً، مدعوون

---

(1) سورة الأنعام: الآية 108.

(2) سورة آل عمران: الآية 64.

لامتثال الإسلام ومبادئه وأحكامه وأخلاقه في التعامل مع الآخر، بصرف النظر عن معتقده وفكره وفلسفته ما لم يحمل عليهم السلاح ويُقاتلهم، وليتدبروا بإمعان قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1].

* التعددية في المشروع الاسلامي:

ثم إنّه لا بد من رؤية جديدة ومؤصلة، من قضية التعددية في المجتمع الإسلامي، مبنية على موقف الشرع المبدئي من الآخر، سواء كانت: تعددية أديان أو تعددية طوائف ومذاهب أو تعددية أحزاب، في ضوء قاعدة: «لا يُنكر تغير الأحكام بتغير الأزمان»، من هذه الأحكام:

- أحكام التعامل مع أهل الكتاب عموماً. (يُفضَّل مراجعة كتاب غير المسلمين في المجتمع الإسلامي للدكتور القرضاوي).
- أحكام التعامل مع الأحزاب القومية العلمانية الوطنية وغيرها.
- الأحكام المتعلقة بالجزية. (يُراجع هنا: كتاب أهل الذمة للمستشار سالم البهنساوي).
- الأحكام المتعلقة بمشاركة الآخرين في الحكم، في السلطات التشريعية والتنفيذية والأمنية والعسكرية وغيرها.

الإسلام والتعامل الحضاري مع التعددية:

يكفي الإسلام حضارية أنه استوعب كل الانتماءات الدينية والقومية

---

(1) سورة الممتحنة: الآية 8.

والعرقية حين أعلن ابتداءً: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[1]، وجاء الخطاب القرآني الآخر ليكرس حرية المعتقد بقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[2].

ولقد بلغت سماحة الإسلام في تعامله مع التعدديات المختلفة شأناً لا مثيل له في الأولين والآخرين، وخاصة في هذا الزمان التي تفاقمت فيه حروب التصفيات العرقية والإثنية والدينية على نحو ما جرى ويجري في العديد من دول العالم كالبوسنة والهرسك والشيشان وكشمير والهند وكوسوفا وإيرلندا وغيرها.

لقد احتضن الإسلام أصحاب الانتماءات الأخرى وجعلهم في عهدته وذمته، مما يؤكده بجلاء الخطاب النبوي القائل:

«من آذى ذمّياً فقد آذاني، ومن أذاني فقد آذى الله» رواه الطبراني في الأوسط. وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام: «من قتل معاهداً، لم يَرِحْ ـ أي يشمَّ ـ رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً».

وهنا أود أن أنقل كلاماً مميزاً للمؤرخ (غوستاف لوبون) حيث وضع كتاباً عنوانه «حضارة العرب»، جاء فيه: «كان تأثير العرب على الغرب عظيماً، وإليهم يرجع الفضل في حضارة أوروبا، ولم يكن نفوذهم في الغرب أقل من نفوذهم في الشرق، لقد تمتعتْ إسبانيا بحضارة سامية بفضل العرب، بينما كانت بقية أوروبا غارقة في ظلام وتأخر... ولو سار الغرب تحت راية العرب لتسامت منزلته، ورقت

(1) سورة البقرة: الآية 256.

(2) سورة يونس: الآية 99.

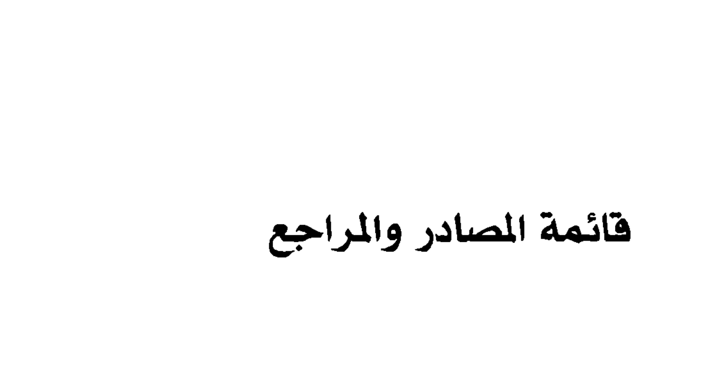
أخلاق أهله، ولما وقعوا في الحروب الدينية والمصائب التي غرقت فيها أوروبا بالدماء قرون عدة. . .».

إنه يكفي دلالة على انفتاح الإسلام الحضاري على الآخرين في المجتمع الإسلامي وضمن الدولة الإسلامية، أن التاريخ زاخر بالشواهد والأدلة التي تؤكد مشاركة غير المسلمين في شؤون الحكم والإدارة وفي مختلف مؤسسات وأجهزة الدولة.

المشروع الاسلامي والتحالف السياسي:

والمشروع الإسلامي يُجيزُ التحالف السياسي مع الآخرين ضمن برنامج مُحدد، من شأنه أن يدرأ المفاسد ويجلب المصالح.

وقد اعتبر البيان النبوي بشأن (حلف الفضول) الذي حضره رسول الله (ص) قبل الإسلام مع فئات وقوى متعددة، من أجل رفع المظالم وتحقيق العدالة وضمان حقوق الإنسان، والذي قال فيه مشيداً بعد الإسلام: «لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حُمر النِّعم، ولو أني دُعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت» اعتبر هذا التحالف من الأدلة المهمة التي تُساق على جواز التحالف مع الآخر. والله أعلم.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً ـ كتب الداعية فتحي يكن:

1 ـ **الموسوعة الحركية**، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1980م.

2 ـ **مذكرات**، مخطوطة لم تُطبع بعد.

3 ـ **ماذا يعني انتمائي للإسلام**، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1998م.

4 ـ **مشكلة الدعوة والداعية**، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1974م.

5 ـ **الإسلام فكرة وحركة**، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1988م.

6 ـ **الإسلام والجنس**، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1988م.

7 ـ **الشباب والتغيير**، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1998م.

8 ـ **أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي**، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1989م.

9 ـ **المتساقطون على طريق الدعوة**، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1988م.

10 ـ **الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية**، ط7، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1987م.

11 ـ **أضواء على التجربة النيابية الإسلامية في لبنان**، الكتاب الأول، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1996م. والكتاب الثاني، ط1، 1996م.

12 ـ **القضية الفلسطينية من منظور إسلامي**، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1992م.

13 ـ **قطوف شائكة في حقل التجارب الإسلامية**، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، ناشرون، 2007م.

14 ـ **العالم الإسلامي والمكائد الدولية**، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1983م.

15 ـ **المتغيرات الدولية والدور الإسلامي المطلوب**، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1993م.

16 ـ **ليت قومي يعلمون**، ط1، طرابلس، دار المنى، 2009م.

17 ـ **الأولويات الحركية في أعقاب 11 أيلول**، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، ناشرون، 2007م.

ثانياً ـ المراجع والمصادر العامة:

1 ـ **القرآن الكريم**.

2 ـ ابن كثير، **مختصر تفسير ابن كثير**، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000م.

3 ـ أبو حامد الغزالي، **المنقذ من الضلال**، تحقيق عبد الحليم محمّد، بيروت، دار النفائس، 2009م.

4 ـ **سيرة ابن هشام**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2000م.

5 ـ عبد السلام هارون، **تهذيب سيرة ابن هشام**، دمشق، دار الفكر.

6 ـ سيد قطب، **معالم في الطريق**، بيروت، دار الشروق، 1973م.

7 ـ جلال الدين السيوطي، مكة المكرمة **صون المنطق والكلام**، مكتبة المروة.

8 ـ علي لاغا، **تشكيل الشخصية الإسلامية المعاصرة من خلال القرآن الكريم**، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1988م.

9 ـ ـــ، **مدخل إلى العلوم السياسية**، ط1، بيروت، دار بيروت المحروسة، 1991م.

10 ـ ـــــ، **الفكر الإسلامي الحديث**، مذكرة منشورة في كلية الإمام الأوزاعي، بيروت ، 1987م.

11 ـ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ط1، بيروت، دار صادر، 1979م.

12 ـ أحمد صدقي الدجاني، **الحركة السنوسية**، ط1، بيروت، دار لبنان للطباعة، 1967م.

13 ـ نيكولا مكيافيللي، **الأمير**، ط12، بيروت، منشورات دار الآفاق، 1985م.

14 ـ محمّد البهي الخولي، **تذكرة الدعاة**، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، 1980م.

15 ـ مصطفى مشهور، **طريق الدعوة**، عمان، دار الأرقم، 1983م.

16 ـ علي جريشة، **دعاة لا بغاة**، الكويت، دار البحوث العلمية، 1979م.

17 ـ أبو إسحاق الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ط2، بيروت، دار المعرفة، 1975م.

18 ـ الماوردي، **كتاب أدب الدينا والدين**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1979م.

19 ـ النووي، **رياض الصالحين**، بيروت، دار القلم.

20 ـ فتحي الدريني، **خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم**، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1982م.

21 ـ عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، بيروت، دار صادر .

22 ـ أنطوان الناشف وخليل الهندي، **الانتخابات في لبنان**، ط1، طرابلس، المؤسسة الحديثة للكتاب، 1998م.

23 ـ الشيخ محمد الغزالي، **هموم داعية**، ط2، بيروت، دار القلم، 1987م.

24 ـ **مجلة الشهاب**، المجلد الوثائقي، السنة الثالثة والثامنة، أصدرتها الجماعة الإسلامية، بتاريخ: 1 ـ 12 ـ 1961م.

25 ـ **مجلة الإنسان**، السنة الأولى، محرم 1990م.

26 ـ **جريدة البصائر الجزائرية**، العدد ،340 (28/ 5/ 2007م)، والعدد 341 (4/ 6/ 2006م).

27 ـ **مجلة الحصاد**، عدد 19، تصدر عن جامعة الجنان، سنة 2009م.

سواء أخطأ منتقدوه أو كانوا على صواب في بعض الأمور، فممّا لا شك فيه أنّ لفتحي يكن أيادٍ بيضاء في مجال الفكر والعمل الحركي الإسلامي، ليس بمقدور أحدٍ تجاهلها... وإنّ الخدمة التي قدّمها الراحل لجيل بكامله عزّ نظيرها، فقد ساهم في إعادة الحديث عن موضوع هوية المسلمين في لبنان، والعمل على إعادة تأهيلهم كي يكونوا في مقدمة المساهمين في بناء مجتمع سليم، جنباً إلى جنب مع شركائهم في الوطن. ومن يبحث في مُحصلة جهد وجهاد الداعية فتحي يكن، يُعجب من قُدرته - مع إخوان له - على تكوين مجموعة كبيرة من الشباب والشابّات، والمساهمة في إيصالهم إلى ذرى العلم والثقافة، وقد تمكّن عدد كبير منهم من تبوُءِ مراكز هامّة في المجتمع والدولة. ومن يتعرّف على هذه الحقيقة، سيتمنّى لو أنّ فتحي يكن ما زال حياً، وجهوده التربوية ما زالت تُؤدّي دورها، فهو ساهم في ترشيد الصحوة الإسلامية، وتوجيه أبنائها، وكُتبه لا تزال محطّ اهتمام وإقبال وقراءة من طرف الشباب الإسلامي والعاملين في حقل الدعوة والإرشاد الإسلامي...

من مقدّمة المؤلّف

FATHI YAKAN AS ADVOCATE PIONEER FOR LEBANEES ISLAMIC MOVEMENT

Center of Civilization for the Development of Islamic Thought

A Seiries on Leading Thinkers & Reformers in the Islamic World

ISBN 978-9953-538-99-0





مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي

بيروت – بئر حسن – بولفار الأسد – خلف الفانتزي ورلد – بناية ماميا – ط٥
هاتف: 826233 ن: +961 1 820378 - ص.ب: 25/55
E-mail:info@hadaraweb.con iraweb.com